بستان الواعظين

في

رياض السامعين

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن
محمد بن علي بن الجوزي القرشي التميمي البكري الحنبلي
المتوفى ٥٩٧ هـ

راجعه وقدم له
الدكتور السيد الجميلي

الطبعة الثالثة
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار الكتاب العربي

فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تلكس: ٤٠١٣٩ .L.E كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بستان الواعظين

و

رياض السامعين

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد عن هذا الكتاب في فهارس المكتبة الأزهرية (باب الآداب والفضائل)[1] ما يلي :

بستان الواعظين ورياض السامعين

للإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الجوزي القرشي التميمي البكري الحنبلي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وقد رتبه على ستة عشر مجلساً .

ويوجد من هذا الكتاب النسخ التالية :

* نسخة في مجلد طبع المطبعة المحمودية التجارية بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .
وبأول هذه النسخة فهرسة ومقدمة في ٢٠ ، ٢٥ سم ، ٣١١ ص (١٢٦٦) ٣٨٢٤ .
* نسخة كالسابقة (١٢٦٧) ٣٨٢٤١ .
* نسخة كالسابقة (١٤٨٦) بخيت ٤٥٤٨٤ .
* ثلاث نسخ كالسابقة (١٦٢٠ ـ ١٦٢٢) ، (٤٨١١٢ ـ ٤٨١١٤) .

(١) ج ٣ ص ٦٦٧ .

عملنا في هذا الكتاب

قمنا بدراسة هذا الكتاب ومراجعته وضبطه وتصحيحه واستدراك أخطائه وتلخص عملنا في الآتي : ـ

ـ تصحيح الأخطاء الإملائية الشائعة الكثيرة الورود والتي لم تخلُ منها صفحة .

ـ راجعنا النصوص القرآنية وأثبتنا أرقام السور والآيات حتى يسهل على القارىء الرجوع إليها في المصحف متى شاء .

ـ قمنا باستدراك التصحيفات والتحريفات في الهامش .

ـ شرحنا غريب الألفاظ وبيَّنا معانيها .

ـ هذبنا وقوَّمنا كثيراً من الأبيات الشعرية التي نظمها ابن الجوزي والتي أوردها لآخرين ، وكل ما ورد في هذا الكتاب من أبيات شعرية كلها مكسور محتاج للتقويم ، فاكتفينا بتصويب الأبيات الهامة حتى لا يخرج النص عن قول صاحبه .

والله المستعان .

مقدمة الكتاب

بقلم الشارح

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

اللهم إني أشهد أنك واحد أحد لا إله إلا أنت سبحانك أنت وليُّ الصالحين وأشهد أن حبيبك نبينا رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين وإني أستبرىء من كل ما يخالف الشرع والدين ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على هذا النبي الأمي الأمين ، وارحم اللهم أرواح المؤمنين أحياء وأمواتاً أجمعين ، فإن الأحياء أحوج إلى رحمتك بما هم فيه من ضلالات ووثنيات وبدع وأهواء ، ولا يعمي الأبصار ويطمس القلوب كالشرك والكفر بأنعم الله وبالإستعاذة ألهج بها يا رب منهما .

اللهم إنا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ونتوب إليك ونتوكل عليك ونفر من حولنا وقوتنا إلى حولك وقوتك .

في هذه الأيام التي تمر بنا ، تموج بالفتن موج البحر ظلماتها كالضباب المضطرب من مدلهمة الظلمات ، ومن خطورتها أن العهود قد سرجت وخزائن الإيمان خربت في صدور الناس قال فيها رسول الله ﷺ فيما رواه

مسلم « بادروا بالأعمال : فإننا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً[1] ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بغرض من الدنيا » رواه مسلم في صحيحه . وورد في صحيح البخاري قوله ﷺ : ـ « أعذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ سبعين سنة » وفي رواية (ستين سنة)[2] أي لم يصبح له عذر بعد ذلك ، لأن في هذا العمر يكون قد استوت قناته واستحكم عقله وتوفر فكره وأحاط بكثير من التجارب وهذا كله حجة عليه أمام الله سبحانه وتعالى . وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ـ قال رسول الله ﷺ : ـ « ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته يا رسول الله ؟

قال : إن كان محسناً : ندم أن لا يكون قد ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع . رواه الترمذي[3] .

والقرآن الكريم يدق ناقوس الخطر ليقرع الآذان وهيهات من سامع ، أنصت إلى قوله تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[4] .

وهنا نرى دقة البيان القرآني في إستعمال لفظة المسارعة وهي أدق وأحكم وأوفق في إعطائها مدلول سرعة الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى جل شأنه لأن الأجل غيب ولا يدري إنسان متى يتوفى ، ولا تعلم نفس متى تقبض . . .

ولذلك وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث الإنسان على

---

(١) وفي رواية أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً .
(٢) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري .
(٣) وهذا مصداق لقوله ﷺ (خيركم من طال عمره وحسن عمله) .
(٤) آل عمران ١٣٣ .

الإستغفار والدعاء والإنابة وسرعة التوبة وعمل الخيرات قال تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً ﴾(١) .

وقال : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض ﴾(٢) .

وللحث والحض على عمل الخيرات يذكر الله سبحانه وتعالى عباده وخلقه إلى ما أعده للمتقين منهم في جنات النعيم قال تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم ، يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) (٣) .

ذلك لأن مقام الآخرة مقام مسارعة ، ومسابقة ، وتنافس(٤) .

ولا بد من احتواء العبادة على شقي الرهبة من عقاب الله وعذابه لقوله تعالى : ﴿ الذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون ﴾(٥) .

وكذلك رغبة في نعيمه وفي جنته الوارفة الظلال قال تعالى : ﴿ يدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين ﴾(٦) . فشرط قبول الدعاء : الرغبة والرهبة ، مع الخشوع حيال جلال الله سبحانه وتعالى .

---

(١) البقرة ١٤٨ .
(٢) الحديد ٢١ .
(٣) المطففين ٢٥ .
(٤) لما تستحق من الإقدام لنعيمها الدائم الأبدي .
(٥) المعارج ٢٨ .
(٦) الأنبياء ٩٠ .

اللهم إنا نعوذ بك من فتنة المحيا ، ومن فتنة الممات ومن فتنة المسيح الدجال ، وأسألك اللهم أن تعيننا على الدنيا بالغنى عنها ، وتقوينا على الآخرة بالتقوى لها إنك أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة

في ذي القعدة سنة ١٤٠٣ هـ .
أغسطس سنة ١٩٨٣ م .

السيد الجميلي

هذا الكتاب

يعتبـــر مؤلف هــذا الكتــاب ابن الجــوزي من أعــظم رجــال السلف الصالحين ـ ولا تزكي على الله أحداً ـ رحمه الله ونفعنا بعلمه آمين .

وقد تناول في كتابه هذا مسائل في غاية الأهمية في الوعظ والإرشاد والترغيب في الجنة والترهيب من النار وفي حث الناس على العمل الصالح وتوقع الموت في أية لحظة بما يقتضي ذلك من قول طيب وعمل صالح ونية خالصة وقصد شريف .

ويمتاز هذا الكتاب ببساطة أسلوبه ورقيق عبارته ، وعظمة بيانه وتنسيق مجالسه وسذاجة نظمه وأشعاره بما يتلاءم مع مجالس الوعظ والإرشاد والحث على فعل الخيرات والإقبال على الجنة بما يقرب إليها من قول وعمل ونية .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب الشبيبة والشيوخ وأن يتقبل منا صدق السريرة وحسن الطوية والله من وراء القصد .

الناشر

مؤلف هذا الكتاب

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي الملقب جمال الدين ، يتصل نسبة بأبي بكر الصديق رضي الله عنهما[1] ولد ابن الجوزي في أواسط سنة ٥٠٨ هـ .

كان ابن الجوزي إمام وقته في الحديث والوعظ ، لكنه ألف مصنفات عديدة في فنون شتى ، وكان غزير المادة سخي العطاء عذب المورد ، تلقى علمه عن جلة الشيوخ في عصره وقد بلغوا نحوا من سبعة وثمانين شيخاً ، وكان إمام عصره[2] .

أنفق من عمره قرابة انصف قرن في الوعظ والإرشاد ، والتأليف بعبارة رقيقة وجملة أنيقة مع قوة في الأسلوب ودقة في الأداء ، وتناولت مؤلفاته مواضيع كثيرة شتى متفرقة في الفقه والحديث والطب والتاريخ والتراجم والجغرافية والتصوف واللغة[3] .

وقد وضع ابن الجوزي كتابه « تلبيس إبليس » وهو من أروع وأعظم ما

---

(١) راجع كتاب تاريخ آداب اللغة العربية تأليف جرجي زيدان مؤسس الهلال ج ٣ ص ٩٩ ، ص ١٠٠ .

(٢) راجع ترجمة ابن الجوزي أيضاً في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣) حكى عن نفسه في كتابه (دفع شبه التشبيه) أن مصنفاته بلغت ٢٥٠ مصنفاً .

كتب وافرد فيه باباً طويلاً موسعاً ناقش فيه في فصول عدَّة متصلة مطاعن الصوفية للإسلام ورد على كثير من أغلاط الصوفية بشجاعة وقوة وبيان .

وأشهد أن هذا الكتاب من أفضل كتبه لأنه يوضح مملكة الشياطين الواسعة وقوة مراسها وهيمنتها[1] على نفوس الناس من العوام والبسطاء إلى العلماء ، ورجال التفسير ورجال الحديث إلى غيرهم من الصوفية المتطرفة .

والذي يدقق في دراسة هذا الكتاب ينتهي إلى أن ابن الجوزي كان عالماً جليلاً قد أوتي حظاً من الفراسة والقدرة على التحليل والتأويل والبيان والفصاحة والحصافة ورجاحة العقل وقوة المنطق ، وهو على دراية وعمق بعلم النفس وما فيه من أصول وقواعد .

كما أعجبني كتابه الذي يبحث في التاريخ والدول والشعوب وهو تاريخ عام يبدأ ببداية الخليقة حتى ظهور الإسلام بترتيب وتنسيق ، يبدأ بذكر دخول السنة وخلاصة حوادثها ثم يذكر من مات فيها ويرتب أسماءهم على حروف الهجاء مع خلاصة أخبارهن[2] وهذا إسمه (المنتظم في تاريخ الأمم) ومن هذا الكتاب أجزاء متفرقة شتى في برلين وأكسفورد وليدن والمتحف البريطاني ، وتوجد منه نسخة في أياصوفيا في سبعة أجزاء منه الأجزاء :١، ٢ ، ٣ ، ٥ ، كوبرلي ، والأجزاء ٢ ، ٣ ، ٤ ، في مكتبة الأستانة .

وقد قام ابن الجوزي باختصار كتاب (حلية الأولياء) في ليدن وفي الخزانة التيمورية كما أن له كتاب (مناقب أحمد بن حنبل) وتقع ترجمته للإمام ابن حنبل في مائة باب اشتملت على تاريخه وحياته ومناقبه وأعماله .

ومما هو جدير بالذكر أن أعظم ما وضع في الحديث كتابه (الموضوعات)[3] .

---

(١) هيمنتها : سيطرتها .
(٢) فيه شبه من كتاب (البداية والنهاية لابن كثير) .
(٣) إلا أننا لنا رأي في هذا نأخذه على ابن الجوزي - رحمه الله - وهو الجرأة في بعض الأحيان =

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وطبع بتحقيق غير دقيق .

وفي التفسير له (زاد المسير في علم التفسير) ويقع في خمسة مجلدات .

وله كتب أخرى أكثر عطاء وأجمل إثارة انتشرت في كثير من مكتبات العالم ولا مجال لسردها هنا .

وقد كتب عنه الرحالة العربي العظيم ابنْ جبير في رحلته فصلاً في عظته وتزاحم الناس على مجالسه ، وإلتفافهم حوله .

وقد توفي ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان ٥٩٧ هـ ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد .

وكان يوم وفاته حافلاً مشهوداً ببغداد حيث التف حول جثمانه الألوف من المشيعين ، وقد صلوا عليه في الهزيع الأخير من الليل .

رحمه الله وبوأه في الآخرة مكاناً علياً وآتاه خير ما يُؤتِي الصالحين من عباده جزاء ما صدق النية وأخلص العمل والعطاء .

= على تكذيب أحاديث صحيحة لرسول الله ﷺ دون أن يبين لنا علة مقبولة لتكذيبه لها ، ومثال ذلك تكذيبه للحديث الشريف (اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين) وقال إن هذا يتصادم مع نص القرآن في قوله تعالى : ـ ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى ﴾ ولكنه لم يدرك أن رسول الله ﷺ لم يكن يقصد المسكنة المادية وإنما يقصد بها الخضوع لله سبحانه وتعالى والذلة بين يديه سبحانه ، تواضعاً وخضوعاً ، وقد قال الإمام الشوكاني في كتابه (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة) لقد افترى ابن الجوزي افتراء عظيماً بتكذيبه هذا الحديث . وقد أورد الإمام العجلوني في كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) قال عن هذا الحديث : رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ، قال : أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقوله في دعائه ، ثم يقول أخرجه الحاكم في مستدركه بزيادة ، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة ، وقال صحيح الإسناد ، كما رواه البيهقي في شعب الإيمان ، بزيادة وفيه منكر عند بعضهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

كما قال البعض عن هذا الحديث إنه غريب ، ورواه الطبراني في الدعاء بسند رجال ثقات عن عبادة بن الصامت ، وبعد ذلك يقول العجلوني « ومع وجود هذه الطرق لا يحسن الحكم عليه بالوضع ثم يقول : وادعى ابن الجوزي وابن تيمية أنه موضوع ، وليس كما قالا ، انتهى » .

الهدف من هذا الكتاب وتحليله

الهدف الذي إبتغاه المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب يرمي إلى الترغيب في الجنة والترهيب من النار، وبيان فضل صالحات الأعمال التي يتقرب بها العبد من ربه سبحانه وتعالى .

فهو يتحدث عن الإستعاذة وكيفية الإستعاذة ، ويشرح أهوال القيامة ، ثم يذكر الميزان والصراط والأعراف ، ويصف لنا مشاهد شتى متنوعة متفرقة من يوم القيامة ، ويصف حال العباد في ذلك اليوم ، ويبين لنا أوصاف الجنة ترغيباً فيها وحثاً للعمل من أجلها ، ثم يبين فضل الصيام ويوم عاشوراء ويتحدث عن تحريم الخمر ، ويتكلم عن ذكر القبور وما فيه من الموعظة الحسنة ، وأن هذا هو السنة الصحيحة التي دأب عليها رسول الله ﷺ .

والكتاب، أصاب وطراً ، وبلغ الهدف الذي أراده منه مؤلفه ببراعة إستهلال ، ودقة تناول وعمق تحليل وصدق طوية للخير والنفع العام .

جزى الله الإمام ابن الجوزي عنا خير الجزاء ، وأثابه أكرم الثواب .

رأينا في هذا الكتاب والحكم عليه

هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، له قيمة عظيمة ونفع جليل ، وكرامة بالغة ، وتقدير وفير على قدر ما بذل فيه مؤلفه ابن الجوزي - رحمه الله - وقد وفق فيه توفيقاً عظيماً ، وبلغ به درجة عالية من التقدير والتقييم .

ولقد لفت نظري فيه روعة اختيار المؤلف للعنوان ، وإصابته في دقة بيانه ، ورصين عباراته فجعل من كتابه هذا بستاناً في الوعظ وروضة في السماع ، وكلا اللفظين تشير إلى أبهى المناظر وأشهى المشاهد ، والتي تسر الخاطر ، وتبتهج لها النفس ، فالبستان يجمع الزهور على اختلاف أشكالها وألوانها ، والروضة هي ما اتسعت جنباتها وفاح أريجها ، وأينعت ثمارها ، وهذا استهلال طيب جميل يسبي النظر ويروق له الخاطر ، إلا أن الكتاب - على عظمة مادته - قد فاته شيء من التنسيق وتخريج الآيات والأحاديث النبوية الشريفة ، وكان هذا سهلاً ميسوراً على رجل عظيم مثل ابن الجوزي ، وهذا بالطبع لا يقدح في عظمة الكتاب لكن ربما يكون انشغاله بتنسيق مجالسه وترتيب أفكاره شاغلاً له عن مثل هذا العمل ،

ومن ثم كان دورنا في شرح هذا الكتاب وتصحيحه والتعليق عليه .

والكتاب في جملته نافع مفيد ، سخي المادة عظيم الفائدة جم النفع خالٍ من البدع والخرافات والخزعبلات التي تفشت في عصر ابن الجوزي - ولا يزال الكثير منها متفشياً في زماننا هذا - ، ونحن إزاء هذه المادة العظيمة النقية الخالصة نضرع إلى الله أن ينفع بهذا الكتاب الشبيبة والشيوخ ، وأن يكون لهم جميعاً عوناً أي عون لما فيه من علم وفضل وكرامة .

ونحن نوصي الجميع بدراسته والتمعن فيه وتدبر معانيه وتأمل مقاصده الشريفة .

أما ما أورده ابن الجوزي في كتابه هذا من أشعار ، فلنا فيها رأي ولنا معها موقف ، فالكثير منها لم ينسبه لأحد من الشعراء ، ولم توجد في دواوين الشعراء التي بين أيدينا ، وهي مضطربة اللفظ ومختلة المعنى ، وقد تجمع القصيدة الواحدة عدة بحور ، وهذا لا يتفق مع أصول الشعر العربي الأصيل ، مما يجعلنا - إزاء هذا - نستبعد أن يكون شاعرٌ معاصرٌ أو سابقٌ لابن الجوزي هو صاحب هذا القريض الذي لا يمكن أن يندرج في خانة الشعر العربي الموزون المقفى . ومما نرجحه أن ابن الجوزي قرض تلك الأبيات وأدرجها في كتابه دون أن ينسبها لغيره ، وبذلك لا يعدُّ بين المنتحلين .

ونظراً لإلمامي بأوزان الخليل ، ولتجربتي الحيَّة في قريض الشعر الموزون ، فقد استطعت تهذيب الكثير من ذلك الشعر الغير مستقيم ما وسعني الجهد ، وما أحسست منه الفائدة والنفع . أما بعض الأبيات التي لا تستحق الوقوف عندها لسطحيتها وسذاجتها فقد ضربنا عنها صفحاً رغم تكرارها في الكتاب .

ولم يخل الكتاب من بعض التحريفات اليسيرة ، والتي أشرنا إليها ، ونادراً ما صادفنا شيء من التصحيف نوَّهنا عنه في حواشي الكتاب .

أسأل الله أن يرحم مؤلف الكتاب رحمةً واسعةً ، وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يهيىء لدار النشر كل سداد وتوفيق وازدهار على اهتمامها بإحياء هذا التراث القيم وتخليده وعلى إثراء المكتبة الإسلامية بالمراجع والمتون القيمة ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من أفقر خلق الله إليه وأضعفهم وأحوجهم إلى صفحه وعفوه ورضوانه هذا الشرح والتعليق المتواضع ، وأن يسامحني إن فاتني شيء من التقصير الغير مقصود ، فإن الكمال لله وحده ، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

١ - مجلس في الاستعاذة

تفسير الاستعاذة

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وإما ينزغنك[١] من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ﴾ المعنى ، فاستعذ بالله إذا أردت أن تقرأ القرآن ، يقال : أعوذ بالله ملاذاً وعياذاً ، ويقال هذا عوذ لي مما أخاف منه ، أي مجيري والدافع عني . وتسمى المرأة عائذاً لأنها تعوذ بولدها . والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان . وكان النبي ﷺ يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الأخبار . وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل ، والجبن ، والهرم ، والكسل ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال[٢] فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم ﷺ واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم . أعوذ بالله وأحتمي بالله وأستكفي بالله ، يا قارىء يا تالي بمن تعوذ ، بمن تلوذ[٣] ، بمن تستغيث ، بمن تستجير ، بمن تستنصر ، بمن تعتصم[٤] ، بمن تحتمي ، بمن تستكفي ؟ إلا بالله !!

---

(١) نزغ الشيطان : أفسد وأغرى .

(٢) الدجال : المسيح الكذاب .

(٣) يلوذ به : يلجأ إليه ويحتمي به .

(٤) تعتصم : من العصمة ، يقال اعتصم بالله أي امتنع بلطفه من المعصية ، وقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ يجوز أن يراد لا معصوم ، فيكون فاعل بمعنى مفعول .

نصائح

اعلم أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين .

أعوذ بالله من الذنوب والعصيان ، أعوذ بالله من الضلال والخذلان ، أعوذ بالله من سخط الرحمن *

اعلم يا أخي أن العبد إذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر الظالمين ، فأحرى[1] أن يسلم المستعيذ برب العالمين من الشيطان العدو اللعين *

روي عن النبي عليه السلام أنه قال « من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم وكَّل الله به ملكاً يذود عنه شر الشيطان كما تذاد[2] الغريبة من الإبل عن الحوض » فكيف لا يسلم المستعيذ[3] بالله من الشيطان والملك يذود عنه بأمر الملك الديان ؟!

كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام ، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والأيتام ، أعوذ بالله من ارتكاب الكبائر والآثام ، أعوذ بالله من سخط الملك العلام ، أعوذ بالله من عدم التوفيق لحسن العمل ، أعوذ بالله من الركون إلى طول الأمل ، أعوذ بالله من تمزيق الأعمار ، في مخالفة هدى الأبرار ، ونستعينه على تطهير القلوب من طوالع الارتياب ، وجنايات الاغتياب ؛ فإنه داء قد أعيا دواؤه ، وتعذر شفاؤه ، وعمَّ بلاؤه ، وكما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بلية ، فلذلك نسأله علماً

---

(١) أحرى : أجدر وأخلق .

٢) ذاد : يذود الإبل أي يسوقها ويطردها .

٣) المستعيذ : استعاذ به أي لجأ إليه ، وقولنا معاذ الله أي أعوذ بالله معاذاً .

نافعاً ، وعملاً متقابلاً ، وإيماناً صريحاً ، ويقيناً صحيحاً . أعوذ بالله من رأي يكون ضلالاً ، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة ووبالاً ، أعوذ بالله من نية تعقب وزراً ، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شراً أعوذ بالله من عدم التوفيق ، أعوذ بالله من ترك التحقيق ، أعوذ بالله من ترك السعة والرجوع إلى الضيق *

تحذير من الشيطان

عباد الله تفكروا في إخراج أبيكم آدم من الجنة دار الأمان[1] ، وهبوطه إلى دار الذل والهوان ، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان . وقد نهاكم مولاكم عن طاعته ، وأمركم بمعصيته ، فإن في طاعته سخط الرحمن ، ومعصيته توجب سكنى الجنان[2] ، ونزول محل الرضوان *

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾[3] فمن أطاعه خذله وصده عن الهدى ، وفتح في قلبه أبواب الضلالة والردي *

قال الله تبارك وتعالى . ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾[4] أعوذ بالله من وسواس الصدر ، أعوذ بالله من المكر والغدر ، أعوذ بالله من شتات الأمر ، أعوذ بالله من قلة الشكر ، أعوذ بالله من عذاب القبر ، أعوذ بالله من ترك المتاب ، أعوذ بالله من شدة العذاب ، أعوذ بالله من مناقشة الحساب ، أعوذ بالله من غضب رب الأرباب *

---

(١) ربما يقصد بذلك ابن الجوزي دار الأمان أي جنة الآخرة ، ولكننا لا نوافقه على ذلك لأن جنة الثواب في الآخرة ليس فيها تكليف ولكن جنة آدم هي بستان ، وكان العرب الأقدمون يسمون النخيل جنة .

(٢) الجنان : الجنة .

(٣) البقرة ٢٦٨ .

(٤) الفرقان ٢٩ .

التعوذ عبادة

وأعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لأن الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم . الله الله لا تقروا عين عدوِّكم الشيطان ، فإنه يؤديكم إلى عذاب النيران ، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان . أعوذ بالله من مرديات الأعمال ، أعوذ بالله من الغي والمحال ، أعوذ بالله من سخط ذي الجلال *

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الأعداء ، وصار في حرز(١) ذي النعم والآلاء . . ومن استعاذ بالملك الرحمن ، سلم من شرِّ العدوِّ الشيطان . والاستعاذة أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم ، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللئيم . أعوذ بالله من شهادة الزور ، أعوذ بالله من ركوب الفجور ، أعوذ بالله من الغي والنفور ، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور ، أعوذ بالله من الركون إلى دار الغرور ، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور *

تعوذ النبي ﷺ

روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من صاحب غفلة ، وقرين سوء وروح(٢) أذى » أعوذ بالله من شماتة الأعداء ، أعوذ بالله من خيبة الرجاء ، أعوذ بالله من عضال(٣) الدَّاء ، أعوذ بالله من مخالفة الهدى ، أعوذ بالله من أفعال الردى ، أعوذ بالله من سخط ذي النعم والآلاء ، أعوذ بالله من عثرات اللسان ، أعوذ بالله من النميمة(٤) والخذلان ، أعوذ بالله

---

(١) الحرز : الموضع الحصين ، ويسمى التعويذ حرزاً .

(٢) في الأصل : زوج أذى ولعله تحريف .

(٣) الداء العضال : الداء الشديد الذي أعيا الأطباء كما يقال أمر عضال إذا صعب وتعقد .

(٤) النميمة : هي إظهار ما خفي ، وإفشاء الأسرار .

من الغيبة[1] والبهتان[2] ، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان *

أحاديث في عذاب القبر

روي عن النبي ﷺ أنه مرّ على البقيع فوقف على قبر ثم قال : « الآن أقعدوه ، والآن سألوه ، والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه ناراً » ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول ، ثم قال ﷺ لأصحابه : « ولولا أني أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع » فقالوا يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين ؟ فقال عليه السلام : « أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستنزه من البول »[3] .

أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يعذب أحدٌ في قبره إلّا بإحدى ثلاث ، في الغيبة والنميمة والبول » فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان ، وأذى الجيران ، فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن ، ويقرب من الشيطان ، ويصد عن الجنان ، ويؤدي إلى النيران . أعوذ بالله من علة الدين ، أعوذ بالله من ضعف اليقين ، أعوذ بالله من الشيطان اللعين ، أعوذ بالله من سخط رب العالمين ، أعوذ بالله من الشيطان المثبور ، أعوذ بالله من عذاب القبور ، أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور ، أعوذ بالله من الصدِّ من دار الحبور ، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور ، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور *

---

(١) الغيبة : ذكر مساوىء الغير في غيبته .

(٢) البهتان : إذا ذكرت أخاك في غيبته بما هو فيه ويكره ذكره ، ولما سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة قال : أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره فقال السائل فإن كان فيه ما أقول يا رسول الله ، قال تكون قد بهتّه .

(٣) لأن البول نجس .

القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم . وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس في آي كثيرة من القرآن . فمن استعاذ بالملك الوهاب ، من شر الشيطان الكذاب ، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب . والقرآن شافع لمن عمل به ، وخصم على من لم يعمل به *

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العملْ بالتنزيل ، ويبعدكم عن الملك الجليل ، ويلقيكم في معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل ، في اليوم الهائل العبوس[1] الثقيل *

لكل أحد[2] شيطان

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت قلت يا رسول الله ما من أحد إلّا ومعه شيطان ؟ قال : « نعم » قالت وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم » أعوذ بالله من خشوع النفاق ، أعوذ بالله من البعد والفراق ، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق ، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق ، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق . وأنشدوا :

ويحك عُذْ بالله ذي الجلالِ   والمجد والنعماء والإفضالِ
ثم أتلُ آياتٍ من القرآن   ووحِّد الله ولا تبالِ

أعوذ بالله من عبدٍ شارد ، أعوذ بالله من شيطان مارد ، أعوذ بالله من عدو حاسد ، أعوذ بالله من قلب فاسد ، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد *

(١) العبوس : الشديد .
(٢) أحد بمعنى واحد ولكنها لا تثنى ولا تجمع .

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيراً أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشَّطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فأقبل العبد عند ذلك على مولاه ، وأعرض[1] عمن سواه . وآثر رضاء سيده على هواه ، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه . وإذا أراد بعبده شراً مكَّن منه شيطانه وسلَّطه عليه فأبعده عن طاعة الجبار ، وكسَّله عن عمل الأبرار ، وحبَّب إليه ، أعمال أهل النار ، وبغضَّ إليه أعمال أهل دار القرار *

فرح الشيطان بالعاصي الجاهل

روي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا بلغ الرجل أربعين سنة[2] ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال فديت وجهاً لا يفلح أبداً » فإن منَّ الله وتاب عليه واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات[3] الجهالة يقول الشيطان ـ لعنة الله ـ واويلاه قطع عمره في الضلالة فأقر بالمعصية عيني ، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فأكثر بالتوبة حزني . فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس العدو الشيطان ، وارجعوا بالتوبة إلى مولاكم الرحمن ، فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران ، إنه كريم متفضل منَّان[4] . أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة ، وأعوذ بالله من الغرة[5] بعد الإرادة ، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة . أعوذ بالله من الكفر بعد الإيمان ، أعوذ بالله من القطيعة والحرمان ، أعوذ بالله من طاعة الشيطان ، أعوذ بالله من العقوبة والهوان ، أعوذ بالله من نقض العهود ، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود ، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود ، أعوذ بالله من سخط ذي الكرم والجود *

---

(١) أعرض عمن سواه : انصرف عنه .

(٢) لأن سن الأربعين فيه يستحصن العقل ويستوي الفكر .

(٣) غمرات الجهالة : أي الجهالة الشديدة .

(٤) منَّان : كثير المن أي كثير العطاء والجود .

(٥) الغِرة : بكسر الغين الغفلة .

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فإنه عارف بالعيوب ، بصير بإلقاء العبد في الذنوب ، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب . أعوذ بالله من قلب لا يخشع ، أعوذ بالله من عين لا تدمع ، أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، أعوذ بالله من عمل لا يرفع ، أعوذ بالله من علم لا ينفع . أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله ، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته . أعوذ بالله من زيغ القلوب ، أعوذ بالله من تتابع الذنوب ، أعوذ بالله من ترادف العيوب ، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب . أعوذ بالله من مُضِلَّاتِ[1] الفتن ، أعوذ بالله من البلاء والمحن ، أعوذ بالله من سخط ذي الجود والمنن . أعوذ بالله من النقص بعد التمام ، أعوذ بالله من التخلف بعد الإقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام *

جنود إبليس

ذكر في بعض الأخبار أن إبليس - لعنه الله - يبعث في كل يوم ثلاثمائة وستين عسكراً لإضلال المؤمنين ، والله تعالى ينظر في قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففي كل نظرة من نظراته تهلك عسكراً من عساكره فأنى تبقى عسكر للشيطان في جنب نظرة الرحمن ؟!! *

فالله الله عباد الله لا تقبلوا وسواس الشيطان المخدوع ، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع ، وأسيلوا على ما فرطتم غزير الدموع[2] . أعوذ بالله من عواقب الخلاف ، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف ، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف . أعوذ بالله من الباطل وشره ، أعوذ بالله من الشيطان ومكره ، أعوذ بالله من العصيان وذكره . أعوذ

---

(١) مُضِلَّات الفتن : التي تضل الأفهام والعقول لاختلاطها بنزعات الخير ، أي يظنون بها الخير وهي سوء .
(٢) أي بالتوبة النصوح .

بالله من فساد القلب ، أعوذ بالله من ترادف الذنب على الذنب ، أعوذ بالله من سخط الملك الرب *

محاورة إبليس لموسى

روي أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه لا تخلون بأمرأة غير ذي محرم فأكون ثالثكما ، ولا تقضين فأنال منك ، وإذا هممت بصدقة فبادر[1] إليها ، فإنك إن لم تبادر إليها فتحت لك في ذلك سبعين باباً من الفقر أمنعك بها من الصدقة *

وقيل في قول الله عز وجل : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ﴾[2] الآية . أي : يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك ، وقيل يعدكم الفقر في طلب فوق الكفاف فيكون عندك ما يكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غنى الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذي يؤدي صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد . وقيل يعدكم الفقر في البذل والعطاء في مرضاة الله عزّ وجل وهو الغنى لأن الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلاً فينبغي للعبد أن يذكر منن الله تعالى عليه ، وإحسانه إليه ، وإفضاله لديه *

أصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال في محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[3] ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح . واعلم أن البخل شجرة في النار

---

(١) بادر إليها : سارع إليها .

(٢) البقرة ٢٦٨ .

(٣) وردت هذه الآية في سورتين : الحشر ٩ والتغابن ١٦ .

وأغصانها مدلاة على الدنيا وهي شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار . وكذلك الكرم شجرة في الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم ، والكرم من أخلاق الملك الكريم ، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم . ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً قط إلا وهو كريم ، ولا رأيتم عبداً صالحاً إلّا وهو كريم . قال فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين ، وهو من أخلاق رب العالمين ، فاستعملوه بينكم يا معاشر المؤمنين ، والمؤمنات يا أمة محمد خاتم النبيين . أعوذ بالله من عين لا تبكي عليه ، أعوذ بالله من قلب لا يشتاق إليه ، أعوذ بالله من دعاء لا يصل إليه ، أعوذ بالله من الذل إلا إليه[١] .

نجاة المستعيذ من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناجٍ من العذاب الأليم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾[٢] وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه .

قال الله تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾[٣] أعوذ بالله من اللهو والغفلات أعوذ بالله من العذاب والحسرات ، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات .

إخواني أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين[٤] الذليل ، واعملوا بالسنة والتنزيل[٥] .

---

(١) الذل لله عزة وقوة لأنه يفتح أبواب رحمة الله ومن تولاه الله عزّ وانتصر .

(٢) البقرة ٢٦٨ .

(٣) النساء ٨٩ .

(٤) في الأصل (المهين) وهذا خطأ .

(٥) التنزيل : القرآن .

خصال الخير عن الإمام علي

روي عن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، أوَّلها من عرف الله فأطاعه ، والثانية من عرف الشيطان فعصاه ، والثالثة من عرف الحق فاتبعه ، والرابعة من عرف الباطل فاجتنبه ، والخامسة من عرف الدنيا فأعرض عنها ، والسادسة من عرف الجنة فطلبها . فالله الله عباد الله اجتهدوا في طاعة الرحمن الرحيم . واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم *

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت إبليس اللعين في المنام منكوساً فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لي يا أبا سعيد أما علمت أني لا أخاف من العصا ولا من الأسلحة ، قال فقلت له يا ملعون فما الذي تخافه ؟ قال أخاف من شيئين : أحدهما استعاذة المستعيذين ، والثاني شعاع معرفة الصادقين . أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه ، أعوذ بالله ممن لا يبكي على رمسه[1] ، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه *

حكي عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال : رأيت إبليس في المنام عرياناً يتلاعب بالناس فقلت أما تستحي من الناس ؟ . فقال الملعون بالله عليك هؤلاء عندك ناس ؟ . لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، فقلت له يا ملعون ومن الناس ؟ قال ثلاثة نفر بمسجد الشيرازي ـ كذا سمي المسجد ـ أمرضوا كبدي ، وأنحلوا جسمي ، كلما[2] هممتُ بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أن أحترق ، قال الجنيد : فانتبهت وقد بقي من الليل بقيةٌ فخرجت إلى المسجد الذي ذكر الملعون فدخلته فإذا بثلاثة نفر

---

(١) الرمس : القبر .

(٢) ورد في الأصل (فلما) وهو تحريف .

قعود رؤوسهم في مرقعاتهم فقال لي أحدهم : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئاً تقبله ! يا أخي اعلم أن من تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم ، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾[١] وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قُطَّاعُ لطريق الدنيا على المسلمين[٢] ، فإبليس لعنه الله قاطع طريق العقبى[٣] ليصدَّكم عن الحق والهدى ، فإذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين *

وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه : ﴿ وإما ينزغنَّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا ﴾[٥] الآية وقد أمر الله تعالى عباده أن يقولوا[٦] في الصلاة سبع عشرة مرة في سبع عشرة ركعة وهي عدد ركعات الفرض : ﴿ إهدنا الصراطَ المستقيم ﴾ فأنَّى يضرك كيد الشيطان الرجيم ؟! *

إعلم يا أخي أن البيت المعمور كان في الأرض إلى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام فحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع إلى السماء . وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى ، لأن البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق إليه ، فشتان ما بينهما !! *

ذكر عن أبي سعيد أنه قال في قول الله عزَّ وجل : ﴿ إن عبادي ليس

---

(١) الأعراف ١٦ .

(٢) لعله يريد بذلك محترف قطع الطريق على المسلمين وغير المسلمين .

(٣) طريق العقبى : الإنابة والرجوع إلى الله .

(٤) فصلت ٣٦ .

(٥) النحل ٩٩ .

(٦) في الأصل : يقولون .

لـك عليهم سلطان ﴾(١) كأنـه يقول إن كـان لـك عليهم سلطان أن تلقيهم في معصية الله ، فليس لك عليهم أن تمنعهم من مغفرة الله *

وقـول آخر ؛ إن كـان للشيطان سلطان في إلقـاء العبـد في المعصيـة ، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان في تطهيـر العبد من الخـطية ، وليست قـوة الشيطان بأكثر قوة من مغفـرة الرحمن في قلوب أهـل الإيمان . أعـوذ بالله من كثـرة الفساد ، أعـوذ بالله من ظلم العبـاد ، أعوذ بـالله من غضب رب جواد ، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد،(٢)، أعوذ بالله من القطع والبعاد . وأنشدوا :

أعـوذ بـالـرحـمـن مـن مـوقـف ... يـشـهده الـمـؤمـنُ والـكـافـرُ
إن كنت بئس الـعبـد يـا سيـدي ... فـأنـت ربٌّ سـيـدٌ غـافـرُ

ضعف الإنسان والشيطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الإنسـان ضعيفاً ، وقـال في آية أخرى ﴿ إن كيد الشيطان كـان ضعيفاً ﴾(٣) والضعيفـان إذا اقتتلا ولم يكن لواحدٍ منهمـا معين لم يظفـر بصاحبـه ، فأمـر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه(٤) ويعينه عليه . من كان في معونته الإله العظيم ، لم يضره كيد الشيطان الرجيم ، من كـان في معونتـه الملك الوهاب ، لم يضره كيد الشيطان الكذاب ، من كان في معونتـه الملك القهار ، لم يضره كيد الشيطان الفرَّار ، من كان في معـونته الملك الـرحمن ، لم يضره كيد الشيطان ، وأنشدوا :

العبـد في كنف(٥) الإلـه وحفـظه ... مـن كـل شـيـطان غـوى سـاهِ

(١) الحجر ٤٢ ، الإسراء ٦٥ .
(٢) يوم التناد : يوم القيامة .
(٣) النساء ٧٦ .
(٤) يعصمه منه : يحفظه منه .
(٥) في الأصل في جوار الإله وهذا يكسر الوزن .

إن عـاذ بـالـرحمنِ عند صبـاحِـهِ وكـذاك إنْ أمـسـى بـذكـرِ اللهِ

دعاء يعصم من الشيطان

روي عن النبي ﷺ أنـه قال : « من قـال حين يصبح وحين يمسى أعـوذ بالله العظيم ؛ وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الـرجيم ، قال قرينه عوفي هذا العبد مني اليوم » شعر :

يـا رجـائـي فـي بـلائِـي لا تُـزل عـنـيً خيـركْ
أنـت ربـي أنـت حـسـبـي أنـا لا أعـبـدُ غـيـرُكْ

أعوذ بالله من عدم الإخلاص ، أعوذ بالله من هـولِ يوم القصـاص[1] ، أعوذ بالله من ترك الاستقامة ، أعوذ بالله من العذاب والمـلامة ، أعـوذ بالله من هـول يوم القيـامة ، أعـوذ بالله من الحسـرة والندامـة ، أعوذ بـالله من حرمـان الكرامة ❊

لماذا حجب الله إبليس

يا أخي إن الله تعالى لما قبَّح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته ، وأوحش هيأته وقـامته ، لـطف بعباده حيث ستـره عنهم ، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم ، ولـذلك جعـل المولى جـل جلالـه السماء مـوضع نـظرهم ، وزينها بعلامات الرسوم ، وحفظها من الشيطان الرجيم برواصد النجوم ، فكأنه قال سبحانه : يا عبادي لا يصلح لأبصاركم ما كان مشـوهاً قبيْحـاً ، بل يصلح لها ما كان مزينـاً مليحاً ، هـذه معاملتـه سبحانـه وتعالى مـع جميع النـاس في الدنيا فأولى أن يلطف بالمؤمنين في العقبى ، يصـون أبصارهم عن النـظر إلى النـار الكبرى وهي الجحيم ، ويكـرمها بـالنظر إلى الـدار المـزينـة وهي جنـة

(١) يوم القصاص : يوم القيامة .

النعيم ، أعوذ بالله من مخالفة الأحكام أعوذ بالله من التمادي[1] في الآثام ، أعوذ بالله من معصية السلام ، أعوذ بالله من عذاب الغرام *

زينة السماء

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لما خلق الله تبارك وتعالى الجنةَ قال لها تزيَّني فازَّينت ، ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون ، فجعل الله تعالى السماء في الدنيا[2] موضع نظرك ، وجعل الجنة المزينة في العقبى موضع ترغبك ، فإذا ستر الله تعالى إبليس الملعون في الدنيا وغيَّبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته ، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد[3] على رؤوس الأشهاد . لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾[4] فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن أنا حبيبك الأعظم ، وإنَّ إبليس عدوك الأعظم ، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها ، وترادف همومها وغمومها ، أهون عليك . وكان أيضاً يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم ، ورؤيتك عدوك الأعظم ، فغيب إبليس عنك حتى لا تراه كما لا ترى حبيبك الأعظم فيكون الأمر أهون عليك *

أعوذ بالله من التضليل والتسويف ، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف ، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف *

حكي عن سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه قال : رأيت إبليس

---

(١) التمادي في الآثام : الإصرار عليها .
(٢) قال تعالى : ﴿ إنا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ الصافات ٦ .
(٣) يوم التناد : يوم القيامة .
(٤) الأعراف ٢٧ .

اللعين في المنام فقلت له أي شيء أشد عليك ؟ فقال استعاذة المستعيذ برب العالمين الذي هو أرحم الراحمين *

طهارة العاصي ونجاسة المعصية

واعلم يا أخي أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه ، وإنما مثله كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه غدير ماء طاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه[١] في النجاسة ، فيكون سبباً لطهارته . كذلك نفس المؤمن وإن كانت في نجاسة المعصية فإن قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سبباً لطهارته من المعصية . والأصل في هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لا يرضاها بالقلب فهو لا يثاب يوم القيامة على إقراره باللسان ، هكذا المؤمن يعمل المعاصي بالإدمان[٢] لكنه لا يرضاها فنرجو أن لا يعاقب . شعر[٣] :

إني تعـوَّذتُ بـالـعـظيم   الأول الآخـر الـقـديـم
ذي الطَّول والفضل والمعالي   الـمـاجـدِ الواحِد الكريم
من شرِّ نفسي ومن هواها   وشـر شيطانِهَـا الـرجيم

أعوذ بالله من شرٍ لا يزول ، أعوذ بالله من عذابٍ لا يحوَل ، أعوذ بالله من مخالفة الرسول *

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين ، والتمسك بسنة خاتم النبيين ،

---

(١) يقصد بذلك جسمه .
(٢) الإدمان على المعاصي : الإصرار عليها فتصبح عادة عنده .
(٣) نرى في هذا الشعر سطحية ومباشرة وسهولة وإن كان بثنائه وامتداحه الحق جلَّ شأنه يزداد قيمة وفضلاً .

وبمخالفة الشيطان اللعين، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين. ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين، وتنظروا إلى وجه رب العالمين. وأنشدوا:

إعوذ بالله الذي لم يتخذ ولداً وقدَّر الرزق قبل الخلق تقديرا[1]
أعــوذ بــالله الـعلي مكــانــه ذي العرش لم نعلم سواه مجيرا
من حر نار لا تفترُّ من لهبٍ[2] من حــرهــا للظالمين سعيــرا
وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى[3] يـدعـون فيهــا حسرة وثبــورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية، أعوذ بالله من القلوب القاسية، أعوذ بالله من الهوام العادية، أعوذ بالله من اللصوص الضارية[4] أعوذ بالله من جور السلاطين، أعوذ بالله من كيد الشياطين، أعوذ بالله من أذى المساكين.

إخواننا إياكم ومخالفة السنة فإن ذلك يبعدكم من الجنة[5] ❋

روي عن مجاهد رضي الله عنه أنه قال: من ذرية إبليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الأسواق يضع فيها رايته كل يوم. فالله الله عباد الله لا تبذلوا مهجتكم للنيران. ولا ترضوا بالزيادة والنقصان، في المكيال والميزان، فإن ذلك يؤدي إلى عذاب النيران ❋

كيف أهلك النبي عفريتا

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ

---

(١) ورد في الأصل (وقدر خلقه تقديراً) ولا يستقيم البيت فأصلحه الأستاذ عثمان خليل هكذا.
(٢) ورد في الأصل (لا تفتر عنهم) وأصلحه عثمان خليل.
(٣) في الأصل والسلاسل.. وهذا أيضاً غير مستقيم وعلى وجه العموم فالأبيات مهلهلة الوزن من بحور مختلفة.
(٤) الضارية: الفتاكة.
(٥) وقد قال شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) إن شرط قبول العبادة أمران ضروريان أولهما أن تكون خالصة لوجه الله تعالى لا يقصد بها غيره وثانيهما أن تكون على السنة أي أن تكون صواباً خالية من البدع.

وجبريل عليه السلام معه ، فجعل النبي ﷺ يقرأ ، فإذا بعفريت قد أقبل من مَرَدة الجن[1] وفي يده شعلة نار وهو يقرب من النبي ﷺ ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته ؟ قال له : قل أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر من شر ما ذرأ[2] في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج[3] فيها ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق النهار إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن . فقالها النبي ﷺ فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلتُهُ .

سليمان وإبليس

وذكر أن إبليس لعنه الله لقي سليمان ﷺ فقال له سليمان : يا ملعون ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ ؟ فقال له الملعون : يا سليمان لأدعونهم حتى تكون الدنيا والدرهم أشهى عندهم من شهادة أن لا إله إلا الله . فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فإنها حبائل الشيطان[4] *

نصائح من خطبة الوداع

روي عن النبي ﷺ أنه قال في خطبة الوداع : « أيها الناس إني لكم ناصح أمين ، ألا وإن إبليس قد يئس منكم لا تعبدون صنماً أبداً ، ولكن والذي بعثني بالحق ليجعلنكم إبليس لعنه الله أن تعبدوا ألف إله ، يعبد الرجل إبله ، والآخر إمرأته ، والآخر غنمه ، والآخر حرثه[5] والآخر تجارته ،

---

(١) مردة الجن : عتاة الجن .
(٢) ذرأ في الأرض : دخل فيها .
(٣) يعرج : يصعد ويرتقي .
(٤) الحبائل : المصائد ، جمع أحبولة .
(٥) حرثه : أرضه وغراسه وثمره .

والآخر صنعته ، والآخر مركبه ، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل كيف حالك ؟؟ فيقول له : لولا تجارتي ما كان لي حال ، والآخر يقول لولا حرثي والآخر يقول لولا أمرأتي والآخر يقول لولا مركبي ، والآخر لولا صديقي ، فينسيه ذكر مولاه ويتبعه في دنياه ، ويقطعه عن أخراه »[1] .

يا إبن آدم ما اغترارك بمن إليه اضطرارك ، وما احتقارك بمن إليه افتقارك ، يا ابن آدم إن كنت بالنهار هائماً ؟ وبالليل نائماً ، متى ترضي من كان بأمرك قائماً . يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق ، الذي يتكفل بقسمة الأرزاق ، توكل يا أخي عليه ، وأسند أمورك إليه ، فإنه لا يملكها غيره *

أعوان الشيطان من بني آدم

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن للشيطان أعواناً من بني آدم يبعثهم الملعون إلى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويحبب إليهم كسب السحت والحرام والذي بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الأوثان » أعوذ بالله من الركون إلى الهوى ، أعوذ بالله من الضلالة والردى ، أعوذ بالله من معصية إله السما *

آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبد الله بن سهل التستري رحمه الله قال : لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والأمان وأنزله[2] إلى دار الذل والهوان والبلاء والإمتحان ، قال الله تعالى : يا ابن آدم أسكنتك في جواري فعصيتني ، وأطعت الشيطان وتركتني ، وعزتي وجلالي لأسكننك في جواره لتطيعني وتعصيه ، وتحبني وتبغضه ، فإذا كان يوم القيامة أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبة ثم أدخلك الجنة *[3] .

---

(١) هذه مقتطفة من حجة الوداع ، راجع السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤ .

(٢) بالأصل (أنزله) بدون واو .

(٣) كما وضحنا آنفاً أن إبن الجوزي رحمه الله يعتقد أن جنة آدم كانت جنة الجزاء وهذا غلط لأن جنة الآخرة ليس فيها تكليف ولا عقاب .

جاء في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه(١) أربعة أشياء وهي المعرفة ، والعقل ، والإيمان ، واليقين . فصار خزانة لهذه الأشياء وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم(٢) إبليس ، والهوى(٣) والنفس، والدنيا وضمن إبليس لأصحابه الوصول إليها كما قال تعالى في كتابه ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾(٤) فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة مقدرته على مدافعته علَّمه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من إبليس وجنوده وهي: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. فكأنه قال تعالى: يا ابن آدم أنا الأول احفظ معرفتك لي من بين يديك، وأنا الآخر احفظ عقلك وأنا الظاهر إحفظ إيمانك عن يمينك، وأنا الباطن إحفظ يقينك عن شمالك*(٥).

اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء، ما الحكمة في أن لم يعط إبليس إثنان من ابن آدم وأعطى أربعة؟ أعطى من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الأربع، ولم يعط إبليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت؟ قال: لأن الأربع جهات تدخلها المشاركة في الأعمال، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين(٦) ، وتحت موضع سجود الساجدين بين يدي رب العالمين. عصمنا الله وإياكم من فتنته عصمة يدخلنا بها في رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيمٌ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

---

(١) لأن آدم عليه السلام كان نبياً .

(٢) في الأصل هكذا والصواب وهي .

(٣) الهوى : نزوع الغريزة .

(٤) الأعراف ١٧ .

(٥) وبالتدبر في الآية الشريفة نرى أن إبليس عليه اللعنة ذكر جميع النواحي عدا من فوقهم ومن تحتهم ، وهذا لأنه لا يستطيع أن يجرؤ على العلوية الإلهية ولا يمكن أن يصل إلى تحتية العبودية . وهذا ما وضحه ابن الجوزي بعد ذلك .

(٦) وذلك لقوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ أي الذين يتصلون بالأعلى .

٢ - مجلس في ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها

سورة الزلزلة وما تشير إليه

قال الله عز وجل: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾(١) هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوِّف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان، ويمتثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها. قال الله سبحانه وبحمده: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ يقول إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل في بطنها جميع ما خرج منها. وزلزلتها من شدة صوت اسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان(٢) الدنيا وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها. وذلك إذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم، وترك الجهاد، وظهر الفساد، وفشا الربا، وكثر اللواط والزنا، وركبوا الفواحش والفجور، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور،

---

(١) الزلزلة ١ .

(٢) أحيان : جمع حين أي أوقاتها .

وأمر قوم بالمعروف رتركوه و عن المنكر وفعلوه، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم، وقرىء القرآن فلم يعمل به، واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب، وتزيّن[1] الفساق بالمعاصي والذنوب، فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يتول الله يا إسرافيل انفخ الصعق[2] فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلا، فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغربها، وذلك من غضبة ها الجبار على المنافقين والفجار *

صفة إسرافيل

وإسرافيل عليه السلام ملك عظيم جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة السفلى بخمسمائة عام والسموات السبع إلى ركبتيه ، وعنقه ملوي تحت العرش والعرش على كاهله . وقد مدَّ الرجل اليمنى وأخَّر اليسرى ، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ في الصور والصور قرن من نور[3] *

قال النبي ﷺ : « الصور قرن من نور ، والذي نفسي بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والأرض » .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت بأذنيه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ في الصور[4] فإذا نفخ فيه مات أهل السموات والأرض إلا أربعة أملاك فإنهم لا يموتون إلا بعد موت الخلائق وهم ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فمن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها إلى

(١) وهذا ما يموج في عصرنا الحاضر المنكوب .
(٢) أي نفخة الموت والإفناء والهلاك .
(٣) هذه الصفات التي أوردها ابن الجوزي من الغيبيات التي لا نتوقف عندها كثيراً ، ولكن ما ورد به نص قطعي من الغيبيات نؤمن به وليس لنا أن نتعب أنفسنا في فهمه أو تصوره .
(٤) أوضحنا معنى الصور بإسهاب في كتابنا (مواقف يوم القيامة) .

مغربها فلا يبقى عليها بناء إلا انهدم إلاّ المساجد فإن أساسها يبقى لا ينهدم لفضلها عند الله تبارك وتعالى ، لما عُبِدَ فيها ووحِّد وقريء كلامه فيها وذلك قوله تعالى ﴿ كلُّ شيء هالكٌ إلاَّ وجهه ﴾[1] جاء في التفسير أن الأشياء كلها تهلك إلا عملاً يراد به وجه الله تعالى ، والمساجد لا تهلك لأنها إنما بيت لوجه الله تعالى *

خشية النبي من هبوب الريح

روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه ، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخرى من شدة خوف قيام الساعة ولزلزلة الأرض ، فإذا كان رسول الله ﷺ يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله[2] ؟ فكيف بمن أفنى عمره في السهو والغفلات ، وقطع أيامه باللهو والبطلات ، وضيع أوقاته في العصيان حتى مات ؟؟ وأنشدوا :

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ ... وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ
وفعلك فعل الجاهلين بربهم ... وعمرك في النقصان بل أنت ظالمُ
فلا أنت في الأيقاظ يقظان حازم ... ولا أنت في النُّوام ناجٍ وسالمُ
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالمُ
فلا تحمد الدنيا لكن فذمها ... ولا تكثر العصيان إنك ظالمُ

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « إنتهيت ليلة أسرى بي إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلاً وأخَّر أخرى والعرش على منكبه[3] والصور في فيه بين شدقيه وقد تهيأ للنفخ في الصور فما ظننت أن

(١) القصص ٨٨ .
(٢) وهذا يؤكد لنا بالدليل القاطع أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم موعد الساعة ، إذ خاض في ذلك أناس كثيرون بما يتعارض مع كتاب الله الكريم وسنة رسوله .
(٣) المنكب : مجمع وملتقى العضد بالكتف .

أبلغ الأرض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيئته للنفخ »

سئل رسول الله ﷺ عن إسرافيل فقال : « له جناح بالمشرق وجناح له بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض السابعة السفلى والعرش على كاهله[1] وإنه ليفكِّر في كل يوم ثلاث ساعات في عظمة الله تعالى فيبكي من خوف الجبار حتى تجري دموعه كالبحار فلو أن بحراً من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والأرض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع » والوضع طير صغير يشبه العندليب ، والعندليب أصغر ما يكون من الطير ، فالله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها *

قال الله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرضُ زلزالها ﴾ تتحرك الأرض وتتمخض[2] وتتطاير الجبال وتنقلع الشجر وتنهدم المباني فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شيء إلا دخل في جوفها *

قال عكرمة : إنما تقوم الساعةُ على شر الخلق *

متى ينفخ في الصور

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني ، فكان النبي ﷺ يقول[3] : « في آخر الزمان فتنٌ كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ومنهم من هو في سوقه ومنهم من هو في حرثه ومنهم من هو في سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق . ومنهم من

---

(١) كاهله : ما بين كتفيه .

(٢) تتمخض : تتحرك .

(٣) في الأصل (يقولون) وهو تحريف .

يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم » *.

وإسرافيل لا يقطع الصيحة[1] حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ، ويدخل الكلُّ بعضه في بعض في بطن الأرض والناس خمود صرعى فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة في فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التي فيها قناديل النجوم فتستوي بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب والسرادقات ، والصادقون[2] والمسبحون وحملة العرش والكرسي وأهل سرادقات المجد والكروبيون[3] ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام *

كيف يموت جبريل[4]

يقول الجبار جل جلاله يا ملك الموت من بقي ؟ ـ وهو أعلم ـ فيقول ملك الموت سيدي ومولاي أنت أعلم بقي إسرافيل وبقي جبريل وبقي ميكائيل وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى : إنطلق يا جبريل فاقبض روحه ، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً راكعاً فيقول له : ما أغفلك عما يراد بك يا مسكين ، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسي

---

(١) في الأصل (الصحية) وهو خطأ .
(٢) في الأصل (والصافون) وهو تحريف .
(٣) الكروبيون : طائفة من الملائكة كثيرو الحزن ،شديدو التأثر طويلو ، العبادة ، وهم من خلصاء الملائكة ، وأكثرهم عبادة لله جل شأنه .
(٤) لم توضع علامة إستفهام (؟) ولعل هذا سهو .

والسرادقات وسكان سدرة المنتهى وقد أمرني المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى : يا الله هوِّن علي سكرات الموت[1] . فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله من بقي يا ملك الموت؟ - وهو أعلم - فيقول مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت .

كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله إنطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك ! ما بقي لبني آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام ، قد مات أهل السموات وأهل الأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي وسرادقات المجد والكروبيون والصادقون والمسبحون وقد أمرني ربي بقبض روحك ، فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهوِّن عليه سكرات الموت ، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمةً يقبض فيها روحه فيخر صريعاً ميتاً لا روح فيه ، فيقول الجبار جل جلاله من بقي ؟ - وهو أعلم - يا ملك الموت فيقول مولاي وسيدي أنت أعلم بقي إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *

كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك ! قد

---

(١) وهنا يجب أن يفطن الناس إلى أن جبريل نفسه والملائكة أجمعين سيقبضهم ملك الموت بأمر من الله سبحانه وتعالى ، وأنهم على حسن طاعتهم وعبادتهم لله جل شأنه يخافون أيضاً ويتهيبون سكرات الموت .

ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد وقد أمرني ربي ومولاي أن أقبض روحك ، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت ، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول مولاي هوِّن علي مرارةَ الموت فيضمه ملك الموت ضمةً يقبض فيها روحه فيخر ميتاً صريعاً ، فلو كان أهل السموات في السموات وأهل الأرض في الأرض لماتوا كلهم من شدة رجة[1] وقعته *

كيف يموت ملك الموت[2]

فيقول الجبار تبارك وتعالى من بقي يا ملك الموت ؟ ـ وهو تعالى أعلم ـ فيقول مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار ومت ، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا من عند آخ هم[3] من شدة صيحته فيموت[4] ، فتبقى السموات خالية من أملاكها ، ساكنة أفلاكها ، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهّار الذي خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً ، ولا تحس حسيساً ، قد سكنت الحركات ، وخمدت الأصوات ، وخلت من سكانها الأرضون والسموات *

لمن الملك اليوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول : يا دنيا أين أنهارك ؟ وأين

---

(١) في الأصل : وجية ولعلها تحريف .

(٢) لم ترد أيضاً علامة إستفهام هنا ولا في العنوان السابق وهي مهملة في كثير من عناوين المواضيع المختلفة .

(٣) كذا بالأصل ولعلها : (عن آخرهم) أصوب .

(٤) راجع في هذا كتاب (يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النا ر وأصحاب النار) للإمام الشيخ صديق حسن خان تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

أشجارك ، وأين سكانك ، وأين عُمَّارك ، أين الملوك وأبناء الملوك ، وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة ، أين الذين أكلوا رزقي ؛ وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري[1] لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى الملك لله الواحد القهّار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال في قبره ثم يقول يا دنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى : ﴿ لله الواحد القهّار فتبقى الأرضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك ، وقد قيل تبقى أربعين يوماً وهو مقدار ما بين النفختين ، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماؤه يشبه مني الرجال ينزله ربنا أربعين عاماً فيشق ذلك الماء الأرض شقاً فيدخل تحت الأرض إلى العظام البالية فتنبت بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر[2] .

كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾[3] إلى قوله ﴿ كذلك يخرج الموتى ﴾ الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتي بماء الحياة[4] ، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والأشعار فيرجع كل

---

(١) يقصد بذلك الذين كفروا بأنعم الله وعبدوا الشياطين والمخلوقين وأدخلوا البدع والوثنيات في شريعة الله .

(٢) اختلف العلماء هل تبعث أجسامنا هذه بنفسها أم يخلق الله للأرواح أجساماً أخرى ؟ ولكنا نرى أن البعث سيكون لهذه الأجسام التي نحن عليها في الدنيا لقوله تعالى : ـ ﴿ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم ﴾ يونس ٤٥ ولا يكون هذا إلا بتشابه السمات في الدنيا والآخرة .

(٣) الأعراف ٥٧ .

(٤) وهكذا دأب القرآن الكريم حينما أراد أن يعطينا يقيناً بأمر غيبي فإنه يسبقه بمشهد مادي دنيوي .

عضو إلى مكانه الذي كان فيه في دار الدنيا فتلتئم الأجساد بقدرة الجبار جلَّ جلالُهُ وتبقى بلا أرواح ، ثم يقول الجبار جل جلاله : ليبعثن إسرافيل ، فيقوم إسرافيل عليه السلام حياً بقدرة الله تعالى فيقول له الجبار يا إسرافيل التقم الصور وازجر عبادي لفصل القضاء ، فأول ما يحيي الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور *

صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد أرواح العباد فتجتمع الأرواح كلها فتجعل في الصور *

أين يقف إسرافيل

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادي في الصور وهو في فيه قد التقمه والصخرة أقرب ما في الأرض إلى السماء وهو قوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادي المنادى من مكان قريب ﴾[1] ويقول إسرافيل في ندائه : أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والأشعار المتبددة والعروق المتمزقة ، لتقمن إلى العرض على الملك الديَّان ليجازيكن بأعمالكن فإذا نادى إسرافيل عليه السلام في الصور خرجت الأرواح من أثقاب الصور فتنتشر بين السماء والأرض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره ، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الإيمان وبنور أعمالها الصالحة ، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر ، وإسرافيل يديم الصوت والأرواح قد انتشرت بين السماء والأرض ثم تدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فيدخل كل روح إلى جسده الذي فارقه في دار الدنيا ، فتدب الأرواح في الأجساد كما يدب السم في الملسوع[2] حتى ترجع إلى

---

(١) ق ٤١ .

(٢) الملسوع : الذي لسعته عقرب .

أجسادها كما كانت في دار الدنيا ، ثم تنشق الأرض من قبل رؤوسهم فإذا هم قيام على أقدامهم ينظرون إلى أهوال يوم القيامة ، وإسرافيل عليه السلام ينادي بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مداً والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق إلى أرض القيامة *

ملازمة الأعمال للأجساد

فإذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذي عمله في الدنيا لأن عمل كل إنسان يصحبه في قبره ، فإن كان العبد مطيعاً لربه وعمل عملاً صالحاً كان أنيسه في الدنيا ، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الأهوال ومن هموم القيامة وكروبها(١) ، كلما نظر العبد المؤمن إلى نار أو إلى هول من أهوال القيامة جزع فيقول له عمله : يا حبيبي ما عليك من هذا شيء ، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذّب بآياته واتبع هواه ، وأنت كنت عبداً مطيعاً لولاك ، متبعاً لنبيك تاركاً لهواك فما عليك اليوم من همٍ ولا حزن حتى تدخل الجنة *

العمل السوء وهيأته

وإذا كان العبد خاطئاً وعاصياً لذي الجلال ومات على غير توبة وانتقال ، فإذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي عمل في دار الدنيا وكان قد صحبه في قبره ، فإذا نظر إليه العبد المغتر بربه رآه أسود فظيعاً فلا يمر على هول ولا نار ولا شيء من هموم القيامة إلا قال له عمله : يا عدو الله هذا كله لك وأنت المراد به ، وأنشدوا :

أي يوم يكون يوم النشور ... يوم فيه يفوز أهلُ القبور
يوم فيه الجزاءُ جنةُ عدن ... لمطيع ومن عصى في سعيرِ

---

(١) كروبها : شدائدها .

خـاب من قـد عصى وفـاز مـطيـعٌ　　راقـب الله فـي جـمـيـع الأمـورِ
قـام فـي الـليـل لـلإلـه ذلـيـلاً　　ليس يخلو من خـوفـه لـلقـديـرِ
خـاف من عِـظَمِ يـوم هـول شـديـدٍ　　شـدةَ الهَـوْلِ من عـذاب الـزفيـرِ

فالله الله عباد الله ، معشـر المريـدين انتبهوا من هـذا المنام ، واهجـروا الفواحش والآثام ، وارجعـوا إلى طاعـة الملك العلاَّم ، من قبـل أن يأتي يـوم تشَّققُ السماءُ فيه بالغمام *

إخراج الأرض ما فيها

قال الله تعالى ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾[1] يعني ما فيهـا من الموتى والكنوز[2] ، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسـرارهـم[3] من أعمال الطاعة وأعمال العصيان . فيـأمر الله تعـالى أن تخرج أعمـال العباد وذلـك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره[4] ، فـإن كان عمله صـالحاً وجده نوراً يستره ويحجبه ، يستـر عورتـه من أعين الناس ويحجبـه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة ، وإن كان عملاً سيئـاً وجده ظلمـة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة *

هذا كله في النفخة الثانية ، وبين النفخة الأولى والثانيـة أربعون سنـة ، فهو قوله ﴿ أخرجت الأرض أثقالها ﴾ *

فمثـل لنفسـك يـا مغـرور وقـد تـرادفت[5] عليـك الهمـوم والكـروب ، وأحاطت بك الأهـوال والخطوب ، وأظهـرت لك القبـائح والعيـوب ، وأثقلت ظهرك الأوزار والذنوب وأنشدوا :

---

(١) الزلزلة ٢ .
(٢) لأن الناس أثقال على الأرض حتى إذا ماتوا صاروا أثقالاً فيها .
(٣) ربما يكون قد قصد سرائرهم .
(٤) شفير قبره : حرف قبره .
(٥) ترادفت : تتابعت وتكاثرت .

قـد سـوَّدت وجهي المعـاصي وأثـقلت ظـهـري الـذنـوبْ
أورثـني ذكـرهـا سـقـامـاً فليس لي في الـورى طبيبْ
يـا شؤم نفسي غـداةَ حشـري إذا أحـاطـت بـي الـكـروبْ
وصـوتُ داع دعـا بـإسـمي أين مفـري ومـا أجيبْ ؟ (١)
هـذا كتاب الـذنوب(٢) فـأقـرأ فعنـدهـا تـظهـر العيـوبْ

ذكر أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقفٌ عليها ، فإذا نظر إلى ما قدم في أيـامه قـال له الملك : يـا عدو الله خـذ عملك فاحمله على ظهـرك كما كنت تلتـذ به في الـدنيـا ولم تـراقب مـولاك ، وقد علمت أنـه مطلع عليـك ويـراك ، فيـأخـذ العبـد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيـا والنار تسـوقه إلى المـوقف(٣) وملك يسوقه سوقاً حثيثاً بالعنف والإنتهار والإغلاظ عليه ، وآخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه . وأنشدوا :

كيف احتيالي إذا جاء الحسـاب غداً وقـد حشـرت بـأثقـالي وأوزاري
وقـد نـظرت إلى صحفي مسودةٌ من شؤم ذنب قديم العهد أو طـاري
وقـد تجلى لهتـكِ الستـرِ خـالقُنَـا يـوم المعـاد ويـوم الـذُّلِّ والعـارِ
يفـوز كـلُّ مـطيع للعـزيـز غـداً بـدارِ عـدن وأشـجـارٍ وأنـهـارِ
لـهـم نـعيـمٌ خـلودٌ لا نـفـاذَ لـه يُخَلَّدون بـدارِ الـواحـدِ البـاري
ومن عصى في قـرار النـار مسكنـه لا يستـريـح من التعـذيب في النـارِ
فـأبكـوا كثيـراً فقـد حق البكـاء لكم لا يستريح من التعذيب بدمعٍ واكفٍ جاري

---

(١) هذا البيت غير مستقيم الوزن ، ولو أنه قال (ولا مفر) لاستقام .
(٢) يقصد بذلك قوله تعالى : ـ ﴿ ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ الإسراء ١٤ .
(٣) الموقف : أي إلى مكان العرض على الله سبحانه وتعالى .
ويـوم القيامـة يسحب المجرمين مـلائكة غـلاظ شداد لعـرضهم على الله سبحانـه وتعالى في موقف العرض قال تعالى : ﴿ وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد ﴾ إبراهيم ٤٩ .

فالله الله يا أولى الألباب ، تفكروا في هول يوم الحساب ، ولا تنسوا المطالبة برد الجواب وأشفقوا على أنفسكم من أليم العذاب ، وأرجعوا إلى طاعة رب الأرباب ، وأبكوا على ما سلف من ذنوبكم بانتحاب *

مدة النفخ في الصور

ذكر أن إسرافيل عليه السلام لا يقطع النداء في الصور حتى تُخرج الأرض جميعَ ما فيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيء ، فإذا كمل العباد في الموقف وكل إنس الأرض وجنِّها ووحوشها ودوابِها وطيرِها وأنعامِها وهوامها حتى الذباب ؛ قطع إسرافيلُ النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الأرض غير الأرض والسمواتِ ، ففي تبديلها قولان .

هيأة أرض الحساب

أحدهما أن الأرض التي يحاسب العباد عليها هي أرض من فضة بيضاء لا جبل فيها ولا بناء ولا بحار ولا أنهار ولا أشجار ، ما سفك عليها دمٌ ولا عصي الله تعالى عليها يأتي بها من غامض علمه ويقول لها كوني فتكون ، وقد أضرم تحتها النيران وتكون هذه الأرض(١) في عظم تلك الأرض مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود *

وقد قيل : إن تبديل الأرض هدم مبانيها ، وغور مياهها ، وانقطاع أشجارها ، وتسجير بحارها ، وتسيير جبالها ، وتبديل السماء ، وتكوير شمسها وقمرها ، وانكدار نجومها ، وتعطيل أفلاكها ، وتشققها . فهذه تبديل الأرض والسموات والله أعلم بحقيقة ذلك *

---

(١) وتسمى أرض المحشر أيضاً بالساهرة ، والعرض تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها ، وسميت أيضاً بالساهرة لأن الذين يبعثون يوم القيامة فيها لا ينامون على طول المكث والانتظار للحساب ، وهذه الأرض البيضاء العفراء الصفصف ليس فيها علم لأحد ولم توطأ من قبل .

كيف يقف الناس في المحشر(١)

فإذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر إلى السماء ولا يرتد إليه طرفه ولا يدري أحد من يقف بجواره لا رجل ولا أمرأة ولا يدري الأخ بأخيه ولا الوالد بولده ولا الأم بإبنها . كل إنسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال ، وكل واحد منهم يفكر فيما قد جاء به من العصيان ، وفرَّط فيه من الطاعة والنسيان ، فالكل ينظر إلى ما ينزل به الأمر من السماء من شقاوة أو سعادة *

مقدار زمن الحشر

ويقال والله أعلم : إن الوقوف يكون مقدار ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لا خبر يتنزَّل ولا خبر يصعد . قد كثر الزحام فلا تسمع إلا همس الأقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم ، يومئذ لا ينفع البكاء ولا الندم . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آ ... من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدنـ ... ـيا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاعٌ ... كلُّ ما فيها غرور
فتذكر هولَ يومٍ ... السما فيه تمور(٢)

بكاء النبي من أهوال القيامة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خوَّفني جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكاني فقلت له حبيبي جبريل أليس قد غفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ؟ فقال يا محمد لتشاهدن من الأهوال يوم القيامة ما

---

(١) وهنا أيضاً سقطت علامة الاستفهام .

(٢) تمور : تموج .

ينسيك المغفرة ، فبكى رسول الله ﷺ حتى بلَّت دموعُه لحيَتَهُ » فإذا كان رسول الله ﷺ يبكي من هول يوم الحساب وقد أمَّنه الجبار من أليم العذاب ، ووعده بالجنة وحسن المآب ، فكيف بأمثالنا المساكين ؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب ، وخالف السنة والكتاب ، وأطاع الشيطان وأفنى عمره في معصية الملك الوهَّاب ؟ وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ كلَّا إذا دُكَّت الأرضُ دكاً دكاً ﴾[1] هو تحريكها ، وقيل دكّاً دكاً إذهاباً *

معنى دك الأرض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين ، دكاً دكاً وصفاً صفاً ؟ فقال : تدكدك الأرض دكاً بعد دك ، أي تحرك مرة بعد أخرى حتى لا يبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر . وقوله صفاً صفاً ، تأتي الملائكة صفاً بعد صف كلٌّ ملك قد شغل بنفسه لعظم ما يرى من ظهور الأهوال . فإذا كثر زلزال الأرض ﴿ فحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الأرض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد[2] من بين قديم وجديد ، فيا له من يوم ما أهوله ومن بلاءٍ ما أطوله ، ومن جبار ما أعدله . قد أفنى العباد بالحمام[3] فلا يرى أحد من الأنام . فإذا استوى الأولون والآخرون في أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالى السموات أن تنشق فتنشق كلٌّ سماء وتتقطع مثل قطع السحاب ، وقيل كما يتطاير القطن بين يدي القطّانين إذا ندفوه *

فمثل لنفسك صوت إنشقاقها في سمعك ، وكيف يثبت له فؤادك ، ويستقر لفظاعة هوله قدمك ، فقدم في أيام حياتك ما يقيك تلك الأهوال لأن

---

(١) الفجر ٢١ .

(٢) لعله يريد كل قصر (مشيد) .

(٣) الحمام : الموت .

الخلق في أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا من خير وشر ، فمن عمل صالحاً وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم آمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه ، ومن لم يقدم في دنياه عملاً صالحاً لأخراه لقيته صعاب الخطوب ، وترادفت عليه الهموم والكروب ، فيندم حين لا تنفعه الندامة إذا حل في أهوال القيامة *

الأمن والخوف

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى إذا خافني عبدي في الدنيا آمنته يوم القيامة وإذا آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » فإذا إنشقت السمواتُ بلغت القلوب الحناجر ، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل في الظواهر والسرائر ، إذا انشقت السماوات عظمت المصائب ، وكثرت النوائب ، وندم العبد على ما فرط في الدنيا وضيع من الثواب والرغائب *

فإذا إنشقت السماوات عظمت الرزيّات[1] ، وكثرت الآفات ، وظهر العذاب وحلت العقوبات ، وأظهر الله مخبآت السريرات ، وندم العبد المغرور على ما أذنب في الأيام والأوقات ، وما جنى في الشهور والساعات *

فإذا انشقت السماوات كثرت الأحزان ، وبرزت النيران ، وأزلفت الجنان[2] ، وندم العاصي على ما عمل من العصيان ، وعلى ما فرَّط[3] فيه من طاعة الرحمن فانتبهوا لهذه الأهوال يا معشر الأخوان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، فإن الهول والله عظيم ، والخطب كبير جسيم *

ملائكة سماء الدنيا

فإذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة بأجمعها ، فإذا نزلت

(١) الرزيات : والرزايا المصائب .
(٢) الجنان : الجنة .
(٣) فرط في الطاعة : ضيعها .

ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الأرض وظنوا أنهم قد أمر فيهم بأمر ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيا لا تجزعوا منا فإنا نخاف من الذي تخافون ، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الأرض إنسها وجنها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفاً ، فتبقى العباد يموج بعضهم في بعض *

ملائكة السماء الثانية

ثم تنزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عدداً وأعظم خلقاً ممن اجتمع في الأرض سبعين ضعفاً ، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في الأرض فيقولون لهم لا تجزعوا نحن مشغولون بأنفسنا ونخاف مما تخافون منه . فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم ، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفاً . وكأنَّ أهل كل سماء في صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم ما يرى وما يبدو له . وأنشدوا :

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم ... وقبل يؤخذ بالأقدام واللممِ
والناس أجمع طرّا شاخصونَ غداً[1] ... لا ينطقون بلابكم ولا صممِ
والخلق قد شغلوا والحشرُ جامعهم ... واللهُ طالبهم بالحلِّ والحرمِ
وقد تبدَّى لأهلِ الجمعِ كلِّهم ... وعدُ الآلهِ من التعذيبِ والنقمِ
وكلُّ نفسٍ لدي الجبارِ شاخصةٌ[2] ... لا ينطقون بلا روحٍ من الزحمِ

الجبابرة في الحشر كالذر

روي أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر[3] أصغر الناس

(١) بالأصل (عرا) .
(٢) شاخصة : فاتحة عينيها لا تطرف .
(٣) الذر : صغار النمل .

خلقة لتجبرهم على العباد في الدنيا قد صارت العزة للغني الحميد ، ولزمت الذلة كل جبار عنيد ، وشيطان مريد قد ترادفت عليهم الهموم والأهوال ، وظهرت لهم العقوباتُ والأنكال ، وندم كلُّ مذنبٍ بطّال ، فحينئذ لا حيلةَ لمحتال (في يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال) شعر :

مقامُ المذنبين غداً عسير ... إذا ما النار قربها القديرُ
وقد نصب الصراطَ لكي تجوزُوا ... فلا ينجو الكبيرُ ولا الصغيرُ
وقد نُسِفتْ جبالُ الأرض نسفاً ... ويُبِّست البحور فلا بحورُ
وبرزت الجحيم لكل عبد ... على أهل المعاد لها زفيرُ[1]

عباد الله تفكروا واعتبروا ، وابكوا وتباكوا[2] ، واستعدوا لليوم الثقيل ، والهول الكبير ، والخطب الجليل ، والعذاب الشديد الطويل *

حديث في أهوالِ يوم القيامة

ذكر في بعض الأخبار عن النبي المصطفى المختار ﷺ وعلى آله الأخيار دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال : « لِيَوم القيامة مائةُ ألف هولٍ كلّ هولٍ أعظم من الموت مائة ألف مرة » فاندم يا مسكين على ما صنعت وفات ، وأصلح بالتوبة النصوح ما هو آت ، من قبل أن يأتي يومٌ لا مردَّ له من الله ليس للظالمين من نصيرٍ ، ولا للعاصين من مجير ، ولا لأحد من ملجأ ولا نكير *

شدة الحر والظل

فإذا تكامل أهلُ السموات ، وأهل الحجب والسرادقات ، وحملة

(١) الأبيات من بحر الوافر ولكن البيت الأخير غير مستقيم الوزن ولعله لو قال (وقد دنت الجحيم بكل كرب) لاستقام .

(٢) لا يناسب هنا قوله (وتباكوا) فإن حذفها أولى من ذكرها بعد قوله (وأبكوا) .

العرش والكرسي وجميع أهل الأرض في عرصة القيامة[1] وازدحمت الخلائق واختلفت الأقدام ، وشخصت الأحداق وتطاولت الأعناق ، وانثنت من شدة العطش ، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس ، ارتفع العرق على وجه الأرض حتى يعلو على الأبدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التي أنزلتهم عليها أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا ، وقد زيد في حر الشمس ما يتضاعف ـ قيل حر عشر سنين ـ ولا ظل يومئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة إلا على قدر عمله ، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين ضاح باد بحر الشمس ؟!

مطر الرحمة

وقد قيل : إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث[2] على طائفة من عباده وترمي جهنم شرَرَها على طائفة أخرى ، فكم من مستريح ببرد ماءِ الأمطار وبين ملتهب بحر شرر النار ؟ فمن قطع عمره في الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن ، خلَّصه مولاه من جميع الهموم والأحزان *

ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب ، وتقطَّعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب ، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول في أليم العذاب ، وقد صارت العزة لذي البطش الشديد ، ولزمت الذلة[3] كل جبار عنيد ، ثم رجعت السماء كالمهل[4] وهو دردي الزيت الذي يجلس في قعر الإناء قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق

(١) عرصة القيامة : جمعها عرصات وهي ساحة القيامة .
(٢) الغيث : المطر .
(٣) في الأصل : (ولزمت العزة) وهو خطأ .
(٤) المهل : القيح والصديد ، وقيل هو النحاس المذاب .

وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف ما يكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض وقيل كالجراد المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لا يأخذ بجهة واحدة . كذلك الخلق يموج بعضهم في بعض لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها ، وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وشهد على الأمم بأعمالها . وشاب الوليد ، وحضر الوعد وحق الوعيد ، وعظم الهول الشديد ، وذلَّ كلُّ متكبر وجبارٍ عنيد . قد خضعت الرقاب لرب الأرباب(١) ، وخاب كلُّ كفَّار كذَّاب ، واشتد الهول وعظم العذاب ، فتفكروا فيما تسمعون يا معشر الأحباب ، وانظروا لأنفسكم يا جماعة الأخوان والأصحاب ، واستعدوا لأهوال القيامة يا أولي العقول والألباب . وأنشدوا :

مثِّل لقلبك أيها المغرور ... يومَ القيامةِ والسماء تمورُ
قد كُوِّرت(٢) شمسُ النهارِ وأضعفت(٣) ... حراً على روس(٤) العبادِ تفورُ
وإذا الجبالُ تعلقت بأصولها ... فرأيتها مثل السحاب تسيرُ
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كدورُ(٥)
وإذا العشار تعطلت عن أهلها ... خَلَت الديارُ فما بها معمورُ(٦)
وإذا الوحوش لدي القيامة أحضرت ... وتقول للأملاك أين نسيرُ
فيقال سيروا تشهدون فضائحاً ... وعجائباً قد أُحضِرَت وأمورُ
وإذا الجنين بأمه متعلِّقٌ ... خوفَ الحساب وقلبُهُ مذعورُ

---

(١) أكثر ابن الجوزي من هذه القولة (رب الأرباب) ونحن لا نوافق على ذلك لسد ذريعة الشرك عند العوام والبسطاء فقد يتوهمون أن هناك أرباباً صغيرة أو أخرى .

(٢) كورت الشمس : قال قتادة ذهب ضوؤ ها .

(٣) أضعفت : أي ازدادت ضعفاً .

(٤) روس : يقصد بها رؤ وس ووردت هكذا للتخفيف لضرورة الوزن .

(٥) لم يلتزم ابن الجوزي في أشعاره بالوزن أو الموسيقى الشعرية مما يبين لنا أنه لم يكن ممارساً للشعر عن موهبة ، وإنما هذه نعتبرها خطرات ذهن ، لأن فيها من السطحية والسذاجة الشعرية ما أربأ به عليها وهو الفقيه العالم الإمام الفذ عبقري زمانه وعملاق عصره .

(٦) ربما قصد بها (معمر) وتجوز (معمور) أيضاً .

هـذا بـلا ذنـبٍ يخـافُ لـهـولـه كيف المقيمُ على الذنوبِ دهـورُ ؟؟

جهنم في المحشر

فإذا اشتد الفرق ، وسال العرقُ ، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم أعاذنا الله وإيـاكم منها وزحـزحنا وإيـاكم عنها بـرحمته ، فيؤتي بهـا وأهوالهـا وأنكالها وسلاسلها وأغلالها ، وقـد اشتد جحيمُهـا وغلا حميمُهـا وكثر زقـومها وغضب زبانيتها وعظم سم حيَّاتها وعقاربها واسودت جبـالها وهـاجت بحارهـا ونتن غسلينها[1] وغلى سمومها وقد اجتمعت مما خلق الله فيما من عظيم بلائها ، فأبرزت للخلائق وهم ينظرون إليها من مسيرة خمسمائة عام *

وصف جهنم

قـال الله تعالى : ﴿ وبـرزت الجحيم لمن يرى ﴾ فيـراها الخـلائقُ كلُّها وهي تغتـاظ على العبـاد[2] ، وتغضب لغضب الجبـار جـل جـلالـه وتتغيظ وتتسعر ، عليها سبعـون ألف زمام من حـديد قـد تعلق بكل زمـام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونهـا عن الخلائق وهي تـريد أن تنفلت من أيـديهم وتـأتي على أهل المـوقف والمـلائكـة التي يحبسـونهـا وجـوههم مثـل الجمـر وأعينهم مثل البرق الخاطف ؛ فإذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه ، بيد كل واحدٍ منهم أرزبةٌ من حديد من نار فيها إثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيـات العظام ورؤ وسهـا كـرؤ وس الأفـاعي وهي أخف في يـدي الملك من الـريشة وأعينهم زرق ووجـوههم كَلِحةٌ قـد خلقـوا من نـار السمـوم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدي الملائكة من غضب الجبار جل جلاله *

هـذا كلَّه قـالـه الضحـاك عن الأئمـة عن ابن عبـاس رضي الله تعـالى عنهم .

---

(١) الغسلين : ما إنغسل من لحوم أهل النار ودمائهم .

(٢) ولـذلك تغيـر وجـه النبي ﷺ عنـدمـا نـزل عليـه قـولـه تعـالى : ﴿ وجيء يـومئـذ بجهنم ﴾ ، الفجر ٢٣ .

بطش جهنم

فإذا جاءت جهنم بـأمر الله تبـارك وتعالى جـاءت بالهـول الأكبر والفـزع الأعـظم فيخرج من نفسهـا وهـجٌ شـديـدٌ ويسمـع من جـوفهـا دوي سـلاسـل الحـديد . فـإذا قربت من الخـلائق سمعوا لهـا شهيقاً ورأوا لهـا حريقـاً ، فإذا نـظرت في أهـل المعـاصي ثـارت وفـارت وأرادت أن تثب عليهم فـاغتـاظت وتمحمحت إليهم[1] وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريـد أن تنفلت من أيـدي الخزان فتهـرب الخلائق فـلا يجدون منفـذاً ولا مكانـاً يستغيثون إليـه ، ومنـادى ينـادي (يـا معشـر الجن والإنس إن إستـطعتم أن تنفـذوا من أقــطار السمـوات والأرض فانفـذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان)[2] أي بحجة ، ثم ترجـع جهنم بسلطانهـا على خزانهـا لشدة غضب الجبـار على من عصى الله وخالـف رسـوله ، فـإذا انفلتت من أيـدي الـزبـانيـة أرادت أن تقبض على كـل من في الموقف فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمـد الرسـول وكل نبي يـومئذ بنفسه مشغول *

رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها ، ويقبض علي خـطامها ، فيـردها على عقبهـا وهـو ﷺ يقول لهـا : كفِّي عن أمتي ، فتخمد من نـوره ﷺ وتناديـه أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم ، خلِّ سبيلي من يديك ، فما جعل الله لي ولا لغيري من سلطان عليك فيناديها الملك الجليـل الجبار ، هذا محمـد حبيبي سيد الأبـرار ، ووزير الأخيـار ، فالـطاعة لمن لـه الوسيلةُ والشفاعةُ فعند ذلك تضع جهنمُ رأسها[3] خاضعة كالحة كليلة[4] تحت سكون وخمود

---

(١) كذا بالأصل ولعل هذا تحريف عن حمحمت أي طلبتهم .

(٢) الرحمن ٣٣ ، والسلطان هنا هو سلطان العلم .

(٣) هذه كلها أمور غيبية ولكنها يقينية مع اختلاف التصور لها من شخص لآخر .

(٤) كليلة : أي مكدودة متعبة .

بإذن الملك المعبود ، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والكرم والجود ، وإقامة الحقائق والحدود . ولو تركها خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، لأهلكت الخلائق أجمعين ، غضباً لغضب رب العالمين . أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين *

جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها ، إذا نظرت إلى الكفار والمنافقين والفجار ، وأصحاب الخطايا والأوزار ، زفرت زفرة فترمي شرراً على رؤوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحر ورمل البر ، فتقع على رؤوس الكافرين والعاصين لرب الأولين والآخرين . فلو كانت الدنيا باقية لانهارت جبالُها ، وجفت أزهارُها ، ويبست[1] عيونها وأنهارها ، من شدة حر جهنم ، ولو كان ثمَّ موتٌ لمات الخلق كلهم *

الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الأولى فلا تبقى دمعة في عين إلا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ولا يسأل أحد إلاّ نفسه البر والفاجر *

الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهي أعظم من الأولى والثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا صديق إلا جثا على ركبتيه حتى إبراهيم وجميع المرسلين إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد ﷺ خاتم النبيين فإنه لا

---

(١) يبست : أي جفت .

يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها *

الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة وهي أعظم من الأولى والثانية والثالثة فتلقى الزبانية على وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين ، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش وكل ملك ينادي نفسي نفسي لا أسألك اليوم غيرها . ويقول أيضاً كل واحد منهم بحرمة محمد وبقدر محمد ﷺ نجني من عذابك لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فإذا هرب الخلائق وجهنم تريد أن تأتي عليهم وقد غلا بعضها في بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل على متنها *[1] .

بماذا تخمد النار

فعند ذلك يقبل إليها محمد ﷺ ويلقي يده في زمامها ويلوح إليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو ﷺ يضرع إلى العلي المجيد وهو يقول : يا سلام سلِّم أمتي من العذاب الشديد . وأنشدوا .

الدمع في خد من عصى حسن   حسب الفتى من دموعه الحزن
يا من شكى حافظاه خلوته   لما خلا والعباد ما فطن
قد كان ربي عليك مطّلِعاً   وأنت لاهي الفؤاد مفتتن
لم تهتك السرِّ إذ خلوتَ به   ولا انقضت من عطائه المنن
النار تسعى إلى العصاة غداً   لم يعلم المذنبون ما وسن[2]

يا قوم العجب من القلوب التي بليت بالعباد ، وغفلت عن أهوال يوم

---

(١) متنها : المتن هو الصلب ومتنها ظهرها .

(٢) هذه الأبيات كلها غير مستقيمة الوزن . بل كلها موزونة

المعاد[1] ، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد *

يا أخي كأن المراد بهذا كله غيرنا . ليبعثن الجبار الذليل والحقير ، ويسألهم عن الفتيل والنقير ، وعن الذرة والقطمير ، وعن القليل والكثير ، في اليوم المهول العبوس العسير ، الذي يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير ، رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير .

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها : الله تعالى يقول لك الطاعة فتقول وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته . ثم تقول : يا جبريل هل خلق الله خلقاً يعذبني به ؟ فيقول جبريل : لا ما خلقك الله إلي إلا نقمة لمن عصاه . فتقول جهنم عند ذلك : الحمد لله الذي جعلني نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم مني . عند ذاك والله تعظم الخطوب[2] ، وتظهر القبائح والعيوب ، ويندم أهلُ المعاصي والذنوب . وأنشدوا :

ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور

فإنا لله وإنا إليه راجعون على من باع نفسه في سوق الخسران ، وترك العز ورضي بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران ، وبارز بالخطايا الملك الديَّان .

من أسباب غفران الذنوب

حكي عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال : حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فإذا بضجة الناس ، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله

---

(١) يوم المعاد : يوم القيامة .

(٢) الخطوب : جمع خطب وهي المصائب .

فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من في الجمع فذكرت أني فيهم فأمسكت . وأنشدوا :

يا كثير الذنوب أقصر قليلاً قد بلغت المدى من الإسراف

فإذا اشتد بالخلائق الهلع ؛ وكثر منهم الخوف والجزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر ، نادى الملك الرحمن يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . فإذا سمعت الخلائق هذا النداء طمع كل منهم فيه . فيقول سبحانه ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ فعند ذلك ييأس من الرحمن جميع الكفار والمنافقين والفجار ، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار ، وأتبع سنة محمد المختار . عند ذلك تنشر الدواوين ، وتوضع الموازين وتتطاير الصحف في الألف[1] فكل أمريء بما اكتسب معترف ، فندم الظالم ، وخسر الآثم ، وظهرت في الصحائف الفضائح ، وكثر الخجل واشتد الوجل وبدت الفضائح ، وشهدت على كل أمريء حفظته والجوارح . وأنشدوا :

طال والله بالذنوب اشتغالي وتماديت في قبيح فعالِي
ليت شعري إذا أتيت فريداً والموازين قد نُصبن حيالِي
والدواوين قد نشرن وجئنا والنبيون يشهدون سؤالِي
ما اعتذاري وما أقوال لربي في سؤالي وما يكون مقالِي
أورثتني الذنوب دار هموم لست أبقى لها ولا تبقى لِي
يا عظيمَ الجلالِ مالي عذرٌ بل حقيق أنا بنار السفالِي[2]
غير أن الرجاءَ فيك مكينٌ فارحم العبدَ يا جميلَ الفعالِ
وتفضَّل على عبيد[3] مسيء ليس يرجو سواك يا ذا الجلالِ

---

(١) كذا بالأصل وربما تكون محرفة عن الموقف .
(٢) يقصد بالسفالي أي دركات النار السفلى ولكن اختيار اللفظ غير موفق لأداء المعنى .
(٣) لو أنه قال (وتفضل على منيب مسيء) لاستقام الوزن .

هذا يوم الدين

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين نادى منادٍ هذا يومُ الدين ، هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون » فانظر لنفسك يا مسكين ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا من يقول إنه من المؤمنين المصدقين . وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين ، التاركين لسنن سيد المرسلين وخاتم النبيين . ما أجراك أن تكون عند الله من الكاذبين ، لو خفت من عذاب يوم الدين ، لعملت بالقرآن المبين ، ولو كنت من المؤمنين المصدقين ، لأطعت رب الأولين والآخرين . فسل مولاك أن يفرج عنك ما قد نزل بك من داء الذنوب ، وهتك سترك من القبائح والعيوب . وأنشدوا :

يا طبيب الذنوب والآثام ... هل دواء أبرأ به[1] من سقامي ؟
إنَّ داءَ الذنوب أضعف جسمِي ... ومشيبي موكلٌ بحمامِي
وشفائي أعيا الأطباءَ إنِّي ... قد تغذيتُ مدتي[2] بالحرامِ
وركبتُ الذنوبَ سراً وجهراً ... وتباعدتُ من محلِّ الكرامِ
كيف بالطبِّ أن يعالجَ سقمِي ... وكلامِي يزيدُ قرحَ كلامِي[3]
أيها الناسُ قد علمتم ذنوبي ... واغتراري وشقوتي واجترامِي
وأنا أرغب الدعاءَ فجدوا ... في فكاكِي من الذنوبِ العظامِ
واشتياقي إلى الطواف شديدٌ ... وإلى الركنِ والصفا والمقامِ
وإلى يثرب يحنُّ فؤادي ... كي أزورَ النبيَّ خيرَ الأنامِ
فسلوا الله في الوصولِ فإني ... ذو اشتياقٍ لحج بيتٍ حرامِ
فلعل الإله يغفر جرمي ... وينجى من هولِ يوم القيامِ
ويفك المنَّانُ عبداً ضعيفاً ... مات خوفاً من العذاب الغرامِ[5]

(١) أبرأ به : أشفى به .
(٢) لو قال (فترة) لاستقام الوزن .
(٣) الأولى كلامه بالألفاظ والثانية جمع كلم أي جرح .
(٤) لو قال محل (ذو الجلال) (الرحيم) لاستقام البيت .
(٥) الغرام : الشر الشديد الدائم وقد وضعنا (المنان) محل كلمة (ذو الجلال) ليستقيم الوزن .

موعظة كعب الأحبار

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب : يا كعب خوفنا . فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعاً فقال : يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده أن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التي بأيدي الزبانية الذين يمسكونها بها حتى تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها ، فلو كان لكل آدمي عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد ، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها . فعند ذلك يعرض لها النبي ﷺ وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها : كفى عن أمتي ، كفى عن أمتي ، ثلاثاً . فتقول له : يا أيها النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم ، ما جعل الله لي عليك ولا على أمتك من سبيل . فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الأهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول : يا رسول الله أنقذني من عذاب الله . فيقول له ألم أبلغك رسالة ربي فلمَ عصيت ؟ فيقول له العبد المذنب : يا رسول الله غلبت على شقوتي . فيقول ﷺ : : لا شقوة على أحد من أمتي ، ولا على من قال في الدنيا مخلصاً لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيشفع له إلي الله تعالى فيشفع فيه(١) . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذي الأيادي ... شفيع الناس في يوم التنادِي
إذا نشر الخلائق من قبورٍ ... عراة يبتغون ندا المنادِي
وقُرِّبتُ الجحيمُ لمن يراها ... فيا لله من خوف العبادِ
وقد زفرت جهنم فاستكانوا ... سقوطاً كالفراش وكالجرادِ
وقد بلغت حناجرهم قلوبٌ ... وقد شخصوا بأبصارٍ حدادِ

---

(١) أجمع أهل العلم وجمهرة الفقهاء والسلف أجمعون على أن رسول الله ﷺ سيشفع في أهل الكبائر من أمته ، وسيخرج من النار أهل الكبائر جميعاً من الموحدين ، ولن يخلد في النار إلا من حسبه القرآن من المشركين والكفار .

راجع حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

فيا جبار عفواً منك فالطف ... ويـا رحمن رفقاً بـالعبـادِ
ونودوا للصراط ألا هلموا ... فهذا ويحكم يومُ المعـادِ
تسوقُكُم إليه سوق عنف ... مقـامعُ من زبـانيةٍ شـدادِ
ألا يا معشرَ الإسلامِ هبوا ... من الإغفال في غمر الرقادِ(١)

حديث في الترهيب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » .

فقدموا عباد الله في اليسير من الأيام ، ما يقيكم الأهوال العظام ، والخطوب الجسام ، والزلازل والطوام ، والعذاب الغرام ، فإن العمر يسير ، والأجل قصير ، والزاد قليل ، والهول جليل ، والعذابُ طويلٌ ، واليوم مهولٌ ثقيلٌ . فإنا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه في العصيان ، واستبدل الجنة بالنيران ، والربح بالخسران ، وترك العز ورضي بالهوان ، وعوَّض عن الزيادة النقصان ، ففكر فيما تسمع أيها الإنسان ، وأنا وأنت وكلنا ذلك الإنسان وأنشدوا :

مقام المذنبين غـداً ذليلُ ... وقدرُ الطائعين غداً جليلُ
إذا مُدَّ الصراطُ على جحيمٍ ... تصولُ على العصاة وتستطيلُ
ونادى مالكاً خذ من عصاني ... فإني اليوم لست لهم أقيلُ(٢)

سجود جهنم

ذكر في بعض الأخبار أن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا برحمته

---

(١) بذلك يشرح قول النبي ﷺ (الناس نيام حتى إذا ماتوا انتبهوا) .
(٢) هذا من أجمل ما روى ابن الجوزي من شعر مستقيم البناء والوزن .

عنها ، تستأذن يوم القيامة في السجود فيأذن لها فتسجد ما شاء الله من ذلك ثم يقال لها ارفعي رأسك فترفع رأسها وهي تقول : الحمد لله الذي خلقني لينتقم بي ممن عصاه ، ولم يجعل شيئاً من خلقه ينتقم به مني *

آلهي قد اشتد بلائي وأخمدت ناري ، وغلا حميمي وزقومي ، وكثر نتني وغسليني- وأكل بعضي بعضاً . إلهي عجل علي بأهلي فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك وأتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلّهاً غيرك لا إله إلا أنت . فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعاً ثم تغتاظ على أهل المعاصي فترمي بشرر كعد النجوم في السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رءوس الخلائق فيقع على رؤوس العصاة فمن كان له عمل صالح صار حجاباً بينه وبين شرر جهنم ، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضاً لشرر جهنم أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته[1] . يا رب العالمين آمين *

---

(١) وهذا مصداق لقوله تعالى : - ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ آل عمران ١٨٥ .

٣ - مجلس في ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ونضع الموازين القسط[١] ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً ﴾[٢] الآية عباد الله ما لقلوبكم لا تخشع ، وما لآذانكم لا تسمع ، وما لدعائكم لا يسمع ، وما لعيونكم لا تدمع ، وما لبطونكم من السحت[٣] والحرامْ لا تشبع ، وما لعملكم المحمود لا يرفع إخواني من شغل نفسه بخدمه المعبود المحمود ؟ من خاف من ورود الناس وبئس الورد والمورود ؟ ❋

إفتخار الوحوش على بني آدم

ذكر في بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها ما هذا يوم السجود ، فتقول إنما سجدنا شكراً لله الذي لم يجعلنا من ولد آدمِ وجعلنا ممن يشهد فضائح بن آدم ❋

فالله الله يا إخواني إقبلوا النصيحة ، قبل يوم الخجل والفضيحة ❋

فإذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها

---

(١) القسط : العدل .

(٢) الأنبياء ٤٧ .

(٣) السحت : الحرام .

طوله خمسمائة عام ، وقد قيل طوله ستة وثلاثون ألف سنة من سنين الدنيا ، أرق من الشعر ، وأحد من الموسى ، وقيل أحد من السيف وأحر من الجمر . وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم عليه حسكٌ وكلاليبُ قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحداً منهم أُذِنَ الله له أن يتنفس في الدنيا لأحرقها بإنسها وجنِّها وجميع ما ذرأ الله فيها ولأذابَ جبالها وجفف بحارها *

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلّا من كان له نور ، ولا يكون النور يومئذ إلا من الأعمال الصالحة ، فمن عمل عملاً صالحاً نجَّاه من النار ، وجاز إلى دار الراحة والقرار . ومن لم يقدم في الدنيا عملاً صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار ، وهوى في دار الندامة والبوار . في دار عذابها سموم وشرابها حميم[1] وظلها لا بارد ولا كريم ، وطعامها الزقوم[2] يتردى والله في دار عذابها أليم ، ومسكنها جحيم ، وساكنها أبداً في العذاب مقيم يتردى والله في نار قعرها بعيد ، وعذابها شديد ، وشرابها صديد ، ومقامعها حديد ، وما هي من الظالمين ببعيد . وأنشدوا :

أما آن يا أخ أن تستفيقا   وأن تتناسى الحمى والعقيقا
وقد ضحك الشيب في عارضيـ   ـك وبانت مساويك فيه بروقا
وركـب أتــاهم وقــد عــرضــوا   على أتبـاع المنـايـا طـروقـاً[3]
أدارت عليهم كؤوسَ الحمام   صُبوحاً (تلازمهم) أو غبوقَا[4]
وما زال فيهم غراب الحما   م فيسمعهم للمنايا نعيقَا

---

(١) الحميم : الماء الحار ومشتق منه الحمى .
(٢) الزقوم : إسم طعام للعرب فيه تمر وزبد .
(٣) ألفاظ هذا البيت قلقة مضطربة لم تبين مراد ابن الجوزي منها لعدم دقته في صناعة الشعر .
(٤) الصبوح : السقيا في الصباح . والغبوق : الاستسقاء في المساء .

ويحجل في عرصات القصو روحتي أعاد الفسيحاتِ ضيقَا
ألا فازجر النفسَ عن غِيِّها عساك تجوز الصْراط الدقيقَا
مقامُ به تـذهل المـرضعا تُ وتلقى الحواملَ وعداً صدوقَا
وتبرز للناس نارُ الجحيم لهـا عنقٌ ترامى حـريقَـا
شرابُهم المهلُ في قعرها تُقَـطَّع أمعاءهم والعـروقَـا
إذا طبقت فوقهم لم يكن لتسمع إلاّ البكا والشهيقَا
أذلـك خير أم القـاصـرا ت تخال مباسمهن البـروقَـا
قصرن على حب أزواجهـ ـن فمشتاقة تتلقى مشوقَا
لقد فاز من كان للمصطفى بدار المقامـة يومـاً رفيقَا

حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين ، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ورأيت الباطلين في ظلمات البطالات وغمرات الجهالات . فالله يا جماعة الضعفاء ، يا من قطع عمره في الخلاف والجفاء ، خذوا لأنفسكم بالإحتياط ، واحذروا الأهوال الصعبة عند جواز الصراط . لأن الصراط لا يجوزه آثم ، ولا ينجو منه ظالم . والصراط حق رقيق ، لا ينجو منه من خالف التحقيق ، وترك السنة ومنهاج الطريق الصراط طويل بعيد ؛ لا يجوز إلاَّ من أخذ نفسه بالحزم الشديد ، واستقام على طاعة الولي الحميد . الصراط مهول مخوف(١) ، لا يجوزه إلا من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤ وف الصراط صعبٌ مهولٌ ، لا يجوزه إلاَّ من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربا لا يحولُ ولا يزول . الصراط كثير الزبانية(٢) لا يجوزه إلاَّ من أطاع مولاه في الفانية ، وراقب الله في السرِّ والعلانية .

---

(١) ، (٢) لم يوفق ابن الجوزي في ترابط المترادفات التي أوردها ، حيث يظهر فيها جلياً تكلفه في الأسلوب واهتمامه بالفواصل أكثر من اهتمامه بالألفاظ ومعانيها ، ولو أنه تجاوز عن السجع لكان أوفق له .

وذكر في بعض الأخبار أنه لا يجوز الصراطَ العبدُ والأمةُ إلَّا من بعد نشر الدواوين ، ووضع الموازين *

الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزاناً يوزن به عملُهُ فمن عمل عملاً سيئاً خفَّت موازينه وهوى في النار وقد قيل : إن الميزان هو منصوب بين يدي عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد *

وكان الحسن رضي الله عنه يقول : لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى ﴿ ونضع الموازينَ القسطَ[1] ليوم القيامة ﴾ الآية . وأما قوله تعالى ﴿ وأما من ثقلت موازينُه ، وأما من خفت موازينُه ﴾ فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله ﴿ ثقلت وخفت ﴾ فقوله ﴿ ثقلت ﴾ بقول لا إله إلا الله بالإخلاص ، و﴿ خفت ﴾ من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة . لأن العبد قد يقول : لا إله إلا الله على معصية ويقول لا إله إلا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم ، فإنما ذلك نفاق لأن النبي ﷺ قال : « من قال لا إله إلّا الله مخلصاً رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة » فقيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ فقال : « أن تزحزحكم عما حرَّم الله عليكم » .

وزن الأعمال

ذكر في بعض الأخبار أنه يقدم عبد يوم القيامة للحساب فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً[2] مملوءة بالسيئات فتوضع في كفة الميزان فيشتدهم العبد وكربه فيقول الجبار جل جلاله : لعبدي عندي ذخيرة ادخرتها له ، فيأمر الله

---

(١) القسط : العدل .

(٢) السجل : الصحيفة .

تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب ، مات فلان وهو يشهد ويقول لا إله إلّا الله مخلصاً *

كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى ضعوها في ميزان عبدي فتوضع في ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا :

أعـددت لله حين ألقـاه ... أشهد أن لا إله إلا الله
أقـولهـا لـلإلـه خـالصـة ... يـرحمني في القيامـة الله
لعل يومَ الحساب أنجُ بها ... يومُ العقوبة يوم زاد بلواه
يوم يفوز على الأشهاد قائلها ... ويخسـر الجاحـدون نعماه
فهي لـدار الخلود قائـدة ... ومن عصي فالجحيم[1] مأواه
من قالها لـلإله مخلصـةً ... فهو الذي قد أتاه تقواه
وهو الذي في الخلد مسكنه ... الله قد خصَّه فيها وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها ... بـدار عدن جـوار مـولاه
يحظى بدار الخلود قائلها ... طوبى لمن قالها وطوبـاه
من كان عند الممات قائلها ... فـاز بـدنـيـاه وأخـراه

فالله لله عباد الله ارغبوا إلى مولاكم أن يثبتكم[2] على الكلمة المباركة الخفيفة في اللسان الثقيلة في الميزان ، المزينة للديوان ، بها يرضى الملك الرحمن ، وبها يسخط اللعين الشيطان ، وبها ينجو العبد المذنب من النيران ، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والآمان .

---

(١) الجحيم : جهنم .

(٢) وهذا معنى قوله تعالى : ـ ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء ﴾ إبراهيم ٢٧ .

فضل الصدقة

ذكر أن العبد إذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فإذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، ولم يطلب بها جزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولا شكر ، فإن تلك الصدقة توضع في الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له … كُلْ ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت … وفاته ثُلثُ مالي للمساكينِ

واعلموا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الأهوال يوم القيامة ، لأن العبد إذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه ، وعظمت كروبه فلا تهدأ روعة العبد حتى يرى أيثقل ميزانه أم يخف ، فإن ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف ميزانه فقد خسر خسراناً مبيناً ، ولقى من العذاب أمراً عظيماً *

شفاعة الرسول (١)

ذكر في الأخبار أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبهم ، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم ، ووزنت أوزارهم وذنوبهم ، وضاقت حيلهم ، وتغيرت أحوالهم ، فعند ذلك يأتيهم النبي الشفيع محمد ﷺ ، فإذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم ، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر ﷺ إليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه ﷺ *

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالمشرق

---

(١) أسهبنا كثيراً في بيان شفاعة النبي ﷺ في موقف القيامة في كتابنا (مواقف يوم القيامة) فليراجعه وليتدبره من شاء .

والأخرى بالمغـرب ، وأن الذرة والخـردلة والحبـة من أعمال العبـاد من الخير والشر لتوضع في الكفة فتميل بها بقدرة الله تعالى ، فالله أعلم بحقيقة ذلـك . فلا يحقرن أحدكمْ حسنة يعملها وإن صغرت في عينه فربمـا ثقلت الميزان ، ولا يحقـرن أحدكم سيئـة يعملهـا وإن صغـرت فـربمـا خففت الميـزان . لأن الـذنب الصغير في عين محتقـره يأتي يـوم القيامـة وهو في الميـزان أعظم من الجبال الرواسي *

ما يثقل الميزان

قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليـوم القيامـة فلا تـظلم نفس شيئاً ﴾[1] الآية . روى أبـو هريـرة رضي الله عنه ، قـال قال رسـول الله ﷺ . « كلمتـان خفيفتان على اللسـان ثقيلتان في الميـزان ، حبيبتان إلى الـرحمن ، سبحـان الله وبحمده ، سبحـان الله العظيم » وقيـل جاء رجـل إلى رسـول الله تعـالى فقال . يـا رسول الله جئتـك تعلمني علماً يـدخلني الجنـة وينجيني من النـار . فقـال لـه النبي ﷺ . « ألا أدلـك على كلمتين ثقيلتين في الميــزان ، خفيفتين على اللسان ، ترضيان الرحمن ؟ وتسخطان الشيطان ، تقـول سبحان الله والحمد لله فإنهما المقربتان يقربـان من الجنة ، ويبعـدان من النار » فكـل من زعم أن الميزان ليس هو حق ، فقد رد على الله في كتابـه ، وعلى رسولـه ﷺ في سننه *

الرأس في الخير والرأس في الشر

روي عن الحسن رضي الله عنـه أنه قـال . يؤتى يوم القيـامة بـالميـزان فتوضع بين يدي الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فـإذا كان العبـد أو الأمة رأساً في الخير[2] يدعو إليه ويأمر به دعي بإسمه ، ثم يقرب من الميـزان

(١) الأنبياء ٤٧ .

(٢) له رأس في الخير : له يدٌ وسبق .

فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا ، لأن الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الأمة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت ذنوبه *

وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة . « يا عائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لأدخله بها الجنة »[1] فقالت يا رسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب » وإذا كان العبد أو الأمة رأساً في الشر يأمر به ويدعو إليه دعي بإسمه فقدم إلى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لأن الله تعالى أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة[2] ، ويأمر بهم ذات الشمال إلى النار . فقال أصحابه رضي الله عنهم : يا رسول الله أما كانوا مسلمين ؟ فقال ﷺ : « كانوا يصلون كما تصلون ، ويصومون كما تصومون ، ويزكون كما تزكون ، ويقومون من الليل برهة ، ولكن كانوا إذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة ، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر في الميزان ، لأن الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لأنه تعالى لا يقبل إلا ما كان لوجهه خالصاً » . فالله الله عباد الله إذا عملتم عملاً فأخلصوا لله فإن الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم إلا ما كان لوجهه خالصاً . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله باعثه ... يوم الحساب لدى نشر الدواوينِ
فلا يرد بفعال البر أجمعها ... إلا الحساب وتثقيل الموازينِ

---

(١) وهنا يجب أن ينتبه الناس إلى أن العبادة شيء وأن قبولها شيء آخر وأهم شيء نضرع به إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا .

(٢) وهذا مصداق لقوله ﷺ : ـ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً .

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن . قدموا للموازين بطاعتكم لسلطَان السلاطين .

إخواني وأعظم مصيبة وحسرة من خفَّت موازينه من الحسنات ، وأمر به إلى العذاب والعقوبات . والويل ثم الويل[١] لمن خفت موازينه من صالح الأعمال ، وغضب عليه ذو الجود والإفضال ، وأمر به إلى العذاب والنكال ، وإلى السلاسل والأغلال *

وزن أعمال العباد

يا إخواني فإذا وزنت أعمال العباد ، وخفَّ من خفَّ وثقل من ثقل ؛ أمروا أن يمضوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه ، فيزل من أول قدم يضعها فيهوي في النار ، ومن الناس من يمشي القليل منه ويزل في النار ، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب ، ومنهم من يجوزه كالطير السريع في طيرانه ، ومنهم من يهرول[٢] ، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى ، ومنهم من يكون كالمبطون[٣] الذي يمشي على يديه ورجليه ، ومن الناس من يأتي إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوي به . كل هذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم ، على قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها ، وعلى قدر تثقيل الموازين وتخفيفها . فإذا أتي العبد من أمة محمد ﷺ إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقي متحيراً لا يقدر على الجواز . فبينما هم في شدة الفزع من هول الصراط إذ أقبل محمد ﷺ *

---

(١) الويل : مثل كلمة ويح ، وقيل ويح كلمة رحمة ، وويل كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى واحد .

(٢) راجع حاوي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ، وكتابنا (مواقف يوم القيامة) .

(٣) المبطون : المريض ببطنه ، كالممعود المريض بمعدته ، والمحموم العليل بالحمى والمعمود السقيم بالقلب .

نور الرسول على الصراط

فإذا نظر صلوات الله وسلامه عليه إليهم كساهم نور وجهه ﷺ ما يجوزهم الصراط ، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى ﷺ على قدر صلاته عليه في الدنيا ، فيستبق العباد في الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذي أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه ﷺ زاد الله تبارك وتعالى في النور في وجه الحبيب محمد ﷺ فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ فإن صلاتكم عليه مبلغة إليه *

فضل الصلاة على النبي

قال النبي ﷺ : « أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم عليَّ صلاة وأولاكم بشفاعتي أكثركم عليَّ صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر المذنبين ، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ، ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ، وجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه[1] ، والفائزين برحمته من عذابه ، إنه منعم كريم . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذي المعالي	شفيع الناس في يوم السؤالِ
إذا مُدَّ الصراط على جحيم	تصول على العباد باستطال[2]
إذا كان النبي لنا شفيعاً	سننجوا من سلاسلها الطوالِ
ولو كانت خطايانا جساماً	تَشبَّه[3] بالثقال من الجبالِ
لجزنا في الصراط[4] بغير حزن	إلى دار الخلود مع الجلالِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال . « يمر الناس على الصراط فالزَّالون

---

(١) أي من عقاب الله .

(٢) هذا البيت غير مستقيم الوزن ، وكلمة باستطال غير مؤدية للمعنى الذي قصده منها ولو أنه قال في الشطر الثاني (تصول على الخلائق بالوبال) لاستقام .

(٣) تشبه : الأصل تتشبه وحذفت التاء للتخفيف .

(٤) قوله لجزنا في الصراط غلط لأن الفعل جاز فعل متعد وليس لازماً تقول جاز الصراط وليس جاز في الصراط .

والزَّالات كثير وأكثر ما تزل النساءُ » ذكـر أن الصراط عليـه زبانيـة ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا في وجهه نوراً تركوه أن يتحول ويجوز ، ومن لم يروا في وجهه نوراً كبكبوه في النار ، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح *

جسور جهنم

روى بعض العلمـاء عن التابعين وعن بعض الصحـابة أنهم قـالـوا : إن جهنم أعـاذنا الله منهـا عليها سبعـة جسور وهي القناطـر [1] ، ثـلاثـة دون الـرب سبحـانه وتعـالى ، الرابعـة الوسـطى عليها الـرب جل جـلاله لأحـد ولا كيف تسليماً وإيماناً وتصديقاً *

القنطرة الأولى

والصراط أحدُّ من السَّيف فيقول الله تبارك وتعـالى حين يبلغون القنـطرة الأولى : وقفوهم إنهم مسؤ ولون ، ما لكم لا تَنَاصَرُون ، فيحبسون فيحاسبـون على الصلاة فمن وجدت صلاته تـامة نجـا من تلك القنطرة ومن لم تـوجد لـه صلاةٌ تامة هوى في النار فينجو من نجا ويهلك من هلك .

القنطرة الثانية

ثم يحبسـون على القنطرة الثـانية فيحـاسبـون على الأمـانـة وهي أمـانـة الخالق وأمانة الخلق وإذا أراد الله بعبده خيراً جعل الغنى في قلبـه وجعله أميناً لله وأعـانه على أداء الأمـانـات التي افتـرض عليـه جـل جـلالـه من الـوضـوء والاغتسال والصلاة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذي حق حقه والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكـر والحفظ لحدود الله فـذلك العبـد الـذي ألهمـه الله تعـالى رشده ، وبصَّره عيوبَ نفسه وجعل غناه في قلبه *

---

(١) هـذه مسائـل وقضايـا غيب يجب ألا نتوقف عنـدها كثيـراً وألا نتعب العقل والفكـر في نقاشهـا والأسلم ألا نؤول وألا نعلل ، فيوم القيامة سنرى كل شيء مما أخفاه الله عنا رحمة بنا .

تأدية الأمانة وتضييعها وإذا أراد بعبده شراً جعل فقره بين عينيه وفي قلبه وكسَّله عن إداء الأمانات من المفترض الذي افترض عليه وعلى جميع عباده ، وغيَّب عنه رُشدَه ، وسلَّط عليه الشيطان فزين له سوءَ عمله وحبَّب إليه عيوبه[1] . فإذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه ، ولا يكون همه إلا في دنياه وإصلاحها ولا يبالي بتلاف دينه فلذلك العبد الذي قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها ، وقرَّبه من أبواب الشرِّ كلها . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[2] .

تضييع الأمانة

ذكر في بعض الأخبار أنه يؤتى بمضيع الأمانة فيقال له أدِ ما ضيعت فيقول : يا رب ذهبت عني الدنيا فمن أين أؤديها ؟ فيخلق له مثلها في قعر جهنم أعاذنا الله منها فيقال أنزل إليها وأخرجها إلى صاحبها ، فينزل العبد المسكين إليها فيرفعها على كتفه فهي أثقل من جبال الدنيا كلها ، فإذا صار الشقي المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه إلى قعر جهنم ، فيقال له انزل إليها فينزل مرة أخرى ويرفعها ، فإذا صار إلى أعلا جهنم وقعت منه ، فلا يزال هذا عذابه إلى ما شاء الله تعالى من ذلك . هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم . وهذا العبد والله أعلم الذي ضيع أمانات الناس . وأنشدوا :

خرجت من الدنيا وقد خُنتَ أهلَهَا ... وصرت إلى النيران بالوِزْرِ والإثم
وطالبني الجبَّارُ بالصِّدق والوَفَا ... وبان لأهل الجمع ما كان من جرمِي[3]
وقيل لكل الخلق هذا مضيعُ ... أمانة ربِّ العرشِ والذِّكر والحكمِ

(١) مصداقاً لقوله تعالى : ـ ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ النمل ٢٤ .
(٢) الأنفال ٢٧ .
(٣) الجرم : من الجريمة وهو الإثم والذنب .

القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهي أدنى من الرب جل جلاله ـ بلا تكييف ولا تحديد ـ فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها *

صلة الرحم

ولِمَ قطعوها والرحم[1] يومئذ تنادي اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه . فينجو من نجا ويهلك من هلك *

القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لأن الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل إسمه وعز وجهه ﴿ أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير ﴾[2] فالله تعالى يقول في بعض كتبه المنزلة *

شكر الوالدين

أَرْضِ والدَيْكَ فإن رضائي في رضا الوالدين وسخطي في سخط الوالدين ، فلو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل ألف صديق وكان عاقاً لوالديه ما نظر الله تبارك وتعالى في شيء من عمله وكان مصيره إلى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك في وجه والديه أو أحدهما إلاّ غفر الله له ما كان منه من الذنوب والخطايا وكان مصيره إلى الجنة . وأنشدوا :

الوالدان إلى شكر الإله وصول[3] والوالدان إلى دار السلام سبيلُ

---

(١) الرحم : القرابة .

(٢) لقمان ١٤ .

(٣) البيتان من بحر البسيط وهما غير مستقيمي الوزن .

صِلْ والـديـك ولا تقـطع حبالَهُمَـا ليجـزينـك في دارِ البقـاءِ جليـلُ

القنطرة الخامسة

ثم يحبسـون على القنطرة الخـامسة فيحـاسبـون على حفظ اللسـان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بمـا لا يعنيه لأنه ليس من جوارح العبد أشد ذنباً من اللسان ، لأن كلمة يتكلم بهـا العبد أو الأمة تكون سبباً لدخول النار *

ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخـائفين إذا أصبح أخـذ لوحـاً ودواةً ، وجعلهما بجواره فإذا تكلَّم كلمةً كتبها في اللوح ويقول لنفسه : هكذا أثبتهـا عليك الملك بـأمر الملك ، فـإذا غـربت الشمس وصلَّى صـلاةَ المغـرب وضـع اللَّوحَ بين يـديـه وجعل يقرأ ويبكي ويقول في بكائه ونحيبه وتقريره لنفسـه : يا نفس كـأني بك وقـد سئلت عن هذا عنـد جواز الصـراط ، يا نفس تـراك بـأي كلمـة من هـذه تدخليني النار ؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعـه فيغشى عليه ، فإذا أفاق مما هو فيه أخرج اللوح وكتب ما فيه بقرطاس وهو يقول متضرعاً : يا الله عفـواً ورفقاً ولـطفاً بعبـدك . فلم يزل هـذا دأبـه حتى مـات ، فـرآه بعض الصالحين في المنام في حالة حسنة فسألـه عما لقي من الله تعـالى فقال : مـا يلقى من الكـريم إلا الكـرم، جعـل محـاسبتي لنفسي في الـدنيا بـدلاً عن الحساب في الآخرة ، وجعل دموعي التي بكيت في الـدنيا أنهـارا ترويني يـوم العطش الأكبر ، وتفضَّـل الكريم عليَّ بـدخول الجنـة وبجواز الصـراط ، ومَنَّ علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبرى إلى وجهه الكريم *

كلمة الشر وعذابها

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بهـا

في النار بعد ما بين المشرق والمغرب ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره »[1] .

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه ، فقال له الرجل الذي سلم عليه : يا أخي لو كشفت لك عن حالي ما سلَّمتَ عليَّ ! فقال له الرجل الذي سلم عليه : يا أخي لو كشفت لي عيوبك لكان في عيوبي ما يشغلني عن جميع عيوبك . فجلس كل منهما يبكي في ناحية حتى بلَّ كل واحد منهما الأرض بدموعه ثم تفرقا ❋

شهادة الزور

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من شهد شهادة زور على ذمي أو مسلم أو من كان من الناس ، علق بلسانه في الدرك الأسفل من جهنم »[2] ❋

وفي بعض الأخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى ، وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور ، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة . ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما نظر الله إليه . وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لا يجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أو تدركه الشفاعة . وأنشدوا :

إذا ازدحم العباد لكي يجوزوا تساقط كلُّ جبَّار أثيمِ
بقعر النار ليس لهم مغيثٌ ولا للعاصي يوماً من حميمِ

(١) لو عرف الناس ذلك ووعوه لأنقذوا أنفسهم من شر مستطير ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله ، قالوا : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يهيؤه لعمل صالح قبل الموت) اللهم نسألك الهداية والنجاة من النار .

(٢) لأن الشهادة الزور فيها ظلم للنفس وقد نزه الله سبحانه وتعالى عن الظلم وحرّمه بين عباده ، ورد هذا في الحديث القدسي حيث قال : عبادي لا تظالموا . . . . الحديث المعروف . ولذلك قيل في المثل السيار (شاهداك قاتلاك) .

ومن يطع الآله فسوف ينجو		من التعذيب في قعر الجحيمِ
إذا نُصبَ الصِّراطُ على جحيم		فيالله من هولٍ عظيمِ
ألا يا معشر الإسلام توبوا		من العصيان للربِّ الرحيمِ

إخواني أطيعوا الله في السر والإعلان ، واعملوا بالسنة والقرآن ، واتركوا الأوزار والعصيان ، واحذروا من هول الصراط المنصوب على سموم النيران *

القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار ، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه ، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه *

إكرام الضيف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفه » وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال ، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له . فما أنفق على الضيف في الخمر أو مما لا يرضي الله تعالى به فإن ذلك الضيف يأتي يوم القيامة يتعلق هذا بهذا ويلعن هذا بهذا ، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهما يلوم صاحبه ويقول له لعنك الله الذي ساعدتني على الإنفاق في غير الله ، ثم يقال لهما جوزوا الصراط ففي أول قدم يضعان على الصراط يهويان في النار *

البركة مع الضيف

وقال رسول الله ﷺ : « الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه ألف بركة وألف رحمة، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة » *

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من ألف دينار ينفقها في سبيل الله ، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بألف كرامة وخلَّصه من النار وأدخله الجنة »[1] .

وقد جاء في حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقول لها : « يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتملِّيه[2] » وإنما أراد ﷺ مداومتها على إكرام الضيف » *

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا علي إذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد منَّ عليك إذ بعثه إليك ليغفر لك ذنبك بذلك » *

ينزل الضيفُ برزقه

وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه ، وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل »[3] *

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه : ما من منزل ينزل فيه ضيف إلا بعث الله تبارك وتعالى إلى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به بأربعين يوماً ملكاً على صورة طائر ينادي يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم في يوم كذا وكذا والخلف من الله من باب كذا وكذا فتقول الملائكة الذين وُكِّلوا بأهل الدار . وبعد الخلف ما يكون ؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتاباً فيه مكتوب ،

---

(١) فربما يكون الضيف رجلاً صالحاً فيدعو لك بالخير فتقبل دعوته .

(٢) ولذلك فقد قيل أن غاية الجود بذل الموجود ، فإن التكلف في إطعام الضيف يكون مدعاة للملل والسآمة ، وهذا التكلف ليس من السنة في شيء .

(٣) لو يعرف الناس ذلك لتوادوا وتراحموا واتصلت مودتهم ، لنيل الدرجات العلى .

قد غفر الله لأهل المنزل ولو كانوا في ألف *

وفي حديث آخر أنه قال : ما من عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفاً لوجه الله الكريم إلاَّ نظر الله إليهم إن كانوا جماعة ، فإن كان الضيف من أهل الجنة وكان ربُّ المنزلِ من أهل النار ، جعله الله تعالى من أهل الجنة بإكرامه ضيفه *

وفي حديث آخر ، إن الضيف ورب المنزل ـ وأرباب المنزل إن كانوا جماعة ـ يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع ، فإن لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولو كانوا مائة ألف *

إطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه ، مخلوف ومسلوف ومتلوف ، فالمخلوف الذي يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف ، والمسلوف الذي تضيفه مرة ويضيفك أخرى . والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصي . والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجراً ، والمتلوف هو حسرةٌ وندامةٌ يوم القيامة . وأنشدوا :

يا مُكرمَ الضيفِ للرحمنِ خالِقنَا عند الصّراط ستلقى الخيرَ موفورا

أكرِم ضيوفَكَ كي ترجو الجواز غداً على الصِّراط وترجو الخلدَ[1] مجبورا

حفظ الجار

وأما حفظ الجار فإن العبد أو الأمة يُسألُ عن حفظه ، فمن حفظ جاره

---

(١) الخلد : الجنة لأن نعيمها دائم .

جاز الصراط ونجا من العذاب الأليم ، وصار إلى جنة الخُلدِ ودار النعيم *

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جوعان ، أو بات ريَّان وجاره عطشان »[1] ومن كرامةِ حفظ الجار أن توقظه من الغفلات تلهمه إلى الطاعات ، وتأمره بإقامة الصلوات *

تعلق الجار بالجار

ذكر في بعض الأخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يا رب جاري هذا خانني في الدنيا . فيقول الله تبارك وتعالى : لِمَ خنت جارك ؟ فيقول وعزتك وجلالك ما خنته لا في مال ولا في أهل وأنت أعلم بذلك . فيقول له جاره : ما فعلت ذلك ولكن رأيتني على المعاصي فلم تزجرني عنها فيؤمر به وبصاحبه إلى النار ولا يغفر الله لهما . وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر إلا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسمائة عام[2] *

الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لقد أوصاني ربي ليلة أسرى بي بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه » وبعض العلماء يرى شفاعة الجار . فكل من حفظ الجيران ، فقد أطاع الرحمن ، وأسخط الشيطان ، وعمل بالسنة والقرآن . روي أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة في سبعين من جيرانهما ويجوِّزانهم على الصراط . عباد الله من حفظ الجار نجا من النار ، وجاز الصراط إلى دار القرار ، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة

---

(١) ولذلك قيل إن سبب ابتلاء يعقوب في يوسف أولم ـ أعد وليمة ـ وترك جاراً له لم يطعم فبات جائعاً ، فأراد الله أن يعجل ليعقوب الجزاء في الدنيا فكانت فجيعته في يوسف .

(٢) وهذا فيه نظر ، والله أعلم .

والكتاب ، وأطاع الملك الوهَّاب ، وأسخط الشيطان اللعين الكذَّاب ، وما من جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه إلا غفر الله لجاره ولو كان له ألف جار . حفظ الجار قربة ووسيلة ، ودرجة عند الله وفضيلة . وأنشدوا :

يا حافظَ الجارِ ترجو أن تنال بِه عفوَ الإله وعفوُ الله مذخورُ[١]
الجـار يشفـع للجيـرانِ كلِّهم يوم الحسابِ وذنب الجارِ مغفورُ

القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيُسألون عن الصِّدق ، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الأبرار *

الصدق والكذب

ومن كذَّب فقد خالف الكتاب والسنة ، وقد حُرِمَ نعيم الجنة *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا كذَّب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ما جاء به ، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزني بأمه »[٢] .

كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

وإذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيه شيء منتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون ألف ملك ، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحد . الكذب نفاق ، والكذب من الكبائر ، وإذا استحل العبد الكذب ، فقد استحل المحارم[٣] كلها وإذا لم يستحل العبد

---

(١) مذخور : إسم مفعول من ذاخر عمل محل إسم الفاعل : أي حافل ممتلىء .
(٢) لأن الكذب من آيات المنافق والمنافق في الدرك الأسفل من النار .
(٣) استحل المحارم : انتهك الحرمات .

الكذب لم يقدر أن يباشر شيئاً من محارم الله ، وأن الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام - يعني على الصراط - ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازاً على الصِّراط وأسرع الناس دخولاً الجنة . والكاذب في أول قدم يضعها على الصراط يهوي في النار ، فلا ينجو من الجسر السابع - وهو أصعبها - إلا من صدق ويهلك من كذب جعلنا الله وإياكم برحمته ممن صدق فنجا وأنشدوا :

أصدق يريك[1] إله العرش جنَّته ... يوم المعاد ولا تولع بتكـذيبِ
إن الصَّدوق لدى الرحمن منزِلُهُ ... دارُ الخلود بلا مَوْتٍ وتعذيبِ
يومُ الجزاءِ على متن الصِّراط إلى ... دار النعيم بلا حزن وتكئيب[2]

ذكر في بعض الأخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين ، ولا تكونوا من الكاذبين ، وتأسُّوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين *

نجاة الصادقين

ذكر في بعض الأخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهوله يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصُّون[3] مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نقوا وهذبوا أُذِنَ لهم بدخول الجنة . قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده إن أحدهم مسكنه في الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان في الدنيا » يا لها من كرامة ، ويا لها من نعمة ، ويا لها من مِنَّة ، ويا لها من فرحة . فقدموا عباد الله في اليسير من الأوقات ، والقليل من الساعات ، ما يُجوِّزكم الصراط ، ويقيكم الآفات . الصراط على متن جهنم ممدودٌ ، لا يجوزه إلَّا من

(١) يريك وردت في الأصل (بربك) وهو خطأ .
(٢) في الأصل وتبكيت وهذا خطأ تحريف لأن القافية بائية .
(٣) يتقاصون : يقتص بعضهم من البعض .

خاف من أهوال اليوم الموعود ، وأطاع الملك المعبود ، الغفور الودود *

الصلاة تجوز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من لياليها يصلي عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، فإذا فرغ من صلاته صلى على محمد ﷺ عشر مرات ثم يقول : سبحان من كان ولا مكان ، سبحان الموجود بكل حين وأوان ، سبحان المعبود في كل أوان ، سبحان المُسبِّح بكل لسان ، سبحان المنجي من الهلكات ، سبحان خالق الأرضين والسموات ، جوَّزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف ، ولا يؤذيه حر النار ويمضي إلى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين ، ويشفِّعه الله تعالى في سبعين من أهله وجيرانه . وهي أفضل ما يصام من الشهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يمر الناس على الصراط فالزَّالُّون[1] والزَّالات كثيرٌ وأكثر ما يَزِلُّ النساء ، وجبريل عليه السلام آخذ بحجزتي[2] إذا عصفت الريح بأمتي فصاحوا يا محمداه فلولا أنَّ جبريل عليه السلام آخذ بحجزتي لا غثت أمتي ، فيبادرون جوازاً فلا يجوزه ظالم[3] ، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائي لهم فيقول جوزوا على الصراط بعفوي فيجوزوا » اللهم أغفر لنا جميعاً برحمتك . وأنشدوا :

لو علم الخلق ما يراد بهم وأيَّما موردٍ غدا يردُوا
ما استعذبوا لذةَ الحياةِ ولا طاب لهم عيشٌ إذا رقدُوا

---

(١) في الأصل (فالزايلون والزايلات) وهو خطأ واضح .
(٢) الحجزة : مقعد الإزار .
(٣) ولا تنفع الشفاعة في ظالم أو مشرك لقوله تعالى ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ غافر ١٨ .

خوفاً من العَرضِ والصراط على نـارٍ تَـلَظَّى وحـرُّهـا يـقـدُ
والناسُ في هول مـوقف عَسِرٍ قد عاينوا هَوْلَـه الذي وُعِـدُوا
يـا لك من مـوقفٍ يفوز بـه قـومٌ هم للجنـانِ قـد وفُـدوا
مع النبي قد اصطفاه خـالقنا صلى عليـه المهيمن الصمدُ(١)

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الأعمال ، وبالقليل من الأفعال ، وبالطَّيب من الأقوال ، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الأهوال ، يوم لا بيعٌ فيه ولا خلالٌ ، بين يدي الكبير المتعال *

كيفية الجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن الناس ينقسمون في جواز الصراط سبعة أقسام ، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين ، والقسم الثاني كالبرق الخاطف ، والقسم الثالث كالريح العاصف ، والقسم الرابع كالطير المِجَدِّ ، والقسم الخامس كالخيل في جريها ، والقسم السادس كالماشي ، والقسم السابع كالمهرول *

أقسام الناجين على الصراط

فأما القسم الأول فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم(٢) .

---

(١) هذه الأبيات جميعاً غير مستقيمة الوزن وإنا نرى العبرة بمراد معانيها ووعظها .
(٢) لأن العلماء هم ورثة الأنبياء .
قال تعالى : ـ ﴿ وورث سليمان داود ﴾ النمل ١٦ ، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف (نحن الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) .
ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً (العلماء ورثة الأنبياء) .
ونحن لا نرى أي تعارض بين هذه النص القرآني وبين الأحادية أو بين الحديث الأول والثاني فإن المقصود (ميراث العلم) فالعلماء ورثوا العلم من الأنبياء وورث سليمان علم داود .

والقسم الثاني هم الذين استقاموا على أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها في أوقاتها .

والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم .

والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم *

روي عن النبي ﷺ أنه أوصى عند موته بصلة الرحم ، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذي يمشي في رياض الجنة ، ولا يرى من أهوال الصراط شيئاً ، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم *

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله ، وصانوا فروجهم عن الفواحش ، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن ، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال ﷺ *

حديث في العناية بالنساء

« النساء ودائع الأحرار ، ولا يعزهن إلا عزيز ، ولا يذلهن إلا ذليل ، والذليل عند الله في النار »(١) وكذلك المرأة إذا عزَّت زوجها وأطاعته فيما يرضي الله تعالى .

والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام ، وتجنبوا الخيانة في المكيال والميزان . وقد قال رسول الله ﷺ « كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار » *

آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم

---

(١) ولذلك قال عمر رضي الله عنه (زوج ابنتك للرجل المؤمن ، إن أحبها أكرمها وإن كرهها لا يظلمها) .

وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعباناً من نار يخطفه من على الصراط ويهوى به في قعر جهنم مع اليهود ، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ما جنى .

والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الأزواج وبروا الجيران وبروا الإخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم في الله لومة لائم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وأنشدوا :

أتطمع بالنجاة[1] وكيف تنجو ... ولست على نجاتك بالحريصِ
ولو في نيلها أعملت حرصاً ... لنلت الفوزَ بالثمنِ الرخيص
ولكني أراك تريد عزاً ... وحالك حالُ ممتهنٍ نقيصِ
وليس لمن تعرَّض للمعاصِي ... - هديت - عن الضلالة من محيضِ

المتصدقين سراً وعلانية

يا أحبابي إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقاً كثيراً نساء ورجالاً قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون من هؤلاء الذين سبقونا ؟ فتقول لهم الملائكة : هؤلاء الرجال الذين تصدقوا في السر ابتغاء وجه الله ، وتصدقوا في العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله ، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين . وهؤلاء النسوة[2] اللواتي أطعن أزواجهن ، وحفظن فروجهن ، وحفظن ألسنتهن عن أذى الزوج وعن أذى الجيران ، وتصدقن في السر والإعلان ، تسبق هذه

---

(١) الصواب أن يقول (أتطمع في النجاة) لأن الباء لم تؤد معنى (في) ولكن بعض النحاة يجوزون ذلك إذ أن حروف الجر عندهم تعمل عمل بعضها البعض ما لم يختلُ المعنى ، ولما كان الشعر حريصاً على دقة البناء اللغوي .
ورصانة التركيب فإنني أراها مستهجنة .

(٢) وردت في الأصل : النسوة الذين ترون لأزواجهن وحفظ فروجهن . . . ألخ .

الزمرة[1] جميع الناس إلى الصراط وجوازه بخمسمائة عام . ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا في شفاعتهم ، فإذا جازت أول زمرة من الأولين السابقين ، وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الأخرى ، فيركب الصراط على بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه *

آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز ، فإذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء[2] أهل النار في النار فيقول : سبحان الذي خلصني منك ونجاني من أهوال النار . فبينما هو ينظر إلى الصراط ويقول هذا القول يبعث الله تعالى إليه بلطفه ملكاً من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له : قم يا عبد الله فينطلق إلى غدير[3] من ماء على باب الجنة فيقول له الملك اغتسل من هذه الماء واشرب منه ، فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام ، وتعود رائحته كرائحة أهل الجنة ولونه كألوان أهل الجنة ، ثم ينطلق به إلى قرب جهنم فيقول له قف هاهنا حتى يأتيك إذن من ربك ، فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العذاب ، فإذا سمع العبد أهل النار وما هم فيه بكى وقال : يا رب أصرف وجهي عن أهل النار حتى لا أنظر إليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا ، فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار إلى أهل الجنة ، فينظر إلى ناحية أهل الجنة فيرى بينه وبين باب الجنة روضة خضراء ما رأى أحد قط مثلها ،

---

(١) الزمرة : الجماعة من الناس .

(٢) العواء : صياح الكلب والذئب ، قال الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى ... وصوت إنسان فكدت أطير

(٣) الغدير : قطعة من الماء يغادرها السيل .

ثم ينظر إلى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوماً للطير المسرع والله أعلم من أي الأعوام ، يقول يا رب قد أحسنت إليَّ الإحسان كله جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وأدنيتني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني إليها ولا أسألك غير ذلك فيأتيه ذلك الملك فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد عزمت أنك لا تسأل غير هذا المقام ؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها[١] .

باب الجنة

فينظر إلى باب الجنة وإلى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل[٢] الأخضر ، وحصباؤها من الياقوت الأحمر فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الأطيار وخرير تلك الأنهار وما لا تصفه ألسنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين ، فإذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول : يا مولاي لقد أنعمت عليَّ نعماً أكمل النعم جوَّزتني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهي عن أهل النار حتى لا أراهم ، ولكن أسألك يا سيدي ومولاي أن تدخلني الجنة فاجعل هذا الباب بيني وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم[٣] ولا أرى عذابهم ؟ فيأتيه ذلك الملك فيقول له ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما قد سألت ، فيقول وعزتك يا رب لا سألتك غيره . فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة ، فلا يري إلا الشجر المثمر ما رأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جني ، فينظر إلى أدنى شجرة فيرى عندها روضةً فيها شجرةٌ أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلو ما رأى مثلها قط آدمي ولا جني ولا خطر على قلب بشر ، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل ، فيقول

---

(١) قال تعالى : ـ « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » آل عمران ١٨٥ .
(٢) الجندل : الحجارة الكبيرة ، والحصباء : الحصى الصغير .
(٣) الحسيس : الصوت الخافت الخفي .

العبد يا رب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتني من النار وأدخلتني الجنة وأعطيتني وأرضيتني ، وإنما بيني وبين هذه الروضة قليل فبلغني إليها فوعزتك لا سألتك غيرها . فيأتيه ذلك الملك فيقول له : يا ابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لا تسأل غير ما سألت ؟ يا ابن آدم أين ما أقسمت به أما تستحي من الله ؟ *

منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فإذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر إليه ، فيقول يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره . فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ما أنت فيه ؟ فينظر بين يديه فإذا بمنزل كانما المنزل الأول والثاني وجميع ما خلق[1] ورآه حلماً فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلو نزل في أدنى قصر من قصور الجن والإنس لكان عنده من الكراسي ما يجلسون ويتكئون عليها ، ولكان عنده من الموائد ما يفضل عنهم ، ولكان عندهم من الطعام والشراب ما يأكلون ، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ما أصاب رجل واحد ﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[2] وأنشدوا :

مقــام المتقين غــداً جليــلُ يطيب لهم مع الحور[3] المقيلُ
وأنــوارٌ عــليهــم مشــرقــاتٌ إذا نــاداهم المــلك الجليــلُ

---

(١) كذا بالأصل ولعله وجميع ما خلّفه بتشديد اللام أي ما ألوى وجهه عنه وتركه وراء ظهره .
(٢) القصص : ٦٠ .
(٣) الحور : جمع حوراء وهي من اشتد بياض عينيها واشتد سوادها .

فائدة للجواز على الصراط

ذكر في بعض الأخبار أن العبد أو الأمة إذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته ، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، ويسلم عن كل ركعتين ، فإذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي ﷺ وشرف وكرم مائة مرة ثم قال : سبحان الله من خلق ما شاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات ، ثم يقول : اللهم جوِّزني الصراط ونجني من هوله الله لا آله إلا أنت لا شريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله . فمن صلَّى هذه الصلاة وقال هذا القول جوَّزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لا يشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر إلى الجنة . فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب ، وتحصنوا به من أليم العذاب ، يا أولي العقول والألباب[1] لأن الصراط حاد رقيق ، وطريقه أبعد الطريق يا له من طريق ، ما يعين على جوازه أخ ولا صديق ، إلا عمل صالح ورب رفيق .

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن العمر يذهب ، والدنيا تفنى وتخرب ، والنفس تموت والمرد إلى الحي الذي لا يموت . فاستعدوا بكثرة الأنوار ، وبالصلاة وفعل الخير في الليل والنهار ، وبالطاعة للنبي السيد المختار ، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار ، وأبكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار ، يسَّره الله لنا وهوَّنه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب .

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد إذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وأبناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق في صديقه ، والوالد في

(١) الألباب : جمع لب وهو العقل .

ولده ، والجار في جاره ، والرجل في زوجته ، والمرأة في زوجها ، والإمام في جماعته التي كان يصلي بها ، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه .

روى قتادة عن الحسن البصري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له بعض أهله يا رسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة في حميمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحدٌ أحداً ، عند الميزان حتى ينظر أيثقل ميزانه أم يخف ، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا ، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله » فهذه ثلاثةُ مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿ لكل امريءِ يومئذ شأنٌ يغنيه ﴾[1] هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الأهوال[2] العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته ، ويهوِّنها علينا بمنه ولطفه . وأنشدوا :

بكيت على هول الصراط وذكره ... وهول زفير النار من أعظم الذكرِ
وكيف يطيق الصبرَ من كان عاصياً ... لخالق كل الخلقِ في السرِّ والجهرِ
ومن يك ذا خوفٍ شديدٍ لهولِه ... فإن له أمناً من الهولِ في الحشرِ
فليس لمن يبكي لهول صراطه ... جزاء سوى دار النعيم مع الفخرِ
فيا له من هولٍ فظيع يجوزه ... رجالٌ أطاعوا الله في سالِفِ العمرِ

عباد الله تفكروا في هول الصراط الرقيق البعيد ، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد ، وأطيعوا الجبار الولي الحميد *

---

(١) عبس ٣٧ .
(٢) ولذلك ورد قوله تعالى : ـ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ الطور ٢٥ وذلك بعد النفخة الأولى وهي نفخة الصعق والإفناء ، ثم يقول الحق تبارك وتعالى : ـ ﴿ فلا أنساب بينهم ولا يتساءلون ﴾ المؤمنون ١٠١ .
وهذه عند العرض على الله سبحانه وتعالى حيث تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً

لا تقبل صلاة شُرَّاب الخمر

ذكر أن شُرَّابَ الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوي بهم إلى عين الخبال ، وهي قيح أهل النار ، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر في الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لأحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن . والأصل في شارب الخمر أنه يخطف من على الصراط لأنه ليس في وجهه نورٌ لأن النور لا يكون إلا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح ، والأصل فيه أن الأعمال كلها لا تقبل إلا ممن صلَّى ، لأن الصلاة هي رأس الأعمال ، وشارب الخمر لا تقبل منه صلاة ما دام مصراً على شرب الخمر فإذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله ، فيأتي إلى الصراط ووجهه أسود ، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لا يتركوا أن يجوز إلا من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه في النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى .

التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً ممن لم يشربها[١] فالله الله يا معشر المذنبين ، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين ، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين *

فضل المؤذنين

ذكر في بعض الأخبار أن المؤذنين إذا أتوا إلى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط ،

(١) لأن المصيبة الكبرى في الخمر الإدمان عليها ، ومن العسير والمتعذر الإقلاع عنها لأن ذلك يحتاج مجاهدة طويلة للنفس ، فلو أفلحت المجاهدة في سبيل مرضاة الله كان فوزاً عظيماً .

ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط في أربعين ألفاً كلهم قد استوجبوا النار ، ويجوز في نور المؤذن ألف رجل وألف أمرأة وفي حديث آخر : أن المؤذن إذا جاء إلى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا إله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذي يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، فيجوز الصراط في نور المؤذن أربعون ألفاً ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما من عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة في أرض قفراء[1] أو موضع ليس فيه جماعة ، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الأرض ما لا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى ، ويكتب الله له بعددهم حسنات ، ويمحو بعددهم سيئات ، ويرفع له بعددهم في الجنة درجات ، لو دخل في أدنى درجة من درجاته الجن والإنس لوسعتهم ، ولكان فيها من الفرش والأسرّة والموائد والطعام والشراب والخدم ما يفضل عنهم وإن لم يؤذن واقتصر على الإقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاه اللذان يكتبان عمله « وفي حديث آخر » إذا أذن العبد المسلم في فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين ، أحد طرفي الصف بالمشرق والآخر بالمغرب ، فإذا فرغ من صلاته ودعا امَّنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات ، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات ، ويرفع له تعالى بعددهم درجات ، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون ألف مرة ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فإذا جاء يوم القيامة إلى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلُّوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدي أهله وبأيدي إخوانه الذين صحبوه وأحبوه في الله فيفرقون عليهم من تلك الأنوار ويجوزونهم الصراط في شفاعته

(١) قفراء : أي مقفرة ، صحراوية .

ويمضون معه إلى الجنة ولا يرون من هـول الصراط ولا من حـره ولا صعوبتـه شيئاً » *

فضل العلماء

ذكـر في بعض الأخبار أن العلمـاء إذا أتوا إلى الصـراط تكون وجـوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء لـه مسيرة خمسمـائة عـام ، وتحت لواء العـالم كـل من اقتـدى بعلمـه وكـل[1] من أحبه في الله ومنـاد ينـادي هؤلاء أحبـاءُ الله ، هؤلاء أوليـاء الله ، هؤلاء الذين خلفوا الأنبياء ، هؤلاء الذين علموا عباد الله ، هؤلاء الذين دعوا إلى الله ، هؤلاء الـذين حفظوا حـدود الله ، هؤلاء مصابيـح الدجى ، هؤلاء أئمة الهدى . فإذا دنوا من الصراط يوضـع على رأس كلٍّ واحـدٍ منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج في السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الأرض السابعة السفلى ، ويكسي كل واحد منهم حلة من حلل الجنـة لو نشـرت تلك الحلة بين السماء والأرض لغطّى نورها نـور الشمس ، ولمات الخـلائق كلهم عشقاً إلى رؤ يتها ، ولملأت الأرض والبحار من رائحة المسك ، وينـزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حرِّ شرر جهنم ومن حرِّ الشمس . وأنشدوا :

يـا طالبَ العلمِ تـرجـو أن تنـال بـه ... عـفـوَ الإلـه وعـفـو الله مـوجـودُ
أطلب بعلمـك وجـه الله خـالقنـا ... إن الصـراطَ على النيـران ممـدودُ
عفـوُ الإلـه لأهـل العلم نـائلهـم ... وعفـوه عنـد أهـل الجهلِ مفقـودُ
فأحرِص هُدِيتَ على التعليم مجتهداً ... وأنت عنـد إلـهَ العـرشِ محمـودُ
فـاعمـل بعلم رسـول الله سيـدنـا ... وأنـت بيـن عبـاد الله مـسعـودُ

---

(١) ورد في الأصل (وكان) وهو تحريف .

وقـد ورد في الحـديث الشـريف :ـ ﴿ المـرء على دين خليله ، فلينـظر أحـدكم إلى من يخالل ﴾ .

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملاً بلا علم . قال الله تبارك وتعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[1] فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقى . قال الله تعالى ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾[2] ومن لا يعلم لا يتقي ، وكيف يتقي من لا يدري ما يتقي[3] . وقد قال رسول الله ﷺ : « تعلَّموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، به يعرف به الله ويعبد ، وبه يحمد الله ويُوَحَّد » هو إمام العمل والعمل تابعه ، يرفع الله بالعلم أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدي بهم وينتهي إلى رأيهم . فقد بيَّن رسول الله ﷺ أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله ﷺ « به يعرف الله ويعبد » ويستوفي ذكر فضل العلم في قول الله تبارك وتعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ والمقصود في هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه .

فضل حملةِ القرآن[4]

ذكر في بعض الأخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك أسود وأنوارُ وجوههم تغشى بالأبصار فإذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وُكِّلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤوسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيلاً من نور الجنة عليه سرجُ من المسك الأذفر والعنبر الأشهب ألجمها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز في شفاعة كلِّ واحدٍ مائَة ألفٍ ممن قد استوجب النار ، ومناد ينادي : هؤلاء أحباب الله ، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب

---

(١) فاطر ٢٨ .

(٢) المائدة ٢٧ .

(٣) في الأصل (من لا يتقي) وهذا خطأ .

(٤) نوقشت رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين جامعة الأزهر للشيخ محمود النقراشي السيد علي وكانت في تحقيق كتاب (أخلاق حملة القرآن وأخلاق العلماء للآجُرِّي) وهي ذات نفع عظيم ، وحصل بها الباحث على درجة العالمية (الدكتوراة) بمرتبة الشرف .

الله وعملوا به فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم في الدنيا أحبه الله ، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولا هم ولا حزن ولا غم . وهذا إذا عملوا بالقرآن ، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلُّوا حلالَه وحرَّموا حرامه وآمنوا بمُحكمه ووقفوا عند متشابهه ، وسارعوا إليه ﴿ أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾[1] أولئك أولياء الله الصالحون ، أولئك الذين رضي الله عنهم ووفَّقهم وهداهم وآتاهم تقواهم .

من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فإنه يأتي إلى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأرازب النار وتسوَّد وجوههم على قدر ما ضيَّعوا من العلم ، فمن تعلم علماً للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل ، وكتمه ولم ينصح به عباد الله ، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك ، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط[2] . ثم يكون العلم للعامل نوراً وفرحة وسروراً وجنة وحبوراً ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤوسهم منشورة ، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والملائكة تنادي أدخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون ، وأنت في ظلمك حيران ، أيقنت بالحلول في سموم النيران ، إلا أن يتداركك بعفوه الملك الديَّان . وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادي عليك ولجام النار في فمك لو كان

---

(١) المجادلة ٢٢ .

(٢) ورد عنه صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة أنه قال : (من تعلم العلم ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله جهنم) .

ذلك اللجام في الدنيا لأحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادي عليك هذا الذي ضيع حدود الله ، هذا الذي خالف أوامر الله ، هذا الذي بدَّل عهدَ الله ، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وآثر حب الدنيا على ما عند هؤلاء .

يا مسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلاً[1] ، واشتريت به ثمناً قليلاً ، ولم تراقب مولى كريماً جليلاً وتركت وراءك يوماً هائلاً ثقيلاً ، وخسرت يا مغرور ملكاً كبيراً دائماً جزيلاً .

فسقة حملة القرآن

ذكر في بعض الأخبار عن النبي ﷺ أنه قال : « الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان والنيران ، فيقولون ويبدأ بنا قبل عبدة الأوثان والنيران ؟ فتقول لهم الملائكة ليس من يعلم كمن لا يعلم » وفي حديث آخر « إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا إلى حملة القرآن الفساق أخذوهم وزجوا في أقفيتهم وألقوهم في جهنم أو يعف الله تعالى عنهم . اللهم أعف عنَّا وعن جميع إخواننا المسلمين ، واجعل القرآن حجة لنا ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين . وأنشدوا :

عظُمت مصيبةُ حامِل القرآنِ ... إن كان ملجأه إلى النِّيرانِ[2]
فهو الجزاءُ لمن عصى ربَّ العلا ... دار العذاب وموقف الخسرانِ
عظمت خسارتُه وجلّ مصابُه ... عند الصِّراطِ بظلمةٍ وهوانِ
يا ربِّ عفواً عن قبيحِ فعالِنا ... أنت الدليلُ لجنةِ الرضوانِ

فاتقوا الله معشر أهل القرآن في كتابه ، وأشفقوا من أليم عذابه ، واعملوا بالقرآن وارغبوا في جزيل ثوابه ، لأن القرآن هو لكم وهو عليكم إن تعملوا به ويلٌ وثبور ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرَّنكم بالله الغرور ﴾[3] *

---

(١) وهو السحت الذي يترتب عليه ظلم وجور .
(٢) لأن القرآن حجة عليه .
(٣) لقمان ٣٣ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « عـرضت عليَّ الذنـوب كلها فلم أر فيهـا ذنباً أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه ». ومعنى تاركه تارك العمل به ، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل ❊

روي عن النبي ﷺ أنـه قال : « يسـأل حـامـل القـرآن عمـا يسـأل عنـه الأنبياء » وإذا غضب حامل القرآن يقـول له القـرآن أما تستحي أنـا معك وأنت تغضب ، اقتد بي تنجو وأكرمني بالطاعة أنجيك من الأهوال وأجوِّزك الصراط وأدخلك الجنة ❊

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من شفيع أفضل منـزلة عنـد الله من القـرآن نبي ولا ملك ولا غيره » فـإنا لله وإنـا إليـه راجعـون على من لا يعمـل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان ، وعصي مولاه وأطاع الشيـطان ، لقد ضل ضلالاً بعيداً ، وتبوأ عذاباً شديـداً . وبقي من الخير فـريداً وحيـداً . فيا لها من مصيبة ما أعظمها ، ومن حسرة ما أدومها ❊

ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسـول الله ﷺ أنه قـال : « خلف الصراط جسـر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرب جل جلاله ، وجسر عليه الرحمة » فيـا أيها السـامع لما جاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات ، سلِّم الأمور لباريها ، وأترك تـأويلها إن كنت تـاليها وقـاريهـا ، وعليـك بخـويصـة نفسـك ، واعمـل ليـوم رمسـك[1] وذلك الجسـر عليه السؤال ، ذلـك الوقت يقـول الله جـل جـلالـه وتقدست أسماؤه ، عبدي عملت كذا في يـوم كذا ؟ فيقـول العبد نعم يـا رب فلا يزال الرب جل جـلاله يعـرف العبد والعبـد يعترف ويقـول نعم حتى يقول العبد : لإرسالـك بي إلى النار أهـون علي من هذا التـوبيخ . فيقـول له جـل وتعـالى يا عبـدي بعيني إذا كنت عملت ذلك وكنت عليـك شهيـداً ومـلائكتي

(١) الرمس : القبر .

وأرضي ، ولكن سترت عليك بحلمي وجودي ، يا عبدي أنا سترتها في الـدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك . غفـر الله لنا أجمعين ، وأمـاتنا بـرحمته مسلمين تائبين على السنة والجمـاعة على شهـادة أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـك له وأن محمداً رسول الله ﷺ *

٤ - مجلس في قوله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم﴾(١)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله ﴿ وعلى الأعرافِ رجالٌ ﴾ هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحُسِبُوا على الأعراف ، والأعراف هي مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهي الجسور بعضها أصعب من بعض ، وبعضها أشد سؤالاً من بعض ، وبعضها أكثر ارتفاعاً من بعض ، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التي افترضها الله عليه في الدنيا . فنسأل الله التوفيق في الدنيا والتسهيل في الآخرة في تلك المقامات .

سؤال العباد يوم القيامة

فأول ما يسأل عنه العبد الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الأمانة ، ثم بر الوالدين ، ثم حفظ اللسان ، ثم حفظ الجار ، ثم صلة الرحم ، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع ما نهى عنه ، فكل من

---

(١) الأعراف : سور بين الجنة والنار وقد سمى بذلك لأن العباد عنده يعرفون بعضهم بعضاً وهم يعرفون من في الجنة ومن في النار ، والقرآن الكريم يقول ﴿ وعلى الأعراف رجال ﴾ وهم من إستوت وتعادلت سيئاتهم مع حسناتهم فلم يدخلوا الجنة ولم يدخلوا النار وهم يطمعون في دخول الجنة ولكن يقول بعض المفسرين إنهم ملائكة ، فكيف ذلك والقرآن يقول أنهم رجال ؟؟؟

جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته فإن أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الإيمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الإيمان لأن الإيمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله ، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط . فمن أراد مولاه أن يعذبه أتمَّ له النور في بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه في بعضه[1] والصراط أسودٌ مظلمٌ من شدة سواد جهنم ، لو أن قطرة من ظلمة الصراط وضعت في الدنيا لا ظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شدة الظلمة ، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبيِّن لأهل الجنة والملائكة والجن والإنس ولجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد ﷺ ، لو يظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عند ربنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمضون على الصراط منصوب على متن جهنم ، وتأتي الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون ، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم أي عن أيمانهم .

ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرون فإنهم يمضون في ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التي عملوا في حال الكفر في دار الدنيا فإذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهوون[2] في النار فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتلقيهم في قعر جهنم ، فإذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم أنظرونا نقتبس من نوركم فنمشي في ضوئكم ، فيقال ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . وهو قوله تعالى : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾[3] وذلك أنهم كانوا في الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا

---

(١) في بعضه : لم تأت بالأصل وزادها الأستاذ عثمان خليل في نسخته .

(٢) يهوون : من هوى أي يسقطون .

(٣) النساء ١٤٢ .

لهم الإيمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم ، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم ، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فإذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا في نورهم قالوا للمؤمنين أنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ، فيظنون أن وراءهم نوراً يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب[1] فيظنون أن في السرداب نوراً يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم ، فإذا رأى المؤمنون المنافقين قد تساقطوا وتهافتوا في النار فزعوا مما حل بالمنافقين ، فعند ذلك يقال لهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار ، وهذا العذاب الذي فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه ، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب *

السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلى الجنة وهو حائط بين الجنة والنار ، باطن ذلك الحائط فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - يعني جهنم - والباطن فيه الرحمة - يعني الجنة - فإذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا[2] عليهم ولم يلتفتوا إليهم ، ورأوهم في حال السلامة والفوز . فيقول لهم المنافقون ألم نكن معكم في الدنيا على التوحيد وكنا نصلي معكم ؟ فيقول لهم المؤمنون . بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم - أي عذبتم - وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله ﷺ وقولكم بألسنتكم ما ليس في قلوبكم ، وتكذيبكم بلقاء الله تبارك وتعالى ، وكذبتم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين الدوائر ، وغرَّتكم الأماني حتى جاء أمرُ الله ، وغركم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فاليوم لا يؤخذ منكم فديةٌ ولا من الذين كفروا - يعني لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء *

---

(١) في الأصل : شراب وهو خطأ .

(٢) العروج : الإرتقاء ومنه المعراج .

صفة المنافق

فالكافر هو الذي كفر في السر والإعلان ، والمنافق الذي كفر في السر وآمن في الإعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه ، وقوله مأواكم النار ، أي مرجعكم إليها ومستقركم فيها ، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومتم على النفاق ، فإذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور[1] رأوا سرداباً[2] فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيه فيهجم بهم على أبواب جهنم فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم في جهنم حتى يجاوزون الباب الأول من جهنم ، ثم يلقون في الباب الثاني حتى يجاوزونه ، فلا يزالون من باب إلى باب حتى ينتهوا إلى الدرك الأسفل من النار فينتهي بهم إلى جب[3] يقال له جب الحزن في ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار *

بئر الهبهب

على تلك البئر صخرة من كبريت في تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها ، فتأكل تلك النار التي تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين ، فيؤتي بالمنافقين فيلقون في تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبداً ، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها ، فلا يخرجون من تلك البئر أبداً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾[4] وقوله ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾[5] يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً . وأما المؤمنون الذين

---

(١) في الأصل : النار وهو خطأ فتدبر .
(٢) في الأصل : سراباً وهو خطأ وصححه عثمان خليل (سردابا) وهذا صح .
(٣) الجب : البئر التي تبنى بالحجارة .
(٤) النساء ١٤٥ .
(٥) النساء ١٤٢ .

استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط ، وهو أعلا الجسور من الصراط وهي الأعراف ، وهي المواضع المرتفعة وأحدها عرف ، وتسمى النشز من الأرض وهو الموضع المرتفع عرفاً ، ومنها عرف الديك *

أهل الأعراف

فإذا صار على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمةً ، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم في الدنيا ، فمن الناس من يكون له من النور ما يضيء على الصراط مسيرة مائة عام ، ومنهم من يعطي من النور ما يضيء له مسيرة سنة ، وما يضيء مسيرة شهر ، ومسيرة جمعة ، ومسيرة يوم ، ومسيرة ساعة ، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه . على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم في الدنيا ، فيستبقون في الجواز على قدر أنوارهم التي معهم فمن كان له نور كثير جاز في السعة ، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق ، على قدر ما أعطى الله لكل عبد ، فإذا ثبت أصحاب الأعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلى موضع أقدامهم من شدة الظلمة ، والظلمة هي شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهَّل لجميعنا شدائدَها وظلمتها ، وثبَّت على الصراط أقدامَنا بمنِّه وفضلِهِ . والصراط أحدُّ من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر ، عليه من الحسك[1] والكلاليب أكثر من عدد الإنس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عددُ نجوم السماء إذا تكلم واحدٌ منهم تناثر االنار من فيه ، لو أن واحداً منهم بصق في البحار الزاخرة لجففها ، وإذا تكلم واحدٌ منهم فزع صاحبه منه ، ولو سمع أهل الدنيا صوتَ واحدٍ يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنها وجميع ما خلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من

(١) الحسك : الشوك ، والحسك ما يعمل على مثاله من الحديد للحرب .

فظاعة كلامه ، ومن شدة صوته . وإذا صاح مالك[1] خـازن جهنم على خزنـة جهنم يغشى عليهم من شدة صوتـه . والصراط مـع دقته ورقتـه يضطرب كمـا تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة ، فإذا ثبت القـوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون إلى أهل النار كيف يعذبون في النار ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنـا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾[2] وهم يستغيثون ويتضرعون إلى مولاهم جـل جلاله ويسـألونـه النجاة من النـار ومن هول مـا هم فيه من صعـوبة الصـراط ، فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغمومين مكروبين محزونين لا يدرون أينجون أم يهلكون !! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله في الـدنيا ، فبينمـا هم كـذلـك إذ يلقى الله تبـارك وتعـالى ذكـرهم في قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم ، فيقول بعضهم لبعض يا ليت شعرنا ما فعل إخوانـنـا من أهل الأعـراف ؟ فيقولـون ما لنـا علم بما صنعـوا ولكنا نسـأل الحفـظة ومن معهم حتى يخبـرونـا مـا فعلوا فينـادون من قصـورهم يـا معشـر المـلائكـة الـذين مـع أصحــاب الأعـراف مــا فعـل أخــواننـا من أصحــاب الأعراف ؟ *

شفاعة أهل الجنة في أصحاب الأعراف

فيقول الملائكة : يا معشـر أهل الجنـة أصحاب الأعـراف لم يدخلوهـا وهم يـطمعون بـدخولهـا قد قلَّ نورهم وطفىء سـراجهم وبقـوا على أطـراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى : ﴿ ونادوا أصحاب الجنة ﴾[3] يعني نـادت الملائكـة أصحاب الجنـة ﴿ أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾[4] .

---

(١) وهو الملك الموكل بالنار .
(٢) الأعراف ٤٧ .
(٣) ، (٤) الأعراف ٤٦ .

حياء آدم

فعنـد ذلـك يلبس أهـل الجنـة الحلى والحلل ويضعــون التيجـان على رؤ وسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم(١) عليه الصلاة والسـلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنتـه ، إن ناسـاً من ولدك محبـوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فأشفع لهم عند ديان يوم الدين فيقـول آدم عليه السلام : لست هنالك أنا الذي عصيت ربي وأكلت من الشجـرة فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفـرة شيئاً ولكن عليكم يـا بني بنوح الـذي حمله الله في الفلك *

حياء نوح

فيأتون نـوحاً عليـه السلام فينـادون بأجمعهم يـا نوح فيشـرف عليهم من قصره فينظر إلى جماعتهم فيقول لهم نـوح : يا أهـل الجنة مـا الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا نـوح أنت الذي حملك الله في الفلك إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم نوح لست هنالك أنا الذي خـاطبت ربي فيما ليس لي به علم فغفر لي وأنـا أستحي أن أسألـه بعد المغفـرة شيئاً(٢) ، ولكن عليكم بـإبراهيم الـذي اتخذه الله خليـلاً ، وجعل النـار عليه بـرداً وسـلامـاً ، فيأتون إبراهيم عليه السـلام وهو في قصـره فينادون بـأجمعهم يا إبـراهيم أنت الـذي اتخذك الله خليـلاً إن ناسـاً محبوسـون على الصراط قلَّ نورهم وطفيء سراجهم فأشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم لست هنالك ، أنا الذي

---

(١) للإستشفاع به في هذا الموقف الرهيب .

(٢) لقـوله تعـالى لنوح : ﴿ لا تسـألني ما ليس لـك به علم إني أعـظك أن تكـون من الجـاهلين ﴾ هود ٤٦ .

كذبت كذبتين ـ وقيل ثلاث ـ فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجِّيه *

حياء موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له يا موسى أنت الذي كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقاً يبساً في الأرض وأراك العجائب من قدرته ، إن ناساً من إخواننا محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم موسى : لست هنا لك أنا الذي وكزت الرجل فقتلته فغفر لي وأنا أستحي أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى بن مريم العذراء البتول(١) البكر .

حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو ﷺ في قصره فينادونه بأجمعهم يا عيسى ، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم يا أهل الجنة ما الذي أزعجكم من منازلكم ، وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يا عيسى أنت الذي خلقك الله من غير بشر وأنت الذي جعلك الله آية للناس ، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول ، إن ناساً محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لست هنالك أنا الذي زعمت النصارى أنِّي قلت لهم اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فأستحي منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذي كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم ، عليكم به فهو إمام المتقين ، وسيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد ﷺ *

---

(١) البتول : العذراء المنقطعة عن الزواج للعبادة .

شفاعة محمد

فيأتون النبي ﷺ وهو في قصره خير قصور الجنة ، فيقفون[1] حول القصر والقصر قد أشرف[2] نوره وبهجته على جميع قصور أهل الجنة ، فينادون بأجمعهم يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد يا سيد العالمين يا إمام المتقين يا خاتم النبيين ، فيشرف عليهم ﷺ من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلِّها ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذي أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين ، إن ناساً من أمتك على الصراط محبوسون قلَّ نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين *

دخوله جنة عدن

فيقول النبي ﷺ أنالها ، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلي والحلل ويضع على رأسه (التاج)[3] صلوات الله وسلامه عليه ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهي إلى باب جنة عدن فيستفتح فيقال من هذا ؟ قال ﷺ فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف السرداق[4] ملك يتلألأ نورٌ فيهولني ما أرى منه فيؤنسني ويمسحني فيقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبدٌ مثلك ، ثم أمضي فأنتهى إلى سرداق ثان فأستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي ، فإذا خلف سرداق ملكٌ عظيمٌ أعظم خلقاً وأشد نوراً من الذي رأيت فيهولني ما رأيت من عظمه ، فيؤنسني ويمسحني ويقول يا أحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشي في عظم الملائكة وبعضهم أشد نوراً من بعض حتى

---

(١) ورد في الأصل (فيقولون) وهو خطأ .

(٢) تصلح أشرف وأشرق .

(٣) (التاج) ساقطة من الأصل وأضافها عثمان خليل في نسخته .

(٤) السرادق : الخيم التي تضرب على البيوت في الحفلات والمآتم .

أنتهي إلى السرداق السابع فأستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لي فإذا خلف السرداق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول مرحباً بهذا الصوت لقد كنت إليه مشتاقاً فأمضي حتى أنتهي إلى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لي ربُّ العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فإذا نظرت إليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ما حمده بمثله ملكٌ من حملة العرش ولا من حملة الكرسي ولا نبي مرسل حينئذ في ذلك المكان ، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السرادقات ، إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع .

سجوده بين يدي الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته يا أحمد ارفع رأسك وسك تعط واشفع تشفع ، قال رسول الله ﷺ : فأرفع رأسي من السجود فإذا نظرت إلى ربي جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثني عليه بمثل ما حمدته به في المرة الأولى ، فأفعل ذلك ثلاث مرات وربي جل جلاله يقول لي في كل مرة ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فأقول يا رب إن ناساً من أمتي محبوسون على الصراط قلَّ نورهم وطفيء سراجهم فأتمم لهم نورَهم وأضيء سراجهم وهم الذين يقولون عند ذلك ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾(١) حتى تمضي كما مضى إخواننا إلى الجنة ، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن ، ثم يغمسون غمساً فيحيي الله نورهم ويضيء سراجهم ، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم فيقولون لهم ﴿ هؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾(٢) وذلك أن أهل جهنم لما نظروا إلى أصحاب الأعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض : والله ما حبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا في جهنم ، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ﴾ ثم تقبل الملائكة على أصحاب الأعراف .

---

(١) التحريم ٨ .

(٢) الأعراف ٤٩ .

جاه المصطفى العظيم

فيقولون لهم ﴿ أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحـزنون ﴾[1] أي لا تحـزنون ولا تمـوتون في الجنـة أبداً ، فيمضـون والنور الـذي جـاءتهم بـه المـلائكة في جنـة عدن يسعى بين أيـديهم وبأيمـانهم حتى يجـوزوا الصـراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد ﷺ ، وإنمـا حبسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد ﷺ وفضله وحرمتـه ودرجته ومنزلته ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة ﷺ صلاة تشرف بها عقبـاه ، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يـا رب العالمين صـلاة دائمة منتهى الآباد طيبة بـاقية بـلا انقطاع ولا نفـاد ، صلاة تنجينـا بها من حـرّ جهنم وبئس المصير ، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين آمين يا رب العالمين ❋

(١) الأعراف ٤٩ .

٥ ـ مجلس في قوله تعالى
﴿يوم تأتي كلُّ نفس تجادلُ عن نفسِهَا﴾

(وفي حساب الملائكة والرُّسل واللوح المحفوظ)

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تقف للعرض الأكبر بين يدي رب العالمين فيغرقون[1] على قدر أعمالهم » .

وروي عن إبن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا بني آدم انصتوا فطالما نصت لكم وفي رواية أخرى فقد نصتُّ لكم من يوم خلقتكم إلى يوم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فأنظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاَّ نفسَه ، احشروا عليَّ عبادي فوعزتي وجلالي لا يجوزني ظلمُ ظالم . فكيف بك يا مسكين يا مغرور يا تارك الحق والصواب ، يا مخالف السنة والكتاب ، يا ظالماً لنفسه يا غافلاً عن الحساب يا من بذل نفسه لأليم العذاب ، يا من تمادى في معصية رب الأرباب ، ونسي الجنة وحسن المآب . وأنشدوا :

إلى كم لا تفيق من التصابي وهذا العمر يؤذن بالذهاب

---

(١) يغرقون في العرق .

ويـرضى بـالقليـل المـرءُ حـظاً ... ويـزهـد في الكثيـرِ من الثـوابِ
فَقِـدْمـاً غـرت الـدنيـا أنـاسـاً ... كمـا غـر المحيـن[1] بـالشـرابِ
تـمـنـيـهـم غـروراً بـاطـلاتٍ ... وتـخـدعـهـم بـآمـالٍ كِـذَابِ
كـأنـك لا تـرى في كـلِّ يـومٍ ... جنـائـزَ تستحث إلى الـخـرابِ
خـلقت من التـراب وعـن قـريب ... ستلحق - غيـر شـكٍ - بـالـتـرابِ
وتحيـا بعـد مـوتـك كي تجـازى ... بمـا قدَّمـت فـي يـوم الحسـابِ
فـإنـك تـك بـالمسيء بقبـح فعـلٍ ... فحسبـك بـالعقـاب مع العـذابِ
وإن كـنـت الـذي قـدَّمـت خيـراً ... جُـزِيـتَ بـه غـداً حُسـنَ المـآبِ

تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر في بعض الأخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الأولون والآخرون في عرصة القيامة نـادى سبحانـه وتعالى ، أين الجبـابرة وأبنـاء الجبابـرة ؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمتُ[2] الجبابرةَ بسلطاني ، وأفنيت الملوك بعظمتي *

ذكر في الخبر أن الجبابرة يحشـرون يوم القيـامة على صـور الذر أصغـر الخلائق خلقةً لتجبُّرهم على العباد ، والجبـابرة هم الـذين تجبروا على الخلق وعن إتِّبـاع سنة رسـول الله ﷺ . وقيل الجبـابرة هم الـذين جبـروا المسـاكين والضعفاء على ما لم يـطيقوا وهـذا الإسم قد اشتـرك فيه الخـالق والمخلوق ، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة *

تفسير الجبار

وتفسير الجبار في حق الله تعـالى الذي جبـر عباده على مـا أراد ، وقيل

(١) كذا وردت بالأصل ولو أنه قال : - (كما غر الصوادي بالسراب) لكان أصـح . والأبيات جيـدة المعنى من بحر الوافر .
(٢) قصمت : من قصم أي كسر .

الذي يجبر عن ظلم العباد إن الله تعالى جل إسمه لا ينسب إليه الظلم لأن حد الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، لأن الدنيا والآخرة ملك الله تعالى ، والجبار من العباد هو الظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه، يأخذ ما ليس له بحق ويرده إلى ما قد ملكه الله تبارك وتعالى ، وإذا قضى الله تعالى على عبده بقضاء فهو له خيراً . لقول رسول الله ﷺ : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذي قضاه الله عليه أو له خير له من الذي أراد لنفسه » وقال رسول الله ﷺ : « في قضاء الله تعالى خيراً إلا قضاء النار »(١) وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه ، وهو يفعل ما يريد لا شريك له في ملكه . ثم ينادي الجليل جل جلاله ﴿ يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾(٢) فإذا سمع الخلق هذا النداء رفعوا رؤوسهم وطمعوا كلهم في هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ، ثم ينادي ثانية ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾(٣) فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلماً ، فتبقى أهل الأديان متحيرين ويفرح المسلمون ، ثم ينادي ثالثة ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾(٤) أي كانوا يتقون الكبائر ـ فينكس أهل الكبائر من أهل التوحيد رؤوسهم ويرفع رؤوسهم سائر أهل التوحيد الذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبة نصوحاً *

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر ، وعصيت مولاك في الخفيات والظواهر ، وأيقنت أنك مسئول يوم تُبلَى السرائر ، ولاقٍ من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر . وأنشدوا :

---

(١) ورؤية الناس لإبتلاءاتهم في الدنيا على أنها شرٌ وبيلٌ هذه نظرة ضيقة للأمور وتقديرنا للأشياء غير تقدير الله سبحانه وتعالى ، فقد يكون الإبتلاء من الله جل شأنه زيادة لكرامة الإنسان عنده .

(٢) الزخرف ٦٨ .

(٣) الزخرف ٦٩ .

(٤) يونس ٦٣ .

عصيت الله ألوان المعاصِي كأنّي لستُ أوقن بالقصاصِ
فمالي لا أنوحُ على ذنوبِي وأبكي يومَ يؤخذُ بالنواصِي

نصيحة

فانظر لنفسك يا مسكين يا ضعيف الإيمان واليقين قبل حلول الندم ، وزوال النعم ، ونزول النقم ، حيث لا ينفع الندم . فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ يوم تأتي كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسِها وتُوَفَّى كلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ وهم لا يُظْلَمُون ﴾[1] *

السائقُ والشهيد

فإذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الأديان ، نشرت الدواوين ووضعت الموازين ، وجيء بالنبيين ، ونصبت المنابرُ بالأنبياء والرُّسل فيجلس كل نبي على منبره وأمته قد أحدقت به ، ونصبت الكراسي للصديقين والشهداء ﴿ وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد ﴾[2] سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، فالناس ينقسمون في السياقة على قسمين ؛ قسم تسوقه الملائكة ببرٍ وإكرام ، ورقٍ[3] وإجلالٍ ، وتؤمنهم تهدي روعاتهم كلما نظر العبد إلى من يُعذِّب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة : يا عبدَ الله ما أنت مثل هذا ، هذا عصي الله وأنت أطعته . والقسم الثاني يساقون بالإنتهار والسطوة والإغلاظ ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له يا عدوَّ الله هذا الحساب سوف تدري ، كلما نظر المسكين إلى من يُعذِّبُ أو يُنكِّل[4] قال له سائقه : الساعة تكون أنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت

(١) النحل ١١١ .
(٢) ق ٢١ .
(٣) كذا بالأصل والصح ورقة .
(٤) ينكل : من النكال أي التشهيد والإهانة .

عصيته ، أما علمت يا عدوَّ الله أن الحسابَ والحشرَ أمامك ؟ وأنشدوا :

كـأنّي بنفسي قد بلغتُ مـدى عمرِي ... وأنكرتُ ما قد كنت أعرف من دهرِي
وطـالـبني مَـنْ لا أقـومُ بـدفـعـه ... وحُـوِّلتُ من دارِي إلى ظلمـة القبـرِ
وفـاز بـميـراثِي أنـاسٌ فشتـتـوا ... بإفسادِهِم مـا كنتُ أجمعُ من أمـرِي
وأغفلني من كـان يُبـدي محبتي ... فَـأَخـلِصُـه وُدِّي ويـغـمـرُهُ بـرِّي
فلم يسخ لي منهم صـديقٌ بـدعـوةٍ ... إذا مـا جرى يـوماً بحضـرتـه ذكـرِي
وأضحى لبيتي سـاكن مبهـج بـه ... وفي اللحد بيتي لا أقوم إلى الحشـرِ
فيـا شقـوتي إن لم يَجُـدْ بنجـاتـه ... إلهي ولم يجبـر بـرحمتـه فقـرِي
فقد اثقلت ظهري ذنوبُ لو انها ... على ظهرِ طورٍ[1] أثقلته في الوزر[2]

فمـا أعظم مصيبتكم ، ومـا أطول حسـرتكم إن لم يعف عنكم مـولاكم وجعل النار مأواكم ، فاغتنموا التجارة في دار الفناء والذهـاب ، يجازيكم بهـا مولاكم عند مناقشة الحسـاب ، فالحسـاب عظيمٌ عسيـرٌ ، والهولُ والله جليـلٌ كبيرٌ ، والناقد مميز بصير ، واليوم عبوسٌ قمطرير *

اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إذا جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخـرين في صعيد واحـدٍ ونُشِـرَت الـدواوين ، ونصبت المـوازين ، وأُحضِـرَت الأنبياء بـأمَمِها ، وحضـر الصديقيّـونَ والشهـداء ، وحُشِـرَ وحـوشُ الأرضِ ، وهوامُها وطيورُها وأنعامُها ، وسكانُ جبالها وبحارها .

ينـادي منـادٍ من قبـل العـرش أين اللوح المحفـوظ ؟[3] فيؤتي بـاللوح

(١) الطور : الجبل العظيم الأشم .
(٢) الوزر : والجمع الأوزار وهي الخطايا والآثام .
(٣) هذه من الغيبيات التي لا بد من الإيمان بها وألا نتعب العقل في تصـور شكلياتهـا كما وضحت لك عزيزي القارىء آنفاً ولكن المؤلف ـ رحمه الله ـ بخياله البديع يصور لنا مـا يجول بخـاطره من مشاهد وصور .

المحفوظ فيوقف بين يدي الجبار جل جلاله خاضعاً ذليلاً ، فيقول له تبارك وتعالى ما صنعت بالوحي الذي أنزلت فيك ؟ واللوح من درةٍ بيضاء ، صفحتاه من ياقوتة حمراء ، عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تبارك وتعالى فيه في كلِّ يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، فيخلق في كل نظرة ، ويحيي ويميت ويعزُّ ويذل ، ويرفع أقواماً ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله ، ويخفض أقواماً ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله ، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يسألون يوم القيامة لأنهم ما قدروا الله حقَّ قدره ولا عبدوه حقَّ عبادته ، لأنه جل جلالُه أجل وأعظم من أن يُوَفَّى في العبادة والطاعةِ والمعرفة حقَّه ، ما قدر على هذا نبيٌّ مرسلٌ ولا ملكٌ مقربٌ ، فسبحان من لا سبيلَ إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . قال فيقف اللوحُ بين يدي الجبار جل جلاله وعظمة قدرته فيقول له أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذي أنزلته فيك ؟ فيقول اللوح المحفوظ سيدي ومولاي بلغته عبدك ميكائيل *

رسالة ميكائيل

فينادي أين ميكائيل فيؤتي به ﷺ وهو ملك عظيم له ستة عشر ألف جناح لو نشر منها جناحاً واحداً في الدنيا لما وسعته ، فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى حاضعاً ذليلاً قد بلغت نفسه إلى حنجرته فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الجبار جل جلاله ، فيقول الله له ما صنعت بالوحي الذي بلغ إليك اللوح المحفوظ ، وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق في علمي أني أسألك اليوم عبادي وجميع خلقي وأستشهد بعضهم على بعض ، فيقول ميكائيل : يا رب بلغني اللوح المحفوظ وبلغته عبدك إسرافيل وأنت أعلم *

رسالة إسرافيل

فيبرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له ، ثم ينادِي أين إسرافيل ؟ فيؤتى به ﷺ وهو ملكٌ عظيمٌ له جناحٌ بالمشرق وجناحٌ بالمغرب ورجلاه تحت

تخوم الأرض السابعة السفلى والعرش على رأسه فيقف بين يدي الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعاً ذليلاً قد ذهلت نفسه وتغير لونه ، وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج خوفاً وجزعاً وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله : ما صنعت بالوحي الذي بلَّغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علاَّمُ الغيوب . فيقول إسرافيل عليه السلام نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني وأنت أعلم وقد بلَّغته عبدك جبريل (عليه السلام) ، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام ❊

رسالة جبريل

ثم ينادي أين جبريل ؟ فيؤتي بجبريل ﷺ وقد تغير لونه وتبلبل لُبُّه وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هي تدخل ولا هي تخرج جزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله[1] ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا جبريل ما صنعت بالوحي الذي بلَّغك عبدي إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام نعم يا سيدي ومولاي بلغني وبلَّغته نبيك نوحاً عليه السلام وأنت أعلم . فيبرأ إسرافيلُ بشهادةِ جبريل ❊

شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدي الجبارِ جلَّ جلالُه وقد ذهبت نفسُهُ وتغيَّر لونه وقد مات فزعاً وخوفاً من الجبار جل جلاله ، فيقول الجبار جل جلاله : يا نوح ما صنعت بالوحي الذي بلغك عبدي جبريل (عليه

(١) هذا رعب وفزع الملائكة من رب العزة جل شأنه فما بالك عزيزي القارىء من أحوالنا نحن البشر الضعفاء العصاة الغافلين ، نسأل الله أن يقيل عثراتنا وأن يهدينا سواء السبيل .

السلام) وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام نعم يا سيدي ومولاي قد بلغني عبدك جبريل (عليه السلام) وقد بلَّغته قومي وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك . فيقول الله تبارك وتعالى : صدقت أنا أعلم من جميع خلقي ولكن قد سبق في علمي أن أسأل جميع خلقي وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذي لا أجور في حكمي . ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم ما صنعتم بالوحي الذي بلَّغكم نوح (عليه السلام) وهل بلَّغكم وهل تشهدون له بالتبليغ ؟ فيقول قومُ نوح : ربنا ما جاءنا من نذير ولا رأيناه يوماً قط ولا سمعنا به ولا بَلَّغ إلينا رسالةً ، فإذا سمع نوح عليه السلام كلامَ قومه ذهبت نفسه ووَدَّ لو ابتلعته الأرض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياءً من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك الرسالة ؟ فينظر نوح عليه السلام في الموقف يميناً وشمالاً ومشرقاً ومغرباً يتضح ويتبصر من بين سائر الأنبياء والمرسلين ، وبين كراسي الشهداء والصديقين ، فلا يرى في المنابر أعلا ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد ﷺ ﴾ *

جاه الرسول الأعظم

ولا يرى في الأنبياء أحسن وجهاً من وجه محمد ﷺ ، ولا يرى نوح في الكراسي أنور ولا أحسن من كراسي أمة محمد ﷺ ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسي أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولا يرى في الوجوه أحسن وجهاً من وجوه أمة محمد ﷺ ، ولا يرى في الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضي الله عنه *

فضل أبي بكر الصديق

فيقول له نوح : قد أصبت من يشهد لي يا مولاي وسيدي ، فيقول الله تبارك وتعالى : وهو أعلم ـ من يشهد لك يا نوح ؟ فيقول نوح عليه السلام :

يشهد لي محمد ﷺ وأمته بأني قد بلغت قومي الرسالة ، فينادي منادٍ أين النبي الأمي العربي التهامي ؟ أين أحمد أين سيد العالمين ، أين خاتم النبيين والمرسلين ، أين إمام المتقين ؟ فعند ذلك يقوم محمد ﷺ ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رؤوسهم إذا رأوا رسول الله ﷺ فيمضي صلوات الله عليه حتى ينتهي إلى ربه عز وجل ، فيقول له ربه يا أحمد ـ ونوح قائم ينظر ـ ما تقول[1] هل بلغ نوح الرسالة إلى قومه ؟ فيقوم محمد ﷺ : نعم يا سيدي ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم إلى الإيمان ألف سنة إلا خمسين عاماً . فيقول الجبار جل جلاله : صدقت يا أحمد . فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه : ثم يقول الله تعالى ٠: يا محمد هلم أمتك إلى الحساب والشهادة ، فبينما الخلائق في الموقف إذ يموج بعضهم في بعض ويفزعون فزعة عظيمة ، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد ﷺ يميناً وشمالاً فلا يرون النبي محمد ﷺ ، والأمم قد أحدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله ﷺ خالياً *

منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض : لمن هذا المنبر الذي لا يرى في الموقف مثله لحسنه وجماله ، ولا يرى أنوَر منه ولا أعلا ولا أبهى منه ، ونراه خالياً ولا نرى له صاحباً ؟ فبينما هم ينظرون إلى منبر النبي ﷺ إذ ينادي المنادي ، إلا أن هذا المنبر منبر محمد ﷺ ، وأن محمداً ﷺ يناجي ربَّه في المذنبين من أمته يشفع لهم إلى الله تعالى . فبينما هذه الأمة وقوفٌ مغمومون محزونون بما يأتي النبي ﷺ من عند ربه عزَّ وجل ، إذ يخرج إليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهي إليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤوسهم وينظرون إليه ، فإذا رآهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء ، فإذا نظروا (تجدُ كلّ نفسٍ ما عَمِلت من خيرٍ مُحضراً) الآية . ذلك يوم مهول عبوس

(١) في الأصل : ما يقول محمد ﷺ ، وقد ورد كثيراً عند الكلام المسند إلى الله تعالى ، جبريل =

يوم تشيبُ فيه الرؤوس ، وتذهل فيه النفوس ، وتبلو كل نفس ما أسلفت ، وتقدم كل أمة على ما قدمت ، وتذهل كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثواباً ونعيماً ، وسروراً مقيماً ، ورباً كريماً ، رؤوفاً بعباده رحيماً . ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خزياً جسيماً ، وناراً وجحيماً ، وعذاباً مقيماً ، ونكالاً أليماً ، ورباً غضباناً عظيماً ﴿ يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت ﴾[1] .

الثواب والعقاب

يجد الطائعُ الثوابَ ، ويجد الفاسقُ العذابَ ، يجد المؤمن لذةَ الوصالِ ، بالنظر إلى الكبير المتعال ، في دار الخلد[2] والجلال ، ويجد الكافر العذاب والنكال ، والسلاسل والأغلال ، والجحيم والخبال ، وفظاعة الأهوال ، يوم تجد كل نفس ما عملت ، يجد المؤمن النعيم والكرامة ، والأمن في القيامة ، والعافية والسلامة ، والحلول في دار المقامة ، ويجد الكافر الخزي والندامة ، والعذاب والملامة ﴿ يوم تجد كلُّ نفسٍ ما عملت ﴾ يجد المؤمنُ الدرجاتِ ، ويجد الكافر العقوبات ، يجد المؤمن السرور ، ويجد الفاجر الثبور ، يجد المؤمن النعيم والخلود ، ويجد الفاجرُ عذاباً غير مردود ، ويجد المؤمنُ ما قدم من الإحسان ، في درجات الجنان في جوار الرحمن ، مع الخيرات الحسان ، ويجد الفاجر ما عمل من العصيان في سموم النيران ، في جوار الشيطان ، مع الذل والهوان . يوم تجد كل نفس ما عملت ، في يوم هائل عظيم ، يوم تكثر فيه الغموم وتعظم فيه الهموم ، ويفصل الرب بين عباده وهو الحي القيوم ﴿ يوم تجد كل نفس ﴾ يوم تندم على القبائح ، وتتأسف عند معاينة الفضائح ، ، وتوجد الأعمال في الصحائف

= عليه السلام ، ميكائيل عليه السلام محمد ﷺ ، وذلك في الغالب زيادات من النساخ على الأصل كما جرت العادة ، عند ذكر هذه الأسماء . راجع شرح عثمان خليل .

(١) آل عمران ٣٠ .

(٢) دار الخلد : الجنة ، ومن أسماء الجنة أيضاً ، دار السلام ، دار المقامة .

الصحائح . يوم تجد كلُّ نفس يوم يندم الظالمُ ويخسر الآثم ، ويكون الجبار جلّ جلاله في ذلك اليوم العدل الحاكم ، ذلك يوم الندامة والحسرة ، والأهوال والعبرة . وأنشدوا :

يا واحداً صمداً بغير قرينِ ... ارحم ضراعةَ عبدك المسكين
واعطف عليَّ إذا وقفت مُرَوَّعاً ... حيرانَ بين يديك يومَ الدين[1]
يا حسرتي بين العبادِ إذا همُو ... خافوا الحسابَ فخف عنهم دوني
ما حيلتي في ﴿ يوم ﴾[2] نشرِ صحيفتي ... إذْ قِيلَ لي خُذْها بغيرِ يمينِ
ما حيلتي عند الحساب وهوله ... إذ قَصَّرت بي قُوَّتي ويقيني
لا حيلة عندي ولا ﴿لي[3]﴾ موئلٌ ... إن خانني طمعِي وحُسْنُ ظنونِي
يا رب لا تترك عبيدك هالكاً ... وارحم بفضلك عبرتِي وشئوني[4]

﴿ يوم تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً ﴾ أي تجده حاضراً عتيداً وتسأل عن أعمالك سؤالاً شديداً ﴿ وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ .

قيل الأمد[5] البعيد الذي يود من عمل سوءاً وعصي مولاه أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب *

وقيل الأمد البعيد الغاية في البعد الذي يتمني أنه تاب في الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحي عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأى التائبين غفر لهم بالتوبة ، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة ، كما

---

(١) يوم الدين : يوم القيامة .
(٢) لفظ يوم لم ترد بالأصل زادها عثمان خليل للوزن .
(٣) لفظة (لي) لم ترد بالأصل زادها عثمان خليل أيضاً للوزن فاستقام . والقصيدة من بحر الكامل .
(٤) الشئون : الدموع .
(٥) الأمد : الغاية .

قال تعالى ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلٓهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾[١] الآية *

فائدة التوبة

وقال رسول الله ﷺ « كل بني آدم خطَّاءٌ وخير الخطائين التوابون » فإذا رأى المسكين الذي عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم والخطوب ، وأسودَّ وجهُهُ من ظلماتِ الذنوب ، وقد غضب عليه علَّامُ الغيوب ، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير ، والحساب اليسير ، ولباس السندس والحرير ، والنظر إلى وجه السميع البصير[٢] ورأى نفسه قد خسر وخاب ، وحُرِمَ الثواب ، ونوقش الحساب ، وحجب عن رب الأرباب ، وصار إلى أليم العذاب . يود لو كان تائباً ، ولم يكن من الرحمة خائباً ، يود لو كان السوء عنه بعيداً ، ولم يكن حاضراً عتيداً ، ولم يكن العذابُ عليه شديداً . يود لو كان من التائبين ، ولم يكن من المحرومين ، يود لو كان من الآمنين ، ولم يكن من المخالفين ، يود لو كان من الطائعين ، ولم يكن من العاصين ، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين ، يود لو كان من أهل الجنان ، ولم يكن من أهل النيران ، يود لو كان من أهل الثواب ولم يكن من أهل العقاب ، يودُّ لو كان من أهل النعيم ، ولم يكن من أهل الجحيم ، يودُّ لو كان من الأولياء ، ولم يكن من الأشقياء . يود لو كان من أهل الوفاق ، ولم يكن من أهل النفاق . يود لو كان من أهل الفوز بالجنة ، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة . يود لو كان سعيداً رشيداً ، ولم يكن عن الله بعيداً . لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته ، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته *

---

(١) الفرقان ٦٨ .

(٢) ورد في قوله تعالى : ـ ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ فقالوا الزيادة هي رؤ ية الله سبحانه وتعالى والنظر إلى وجهه الكريم في الجنة .

عمل العبد يلازمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد إذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيراً كان أو شرًّاً فإذا صلِّي عليه ومضى إلى قبره وانصرف الناسُ عنه بقي عمله معه في قبره ولا يزال معه في قبره إلى يوم يخرج من قبره فإذا خرج خرج معه ، فإذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه ، يجد الكل مجموعاً لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر ، ولا من الظواهر ولا من السرائر *

الحض على التوبة

فالله الله معشر المذنبين مثلي أبعدوا عن عمل السوء بالتوبة إلى الرحمن ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها غرور الشيطان ، وأعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة ، ويرحمكم يوم الحساب بحسن الأوبة[1] . يا أخي يا أخي وما عسى أن أقول لك من كرم مولاك الجليل جل جلاله لو أن الذنوب التي عملت في أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها ، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة ، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله ، ولا تسأل عنها يوم القيامة وأنشدوا :

نهاك الطبيب محيلاً على ... مطاعم لو نلتها لم تمتْ
وخاطبك اللهُ جلَّ اسمُهُ ... بترك الذنوب التي حرمتْ
فأعرضتَ عن أمره لاهياً ... وأمَّنت نفسَكَ ما خوفتْ
فأطمعتها أن تنال الرِّضَا ... بجهلك في فضلِ من قد عَصَتْ
فماذَا تقولَ إذا أزعجت ... لتخرج بالكره فاستسلمتْ
فلا ندمٌ حطَّ أوزارها ... ولا توبة غَسَلَتْ ما جنتْ
وأفردتَ وحدَك في ملحدٍ ... بكت فيه نفسُكَ ما أسلفتْ

(١) الأوبة : الإياب والإنابة أي الرجوع بالتوبة .

ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فإن فيها بلاغةً لمن تذكر ، وزجراً لمن اعتبر ؛ وتخويفاً لمن تدبر ، ونهياً لمن تفكر . فالفكرة عبادةٌ ، وخيرٌ وزيادةٌ . لأن مولاكم الكريم قد خوَّفكم وهددكم وزجركم بها زجراً شديداً فقال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[1] ثم قال ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ أي يحذركم عقابه وعذابه إذا عصيتموه ، ويجزل لكم ثوابه إذا أطعتموه ، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئاً وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب ، ولا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلَّت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب . واعلموا أن الذنب الذي يحقره صاحبه يكون يوم القيامة في ميزان فاعله أثقل من جبال الأرض ، فازجر نفسك عن غيها وقدم في حياتك . ليوم فقرك . والأصل في الذنب الصغير أن يكون سبباً لدخول صاحبه في النار . إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر في من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله ، فعند ذلك يغضب عليه مولاه ويقول له : عبدي حقَّر ذنبه واستخفَّ بحقي ، وعزتي وجلالي لأعذبنَّه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة *

وقد قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً » قال الله سبحانه ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت ﴾[2] الآية . وأنشدوا :

قد ذهب الحيُّ إلى عرسه   وعـذِّب الميتُ في رمسِهِ
مـرتهنُ النفس بـأعمـالِهـا   لا يأمن الإطلاقَ من حبسِه
لنفسـه صـالـحُ أعمـالِهَـا   وما سوى هذا على نفسِه

---

(١) آل عمران ٣٠ .
(٢) آل عمران ٣٠ .

حكاية عن أحد الصالحين

حكي أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : يا منصور مسألة ؟ وقد أمهلتك سنة كاملة ، من أعقل الناس ، ومن أجهل الناس ؟ قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فإذا الجواب قد حضره ، فرجع إلى عبد الملك ، فقال له عبد الملك يا منصور ما الذي ردَّك إلينا ؟ قال : يا أمير المؤمنين أعقل الناس محسنٌ خائف وأجهل الناس مسيءٌ آمن . فبكى أمير المؤمنين حتى بلّ ثيابه بدموعه ثم قال أحسنت والله يا منصور ثم قال له إقرأ عليَّ شيئاً من كتاب الله فهو الشفاءُ لما في الصدور ، وهو الدواءُ والنور . فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[1] الآية . فقال عبد الملك : قتلتني يا منصور ثم غشي عليه ، فلما أفاق قال له يا منصور ما معنى ﴿ ويحذركم اللهُ نفسَه ﴾ قال منصور عقوبته يا أمير المؤمنين . فبكى عبد الملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال يا منصور وما معنى ﴿ رؤوف بالعباد ﴾ قال رحيمٌ غفارٌ لمن تابَ وأنابَ قال وما معنى ﴿ ما عملت من سوء محضراً ﴾[2] قال كلُّ صغيرةٍ وكبيرةٍ يجدها العبدُ يوم القيامة ، لم يغفر الله منها شيئاً . فبكى عبد الملك حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال :

رقة عبد الملك بن مروان

إن والله من فكَّر في هذه الآية وعصي مولاه بعد ذلك لقد ضلَّ ضلالاً بعيداً . وأنشدوا :

بكيت على عظم الذنوب وغزرها[3] وما قلَّ من يبكي لعظم سؤالهْ
تفكَّر في عظم السؤالِ وهولِهِ وتندب دهراً زاد قُبحُ فعالهْ

---

(١) (٢) آل عمران ٣٠ .

(٣) كذا بالأصل ، واضطر المؤلف للوزن إلى إستعمال هذه اللفظة (غزرها) .

لعلَّ إلهَ العرشِ يرحمُ عبدَهُ ويمنحه في الحشرِ طولَ وِصَالِهْ
ويغفر ما قد كان في طولِ جهلِهِ ويسكنه بالعفوِ دارَ جلالهْ
وإن نظرَ الربُّ العظيمُ جلاله فذاك جسيم من جزيل نوالهْ

﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[1] تجد والله كل نفس ما قدمت في الأيام ، من الطاعات والإجرام . ذلك يوم المصائب ، ويوم النوائب ، ويوم العجائب . يوم هتك الأستار ، يوم تسعر فيه النار ، يوم يفوز فيه الأبرار ، ويندم فيه الفجار ، وتعرض العباد على الواحد القهار . فالعجب كل العجب ممن قطع عمره في الأغفال ، وضيَّع أيامه في المحال ، وأفنى شبابه في الضلال ، ولم يعمل بما في كتاب ذي المجد والجلال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[2] يقول الله تعالى يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة ؟! وأنشدوا :

ما بال قلبك باللذات قد شغفا وعن فواتِ صوابِ الفعلِ ما أسفَا
وقد توعَّده الجبارُ خالقُنَا وبالذنوبِ وبالعصيانِ قَد كَلِفَا[3]

توبيخ الله تعالى للعباد

ذُكر في بعض الأخبار أن الله تبارك وتعالى يقول في بعض كتبه المنزلة على أنبيائه : يا عبدي ما الذي زهَّدك فيَّ ورغَّبك في غيري ؟ عبدي أنا أتقرب إليك وتهرب عني وأطلبك وتفرمني ! عبدي بسطت لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عني ، وآثرتها علي وزهدت في سعة رحمتي ! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين إليهم ؟ عبدي من الذي سترك وكلاءك وحفظك ووقاك ؟ هل كانت لك شركة في نفسك معي ، أم هل كانت لك قوة بنفسك عليَّ ؟ عبدي ما الذي قصرك عن عبادتي ؟ ما الذي زهَّدك في طاعتي ؟ أين

(١) آل عمران ٣٠ .
(٢) آل عمران ٣٠.
(٣) كلف بالمعاصي : أدمن عليها وتعلق بها .

أنت من هادم اللذات ، أين أنت من نواح[1] الآباء والأمهات ، أين أنت من المُفرِّق بين البنين والبنات ، أين أنت ممن لا يستأذن على أصحاب القصور ، ولا يستأمر أرباب الدور ، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين ؟ عبدي أليس قد اضمحلت آثار الماضين ، ودرست[2] معالم السالفين ، واتبع آثارهم الباقون . ومن ذا الذي يقوم بخلود الدهر غيري ، ومن ذا الذي ينفع دوام الأبد غيري ، عجزت عن الخلود الجبال الرأسيات والأطواد[3] العاليات ، والبحار الطاميات . أنا الذي تفردتُ بالبقاء ، وحكمت على عبادي بالفناء ، أنا الله لا إله إلا أنا لا شريك معي في ملكي ، ولا نظير لي في حكمي ولا ضدَّ لي في سلطاني . وأنشدوا :

أما والذي لا خلدَ إلا لوجههِ ومن ليس في العزِّ المنيع له كفو
لئن كان هذا العيش مراً مذاقُهُ لقد يجتني من غثه الثمرَ الحلو

السؤال لا يدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة ، والخفية والسريرة ، وعن كل ما قلَّ ، وما دقَّ وما جلَّ ، لا يغفل عن شيء ، يجد العبد ما عمل حاضراً ، ويجزي به وافراً ويسأل عمَّا عمل سراً وظاهراً ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[4] تجد والله القليل والكثير ؛ والنقير والذرة والقطمير . وأنشدوا :

والله لو بكينا طولَ الأيام بدمع هاملٍ سجام
وفررنا من الأهل والأوطان إلى الجبال والآكام[5]

---

(١) في الأصل واج الأمهات ولعلها تحريف من النساخ فأصلحها عثمان خليل كما وردت هنا .
(٢) درست : من الدارس البالي ، الذي ناله العفاء والغناء .
(٣) الأطواد : الجبال .
(٤) آل عمران ٣٠ .
(٥) الآكام : جمع أكمة وهي التل المرتفع من الحصى والحجارة .

خوفاً من ذلك المقام ، لكان ذلك لنا قليلاً خوفاً من سؤال الملك العلام . فكيف ونحن لا نفيق من الغفلات ، ولا ننتبه من السكرات ، ولا نخاف يوماً نجد فيه الحسنات والسيئات ، ونسأل عن المظالم والتبعات ؛ كما قال الذي فطر الأرض والسمواتِ ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[1] .

سؤال الله تعالى للعباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى يخلو بعبده يوم القيامة ليس بينه وبينه حجابٌ ويقول له : عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا ، أما علمت أني مطلع عليك يا عبدي أفجعلتني أهون الناظرين إليك ؟ أما استحييت مني ، أما استحيت من ملائكتي ، أما خفت من عقابي ، عبدي أرويتك من الماء البارد[2] وقوّيتُ جسمك ووسَّعت عليك من سعة رِفدِي فعصيتني ! حتى أن العبدَ ليذوب حياءً من الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع ، ثم يقول العبد يا رب النار أهون عليَّ من حيائي منك ومن العباد . فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول : يا رب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافاً بحقك ، وما ظننت بك إلا أن تغفر لي كما سترت عليَّ في الدنيا ، وقد أيقنت أن عصياني ذلك لا يضرك ، وأن رحمتك لي لا تنقصك . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي . فوعزتي وجلالي لأغفرنَّ لك اليوم ، يا ملائكتي مروا بعبدي إلى الجنة . ومن العباد من يقول : يا رب العذاب عليَّ أهون من توبيخك لي ، أرسل بي إلى النار كما يفعل بالعبد الآبق[3] عن

---

(١) آل عمران ٣٠.

(٢) قال صلى الله عليه وسلم: « من نوقش في الحساب عذب» وفي رواية « من نوقش الحساب هلك». فقالت السيدة عائشة رضي الله عنها، إنك يا رسول الله دائما تقول: اللهم حاسبني حسابا يسيرا، قال: إنما ذلك العرض. فما من أحد يناقشه ربه يومئذ إلا هلك».

(٣) الآبق: من أبق العبد إذا هرب.

مولاه . فيقول الله تبارك وتعالى : عبدي ما وبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيتني بها ، وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين . مروا بعبدي إلى الجنة . جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة أجمعين ، وتوفانا برحمته مسلمين ، وختم لنا عند فراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وشرف وكرم ، وحشرنا معه في المقام الأعظم ، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يا رب العالمين *

٦ - مجلس ثاني في قوله سبحانه وتعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾[١]

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[١] يجد المؤمن الحسنات في قرار الجنات ، والقصور العاليات ، والحور والدرجات ، والنظر إلى رب الأرضين والسموات ، يجد الطائع البشري ، ويجد الفاجر النار الكبري ، يجد المؤمن الأمان ، مع السرور والرضوان ، ويجد الفاجر الهوان ، مع الذل والخسران ، يجد المؤمن من الملك الجزيل ، مع الثواب والتفضيل ، وأنهار السلسبيل ، والنظر إلى وجه الملك الجليل ، ويجد الفاجر النوحَ والعويلَ ، والحزن الدائم الطويل ، والعذاب الشديد الثقيل ، يجد المؤمن الخلاص ، والتبجيل والإختصاص ، ويجد الفاجر العذاب وشدة القصاص . المؤمن يوم القيامة مرحوم ، والفاجر باللعنة مرجوم ، المؤمن عند الحساب مستور ، والفاجر عند السؤال مشهور . المؤمن عند الحساب يلاطف ، والفاجر عند السؤال يكاشف . المؤمن حسابه عتاب ، والفاجر سؤاله عذاب . المؤمن يجد من مولاه الرحمة ، والفاجر يجد من الله النقمة . المؤمن حسابه يسير ، والفاجر حسابه عسير . المؤمن يجد لباسه حرير الجنان ، والفاجر لباسه سرابيل القطران . المؤمن يجد عمله سروراً ، والفاجر يجد عمله ويلاً وثبوراً . المؤمن يجد الإتصال ،

---

(١) آل عمران ٣٠.

والفاجر يجد الإنفصال . المؤمن يجد الخلاص والفكاك ، والفاجر يجد الهوان والهلاك . المؤمن مع محمد النبي ، والفاجر مع الشيطان الغوي . المؤمن في وجهه نضرةُ النعيم ، والفاجر في وجهه ظلمةُ الجحيم ، المؤمن في الحساب ريان ، والفاجر في الموقف عطشان . وأنشدوا :

أنت المخاطبُ أيها الإنسانُ فأصخ[1] إليَّ يلح لك البرهانُ
أودعت ما لو قلته لك قلت لي هـذا لعمـرك كـلُّه هـذيـانُ
فانظر لعقلك من بيانك واعتبر إتقـانَ صنعتِـه فثَمَّ الشـانُ[2]
وجزا محاسن فعلهم في حشرهم عنـد الإلـه وعنـده الـرضـوانُ
هذا لعمري ظاهر لا يختفي نطق الرسـول وبيَّن الفرقـانُ[3]

حكم قدسية

ذكر في بعض الحكم التي أنزلت على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ عجباً لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم ، وعجباً لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب ، وعجباً لمن يعمل أعمال النيران وهو يطلب نعيم الجنان ؟ كأنك يا أخي قد قربت من العرض والحساب ، ووقفت بين يدي الملك الوهاب ، فيأمر بك إلى الجنة وحسن المآب ، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر في هذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلي من قلبك ، والوقر أن يزول عن سمعك ، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك ، فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . فأنظر يا أخي بنور فكرتك ، وأطلق

---

(١) أصاخ له: إستمع إليه.
(٢) إن الدلالة اليقينية على قدرة الله جل شأنه
(٣) الفرقان: هو القرآن الكريم، لأنه يفرق الحق من الباطل.

الموعظة على بحر عبرتك ، فلعل العين أن تدمع ، ولعل القلب أن يرق ويخشع ، فإذا جرت الدموع وخشعت القلوب مُحِيت الذنوب ، وبلغت المنى والمرغوب ، ويسَّر حسابك علاَّمُ الغيوب . وأنشدوا :

تذكري المكث في الترابِ حتى أنادي إلى الحسابِ
هـون كل البـلاء عنـدي وهكـذا الفقد للشبـابِ[1]
فليت شعري وكم مقامي تحت الثرى أو متى إيابِي
لو كان لي عقلٌ ما هناني نومي ولا ساغ[2] لي شرابِي
ولا ضحكت ولست أدري مالي لدى الله من حسابِ

النداء بأسماء الخلائق

ذكر في بعض الأخبار أن الخلائق إذا وقفوا في أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادى المنادي بإسمك يا مغرور على رؤوس الأولين والآخرين أين فلان بن فلان ، أو أين فلانة بنت فلان ، هلم إلى الحساب بين يدي رب العالمين ، فاستقر في سمعك يا مسكين إنك أنت المنادي من جميع الخلق ، فقمت على قدميك قد تغير من الفزع لونك ، وانخلع من الجزع قلبك ، واضطربت من الهلع مفاصلك ، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان ، وأوصالك قد اشتدت في الطيران ، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن ، فإذا نظر الملك الموكَّل بسوقك وقد تغير لونك وتحير لبك ، علم أنك أنت المنادى بإسمه فإذا كنت من أهل النفاق ، والعصيان للملك الخلاَّق ، نظر على وجهك ظلمة الذنوب ، فعلم أنك عدو لعلام الغيوب ، فجمع بين ناصيتك وقدميك ، غضباً لغضب الله عليك *

(١) وقد قيل قديما: (روائح الجنة في الشباب).
(٢) ساغ: طاب ولذ وسهل في الحلق مجراه.

أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى ﴿ يعرفُ المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصِي والأقدام ﴾(1) وإن كنت من أهل الرشاد ، والتوفيق والسداد ، الذين وفُّوا الله بالميعاد ، وخافوا مولاهم ربَّ العباد ؛ أخذ بيدك الملك وقادك ، يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم إليك ، وتمنوا مثل ما من الله عليك ، وأنت سائر إلى ربك ليجازيك بسعيك ، ويعدل عليك بكسبك . فلما انتهى بك الملك إلى سلطان العظمة ، فإن كنت من أهل السير الصالح في الدنيا سترك جل جلاله بالنور ، وأبدى لك البشرى والسرور ، وقربك وأدناك ، وفضلك وحاباك ، فلم يطلع على حسابك ملكٌ ولا نبيٌّ ولا رسولٌ ، إلا الملكُ الجبارُ الذي لا يحول ولا يزول ، فيقول لك عبدي أنت الذي كنت تسهر والعباد نائمون ، وتصوم والعباد يشبعون ، وتبكي والعباد يضحكون ، وتحزن والعباد يفرحون ، وتخافني والعباد آمنون ، أنت الذي كنت تجتهد في عبادتي والعباد بطَّالون ، وتتصدق والعباد يبخلون ، وتبذل المعروف بين عبادي والناس يمنعون .

يقول المولى جل جلاله : فوعزتي وجلالي وملكي ومجدي وكبريائي وعظيم سلطاني وقدرتي على جميع العباد لأومنن روعك ، ولأبيحنك جنتي ، ولأوسعنك مغفرتي ورحمتي ، ولأعطينك من جزيل ثوابي وحسن مآبي ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر . ولأبيحنك النظر إلى وجهي(2) ، ولأرفعن قدرك وجاهك ، ولأشفعنَّك في إخوانك وأهلك وأحبابِك وجيرانك من أهل الذنوب والخطايا .

---

(1) الرحمن ٤١ .
(2) إن أعظم نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على أهل الجنة، هي النظر إلى وجهه الكريم، اللهم لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم.

شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله يا عبدي أخرج إلى موقف الحشر فانظر إلى من لقيني من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به إلى الجنة بلا خوف ولا حزن ، والله تعالى أعلم . وأنشدوا :

عنِّي إليك[١] فما اللذات من شغلي ... ولا سبيل الصبا واللهو من سبلِي
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه ... فلست منه على زيغٍ ولا زللِ[٢]
في الحشر لي شغلٌ عن كل مشتغلٍ ... بلذةٍ وعن الألحاظ والمقلِ
هذا إطار الكرى عن مقلتي وزوى[٣] ... عني المنى وطوى المبسوط من أملِي
كم ليلة بت فيها ساهراً أرِقاً ... أخشى العقابَ وأخشى سرعةَ الأجلِ

قال الله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم اللهُ نفسَه والله رؤ وفٌ بالعباد ﴾[٤] رؤ وف والله بالمؤمنين ، ذو نقمةٍ على الظالمين ، رؤ وف بأهل الإحسان ، وذو انتقام من أهل العصيان ، رؤ وف بأهل السداد ، وذو انتقام من أهل العناد ، يا مغرور تفكر في هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية ، ومن الزجر والتقريع نهاية ، فازجر نفسك عن هواها ، عساك تبلغها يوم العرض مناها .

حكاية عن ذي النون المصري

حكي عن ذي النون المصري بن إبراهيم الأخميمي[٥] رحمة الله تعالى عليه أنه قال : خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام ؛

---

(١) الصحيح (إليك عني) وهي إسم فعل بمعنى ابتعد عني .
(٢) الزيغ : الإنحراف عن جادة الاستقامة والزلل : الأخطاء .
(٣) زوى : جمع وقبض .
(٤) آل عمران ٣٠ .
(٥) من قرية من قرى صعيد مصر لا تزال موجودة حتى الآن .

فلما علوت الوادي فإذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾[1] فلما قرب مني السواد إذا هو شخص ، فتأملته فإذا هو أمرأةٌ عليها جبةُ صوفٍ وخمار من صوف ، وبيدها ركوةٌ[2] وبيدها الأخرى عكاز ، فقالت لي غير فازعة مني : من أنت ؟ فقلت لها رجل غريب ، فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء ، ومعين الضعفاء ، فاجعله أنيسك إذا استوحشت ، وهاديك إذا ضللت ، وصاحبك إذا احتجت . قال ذو النون : فبكيت من كلامها فقالت مم بكاؤك ؟ قلت لها وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سبباً لشفائي ، قالت فإن كنت صادقاً في مقالتك فلم بكيت ؟ قلت لها رحمك الله والصادق لا يبكي !! قالت لا ، قلت لها لم لا يبكي الصادق ؟ قالت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه . قال ذو النون : فبقيت والله متعجباً من قولها فقالت لي مالك ؟ قلت أنا والله متعجب من قولك ، قالت وهل نسيت القرحة التي ذكرتها ؟ قال قلت لها رحمك الله إن رأيت أن تمني علي بالزيادة . فقالت وما أفادك الحكيم في مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغني به عن طلب الزوائد ! قال قلت لها رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد ، قالت صدقت يا مسكين حب مولاك واشتق إليه فإن له يوماً يذيق فيه أولياءه كأساً لا يظمئون بعده أبداً . ثم علا شهيق ثم قالت : يا حبيب قلبي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها صادقاً بريئاً من الدعاوي الكاذبة يسعدني البكاء على أيام حياتي . ثم تركتني وانحدرت في الوادي وهي تقول : اللهم إليك لا إلى النار ، حتى غاب شخصها عن بصري ، وانقطع صوتها عن سمعي . قال ذو النون : فوالله ما ذكرت كلامها قط إلا كدَّر عليَّ أحشائي وعيشي . قال ذو النون : فلقد أدبتني واستقام حالي مذ رأيتُها . وأنشدوا :

---

(١) الزمر ٤٧ .

(٢) الركوة : وعاء للماء من الخشب .

أريد وأنت تعلم ما مُرادي ... وتعلم ما تلجلج في فؤادي[1]
فهب لي ذلتي واغفر ذنوبي ... وسامحني بها يوم التنادي[2]

رجع إلى الموعظة

يا أخي ؛ مالك لا تفكر في قول مولاك الذي لم يزل عليك شهيداً ، وهو يسمعك ويراك قوله تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾[3] الآية . أقرع يا مسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الأقفال ، وترده عن الغي والمحال ، وتوقظه عن السهو الإغفال ، قال الله الكبير المتعال ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[4] ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾[5] يوم يظهر الخفي من أعمالك ، يوم تبكي على قبيح أفعالك ، يوم يحزن المسيء من أقوالك ، يوم تنوح على خطاياك وضلالك *

جهنم وشدتها

ذكر أن الخلق إذا اجتمعوا في الموقف وضاق المتسع ، وعظم الفزع ، واشتد الجزع ، واختلفت الأقدام ، وكثر الإزدحام ، وجاءت جهنم بالهول الأعظم ، والعذاب المقيم الألزم[6] ووقفت بين يدي الجبار خاضعة للملك القهار ، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها ، وترفع كلَّ جلالٍ[7] عليها ،

---

(١) تلجلج في فؤادي : جال في صدري .
(٢) يوم التناد : يوم القيامة .
(٣) آل عمران ٣٠ .
(٤) محمد ٢٤
(٥) آل عمران ٣٠ .
(٦) هكذا وردت في نسخة عثمان خليل ولم أفهم لها معنى ، وربما يكون المقصود بها والمراد منها العذاب الدائم ملازمة للمرء فهو لا يفارقه أبداً ، ولكن هذا الاستعمال غريب .
(٧) الجلال : الستار .

وهي سبعةُ أبواب على كلِّ باب سبعمائةَ ألف جلالٍ وهي الحجب ، ولولا تلك الإجلال لاحترقت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها ، غلظ كل جلال خمسمائة عام ، فإذا فتح منها الأبواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت[١] ويخرج منها عنق من نار أسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة[٢] ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا ✻

زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجمعه والجبار جلَّ جلاله يقول لها : أتركي ما لم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار ، ومناد ينادي أصحابها هذه زينتكم التي اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها[٣] على ما عند الله ولم تتبعوا سنن النبيين ، ولا سير الصالحين . ثم ينادي المنادي أتبعوا زينتكم ، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلا من رحم الله .

صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة يا ليت هذا كله جعلته في جنب الله ، يا ليته لم يكن معي ، يا ليته بعُد عني ، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسودُّ وجوهُ أقوام من الرجال والنساء ، وتعمى أبصار قوم من الرجال والنساء ، وتختم على أفواه قوم من الرجال والنساء ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوه ﴾[٤] يا أخي يا مسكين يا ضعيف

---

(١) ومعظم النار من مستصغر الشرر .
(٢) الزبرجدة : جوهرة ثمينة .
(٣) من الإيثار : التفضيل .
(٤) آل عمران ١٠٦ .

اليقين مثلي أتراك من أي الفريقين تكون ؟! أمن الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الملك الرحيم ، أو من الذي اسودت وجوههم في العذاب الأليم ؟ أفهل تكون من الذين ابيضّت وجوههم بالرحمة ، أم من الذين اسودَّت وجوههم بالنقمة ؟ فكل من أسودَّ وجهه قد أيقن بالنار ، وكل من ابيضَّ وجهُهُ قد أيقن أنه من أهل دار القرار ، فيا لها من فرحة ما أعظمها . ويا لها من مصيبة ما أدومها ، فإذا نزل السواد في وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجاباً بينه وبين النظر إلى وجه مولاه ، وإذا نزل البياض في وجه من أراد الله تبارك وتعالى يبيضُّ وجهه رفع ذلك النور حجابَ الذنوبِ الذي يحجب العبد عن النظر إلى وجه علاَّم الغيوب .

من ابيضَّ وجهُهُ

وذلك أن البياض نور المغفرة ، وهو نورُ الرحمة ، وهو نور القرب ، وهو نور الوِصَال والسواد أيضاً هو سواد البعد ؛ وهو سواد الانفصال ؛ وهو سواد النكال ؛ وهو سواد النقمة ، وهو سواد الحجبة قال الله تعالى ﴿ كلاَّ إنهم عن ربِّهم يومئذ لمحجوبون ﴾(١) فالحجاب يا مسكين يا مغرور في الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات ، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾(٢) فيا معشر المذنبين أبعدوا السوءَ وأبدلوه بالإحسان ، وارغبوا في نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزارِ والعصيان ، فإنها تزيدكم ، من عذاب النيران . يا أخي أبعد السوء وأبغضه بغضاً شديداً ، وكن على إبعاده بالتوبة جلداً جليداً ، من قبل أن يأتي يومٌ تودُّ أن لو كان السوء عنك بعيداً ، ولم تتبع شيطاناً غوياً مريداً . وأنشدوا :

يا من إليه جميعُ الخلق يبتهلوا وكلُّ حيٍّ على رحماه يتكلُ

(١) المطففين ١٥ .

(٢) آل عمران ٣٠ .

يا من نأى فرأى ما في الغيوب وما تحت الثرى وحجابُ الليلِ منسدِلُ
يا من دنا فنأى عن أن تحيط به الأفكار طُرًّا أو الأوهامُ والعللُ
أنت الملاذُ إذا ما أزمةٌ شملت وأنت ملجأُ من ضاقت بِهِ الحِيَلُ
أنت المنادِي به في كلِّ حادثةٍ أنت الآلهُ وأنت الذخرُ والأملُ
أنت الغياثُ لمن سُدَّت مذاهبه أنت الدليل لمن ضلَّت به السُّبلُ
إنَّا قصدنَاك والآمالُ واقعةٌ عليك والكلُّ ملهفٌ ومبتهلُ
فإن غفرت فعن طول[1] وعن كرمٍ وإن سَطَوت فأنت الحَكَمْ العدلُ

حكاية ذي النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله : ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحداً مدة أربعين سنة ، فنهضت إليه فلم أزل أنادي تحت صومعته[2] وأقسم أن يشرف علي حتى أشرف من أعلا صومعته ، فراودته على الكلام فأبى علي ، فقلت له بالذي سكت من أجله ومن خوفه إلا أجبتني عما أسألك عنه ، فقال لي قل ولا تطيل الكلام علي ، قلت له منذ كم أنت في هذا الموضع ؟ فقال : منذ يوم واحد ، فقلت له وكيف ذلك ؟ قال سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغداً ، فأما أمس فقد فات ، وأما اليوم فلي ، وأما الغد فلا أدري أبلغه أم لا ، ثم أدخل رأسه فما كلمني وهو يبكي ويقول لا صبرَ لي على النار .
وأنشدوا :

أيا نفس لا صبراً على النار فاعلمي وكوني على خوف من النار ما عشتِ
ودومي على الأحزانِ ما دمت حيةً عسى تذهب الأحزانُ عنك إذا متِّ[3]
يقولون في طولِ الكلام بلاغةٌ وقد علموا أن البلاغةَ في الصمتِ[4]

(١) في الأصل عن (حول) ووردت هكذا في نسخة عثمان خليل وكلاهما صح .
(٢) بناء صغير يسكنه راهب النصارى .
(٣) أسلوب ساذج ونسيج مهلهل لشعر المؤلف رحمه الله .
(٤) كثيراً ما يكون في السكوت السلامة .

إذا العبدُ لم يلعب هواهُ بعقله عصى ربَّه وازداد مقتاً على مَقْتِ

تقسيم العمر على الأعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام ، يوم مضى ويوم أنتم فيه ويوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أو فساد ولعلكم لا تبلغونه ، فأصلحوا اليوم الذي مضى بالندم على ما فاتكم فيه من الطاعة والإحسان ، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان ، واليوم الذي مضى إنما تصلحونه في اليوم الذي أنتم فيه بالبكاء والندامة ، وذم النفس مع الملامة . وأنشدوا :

حتى متى نحن والأيام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله لعله أجلب الأيام للحينِ[1]

آنس الله روعتي وروعتكم يوم النشور ، وآنس وحشتي ووحشتكم في القبور ، إنه على ذلك قدير ، وهو عليه يسير ، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة ؛ شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين .

---

(١) الحين : الهلاك .

٧ ـ مجلس في قوله تعالى
﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الآية

يا أخي يا مسكين يا حيران ، من الذنوب والعصيان ، يا من تعرض لسخط الملك الديَّان ، يا من أقرَّ عين عدوه الشيطان ، بتماديه على الخذلان ، والضلال والبهتان ، والأوزار والطغيان ، يا مغرور إنك آخذ كتاباً ، ووارد حساباً ، ونازل ثواباً ، أو عذاباً . فقدم يا غافل في دار الغرور ، ما تجده في الكتاب المنشور ، من الثواب والحبور ، والفرح والسرور ، والضياء والنور ، من رحمة العزيز الغفور *

أين الكتب يومَ القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحاً تطيرها بالأيمان وبالشمائل[١] ، أول حرف في الكتاب » ﴿ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾[٢] ما أعدل الملك الوهاب ، إذ جعل الإنسان حسيب نفسه في قراءة الكتاب . يا مسكين

---

(١) الشمائل : الأخلاق . ولكن هنا المقصود بها جمع شمال .
(٢) الإسراء ١٤ .

يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال فحسبك العذاب والنكال ، والمحن والأهوال ، والسلاسل والأغلال ، والحميم والخبال ، واللعنة والإنفصال ، من ذي الجود والجلال . وإن أخذت الكتاب باليمين ، فحسبك المقام الأمين في أعلا عليين ، مع الولدان والحور العين ، والإتصال برب العالمين ، وبمحمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وإن أصررت في الدنيا على جرمك ، ولم تتب إلى مولاك عن قبيح ذنبك ، فسوف تأخذ كتابك من ورء ظهرك ، فتجد فيه ما يحزن قلبك ، ويعظم حزنك ، ويكثر كربك ، فيا معشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختباراً ، وأوجب عليكم فيها حقوقاً كباراً ، فمتى ضيعتموها فقد أودعتم كتبكم آثاماً وأوزاراً ، ومتى وفَّيتُم بها فقد ملأتم كتبكم سروراً وأنواراً . وما من عبد ولا أمة إلا وله كتابٌ يقرؤه يوم العرض والحساب ، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب ، كمثل الزارع إن زرع طيباً رفع طيباً ، وإن زرع خبيثاً رفع خبيثاً . يا أخي فكأنك أنت كتبته بأقوالك ، وملأته بأفعالك ، وسوَّدته بالقبائح من أعمالك .

وأنشدوا :

كأني بنفسي في القيامة واقفٌ — وقد فاض دمعي حين أُعطى كتابيا
لعلمِي بـأفعالِي وسـوءِ منـاقبي — وأنَّ كتابِي سوف يُبدِي المَسَاوِيَا

فيا أهل الذنوب مثلي اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم في الديوان ، من الإحسان والعصيان ، والزيادة والنقصان ، والنفاق والإيمان ، وأنت غافلٌ في سكرة الغرور ، وكتابك مملوءٌ بالويلِ والثبورِ[1] ، فبادروا إلى الصحائف وأمحوا ما فيها من القبائح ، ومحِّصوا[2] ما قد ثبت عليكم من الفضائح ، وذلك باكتساب الحسنات ، كما قال رب الأرضين والسموات ﴿ إن الحسنات تذهبن السيئات ﴾[3] .

---

(١) الويل : وادي في جهنم ، والثبور : الهلاك .
(٢) محصوا : من التمحيص وهو الإختبار .
(٣) هود ١١٤ .

أول الناس حساباً

ذكر في بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الأمم أمة محمد ﷺ فإذا اجتمع الأولون والآخرون في أرض القيامة وقفت أمة محمد ﷺ ، فأول من يدعى منهم إلى الحساب رجل من قريش من بني مخزوم يقال له عبد الله ابن عبد الأسد ، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾(1) إلى قوله ﴿ في الأيام الخالية ﴾ نزلت هذه الآية في عبد الله بن عبد الأسد ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله ﴾ وهو الأسود بن عبد الأسد ، فأما عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فترعد فرائصُه ، وتنفك أوصاله ، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى ، فبينما هو على أشد الأحوال من الخوف بين يدي الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملكٌ من عند الله تعالى وبيده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد ، فيقول له الملك :

كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه ، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتي كتابه يروم أن يمد اليمين لأخذه فلا يقدر لأنه يجد يمينه كإنما علقت فيها جبال الدنيا ، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل ، وقيل إنها تغل يده ، وقيل إنها تلصق(2) بجسده ، وقيل إن الملك يقول له : يا عدوَّ الله خذ كتابك بشمالك فإنك من أصحاب الشمال ، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين . فيتناول عبد الله أخو الأسود كتابه بيمينه ويقال له إقرأ ما عملت من خير وشر ولا تلومن إلا نفسك ، فيفض خاتم الكتاب فينشر كتابه فإذا هو مكتوب بخط أبيض ، في باطن الكتاب السيئات ، وفي ظاهرة الحسنات فيقال له إقرأ سيئاتك فأول

---

(1) الحاقة ١٩ .

(2) هذه الإختلافات لا داعي لها في نظرنا إنما علينا أن نؤمن بأن منا من يأخذ الكتاب بيمينه وهذا هو الفوز العظيم ، ومن يأخذ الكتاب بشماله فذلك هو الخسران المبين .

حرف يجده في الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا ، فإذا رأى ذلك الذنب ميَّل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق ما لو أن مائتين من الإبل أكلت حمضاً[١] والتهبت عطشاً ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت وما نقص من عرقه شيء .

كيفية السؤال

هذا كله حياءً من الله عز وجل ، فيقول الجبار جل جلاله : عبدي فيقول لبيك ربِّي وسعديك ، فيقول ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا ؟ فيقول مولاي وسيدي وعزتك وجلالك إني لأعرفه ، فيقول عبدي أتذكر يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب ؟ فيقول نعم وعزتك وجلالك . فيقول له الجبار جل جلاله عبدي إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أني كنت مطلعاً عليك ، فيقول بلى يا سيدي ومولاي وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك ، فيقول له جل جلاله أما استحيت مني ؟ أما راقبتني ؟ أما علمت أن مرجعك إليَّ . والعبد في هذا التوبيخ قد علاه العرق ، وذاب من شدة الغرق[٢] فيقول مولاي وسيدي لأن ترسل بي إلى النار أهون علي من هذا التوبيخ[٣] . فيقول الله تبارك وتعالى عبدي أليس قد سترتها عليك في الدنيا ؟ فيقول العبد مولاي لقد فعلت ذلك بي ، فيقول جل جلاله عبدي وعزتي وجلالي ومجدي وجودي وكرمي لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين ، وأبقيتها بيني وبينك حتى تعلم نعمتي عليك وأفضالي لديك في الدنيا والآخرة *

---

١) الحمض : نبت ينبت في الصحارى تأكله الإبل فيورث عطشاً شديداً .

٢) ربما يقصد الغرق في الحرج من المعصية .

٣) لأن التوبيخ معناه هلاك العبد لما تقدم من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (من نوقش الحساب هلك) .

غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك في كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب فإذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه ، عبدي هذه سيئاتك قد غفرتها لك . فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع . ثم يقول الله جل جلاله قلِّب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما مر على حسنه ازداد قلبه فرحاً وسروراً ، وازداد بياضاً وحُسناً ونوراً ، ثم يؤتي بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر *

لباس المكرمين

ويؤتى بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة ، فليبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة ، ويقال له أخرج على الناس وأخبرهم وبشرهم أنَّ لكل عبدٍ وأمة من المؤمنين مثل ذلك . فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الأسد وكتابه بيمينه وقد أشرق وجهه نوراً ، وقلبه قد امتلأ سروراً . قد جرت على وجهه نضرةُ نعيمِ الجنان ، وتلك علامةٌ لأهل الإيمان . والملك آخذ بيمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى ألا إنَّ فلاناً قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، والخلائق قد رفعوا أبصارهم إليه وتمنوا مثل ما منَّ الله به عليه وهو يقرأ ﴿ هاؤم إقرؤا كتابيه ﴾[1] ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميعَ ذنوبي ومحاها عني ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابية ﴾[2] إني أيقنت في الدنيا أني ألقى هذا اليوم وكنت خائفاً من هوله[3] ومن قراءتي كتابي ومن حساب ربي جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهي إلى أصحابه فيقولون من هذا العبد الذي أكرمه الله ورضي عنه ؟ اللهم إجعله من

---

(١) الحاقة ١٩ .

(٢) الحاقة ٢٠ .

(٣) هوله : عذابه .

أحبابنا وقرِّبه منَّا حتى ننظر إلى ما قد فضله مولانا به ، فإذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له من أنت يا عبد الله ؟ فيقول أو ما تعرفوني ؟ فيقولون له يا عبد الله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى لا نعرفك فمن أنت ؟ فيقول لهم أنا عبد الله بن عبد الأسد ، ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا ، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأساً في الخير يدعو إليه ويأمر به ، ثم يُشفِّعه الله تبارك وتعالى في كل من شاء من أهل الذنوب ، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشَّرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ قد رضي ورضيت نفسه ورضي مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة ﴿ في جنة عالية ﴾ في غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ، والكافور الأبيض ﴿ قطوفها دانية ﴾ يعني ثمارها دانية منهم إذا اشتهوها نزلت عليهم حتى تدخل عليهم في منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها ما يشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أي حال أرادوا ، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً ﴾ لا موتَ فيها ولا حزنَ ﴿ بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ يعني الأيام الماضية وهي أيامُ الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها ، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته . وأنشدوا :

ببابك عبدٌ من عبيدِك مـذنبٌ ... كثير الخطايا جاء يسألك[1] العفوَا
فأنزل عليه العفوَ يا من بمنِّه ... على قوم موسى أنزل المَنَّ[2] والسَّلوَى
أنا عبدُك المسكينُ فارحم تضرُّعِي ... ولا تجعل النيرانَ يا ربِّ لي مثوَى
وخفف من العصيانِ ظهري إنني ... بلغتُ من الأوزارِ غايتَها القصوَى

فهذا عبد الله بن عبد الأسد الذي أنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، وعلى

(١) في الأصل : يسأل العفو ، وهذا لا يستقيم لأن الأبيات من بحر الطويل وقد صححه عثمان خليل .
(٢) المن : كالترنجين ، والسلوى : طائر السمان وقيل السلوى أيضاً العسل .

سيرته في الحساب تجري سير المؤمنين من أمة ﷺ على قدر أحوالهم واجتهادهم في الدنيا في الخير والإستقامة على طاعة الله *

أشد الناس عذاباً

وأما قوله تعالى ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله ﴾ فهو الأسود بن عبد الأسد المخزومي وهو أخو عبد الله بن عبد الأسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبد الله فيدخل الأسود حتى يوقف وبينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لأن الله تبارك وتعالى لا يراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾(١) فيوقف الأسود بين يدي الملائكة يرتعد من خوف العذاب ، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب ، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه بجلده ، ثم يأخذ برأسه فيلوي عنقه فيحول وجهه في قفاه .

كتاب السيئات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره في يده صحيفة سوداء فيها كتابٌ بخط أسود في باطن الكتاب حسناته وفي ظاهره سيئاته والكتاب مختوم ، فيقال له هذا كتابك خذه فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لأن يمينه مخلوعة من منكبه ، فيتناول كتابه بشماله فيقال له فض خاتم الكتاب فيفضه ويقال له أنشر كتابك وأقرأ ، فينشر الصحيفة وهي سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤ ها ويفرح ويظن أنه سينجوا من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه حسناتك قد ردت عليك لأنك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ﴾(٢) أي لا ينقصون ، تعجل

(١) المطففين ١٥ .

(٢) هود ١٥ .

لهم في الدنيا أجور أعمالهم ولا يثابون في الآخرة بشيء من أعمالهم ، ولا يتجاوز عنهم في شيء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها ، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر ، والأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازي الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقي وهو نعيم الجنة والنظر إلىّ وجه الله الكريم ، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق ، لأن الله تعالى خلق الجنة ثواباً لأهل الأعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى ﴿ كلُّ شيء هالكٌ إلا وجهه ﴾[1] وكل عمل يراد به وجه الله لا يهلك ، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة ، فإن الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقي بالنعيم الدائم الباقي ، ويثيب على العمل الفاني ، وهو ما يعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفاني وهو حطام[2] الدنيا ، والمؤمن لا يرضي الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض من الدنيا وأن وسع عليه في الدنيا[3] فإنما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته ، وأجر عمله أدخره له ليوم فقره إذا احتاج إليه . ثم يقال للأسود بن عبد الأسد ؛ إقلب كتابك فاقرأ فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسي وهي سود بخط أسود ، لأنها محبوطة بالكفر غير مقبولة ، فأول سيئة يقرؤها يسودُّ وجهه ويسمج[4] لونه كلما قرأ سيئه ازداد سماجة وقبحاً ، فإذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سيئاتك قد أضعفت ، إني قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات .

صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشدَّ سواداً من القار ـ وهو الزفت ـ ويعظَّم جسده للنار حتى يكون ما بين منكبيه مسيرة شهر ، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام ،

---

(١) القصص ٨٨ .

(٢) الحطام : ما تكسر من اليبس ، ويقصد من ذلك قلة قدرها .

(٣) فهو كل همه الآخرة وما يقرب إليها من مال أو قول أو عمل .

(٤) يسمج : يقبح ومنها السماجة وهي القباحة .

وما بين شفتيه العليا والسفلى أربعون ذراعاً وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ما هو فيه من العذاب ، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد ، شعره كآجام القصب ، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعاً ما بين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة كجلبة الوحوش في البرية ، في جسده من الشعر ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى ، في أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب ما لو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يبعثهم لماتوا كلهم في أسرع من طرفة عين . ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فتغل بها يداه وعنقه ويدخل طرفها في فيه وتخرج من دبره ثم يلف ما بقي منها على عنقه يتوقد ويشتعل ناراً ، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرِّها فتعلق في عنقه وهي تشتعل ناراً ، ثم يؤتى بتاج من نارٍ فيوضع على رأسه فيصعد حرُّ الصخرة إلى وجهه وينزل حر التاج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان إلى عنقه قال الله تعالى ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ وتغشى وجوههم النار ﴾[2] تغشى وجوه الكفار . ثم يؤتى بسربال[3] من قطران وهو نحاس[4] جهنم قد إنتهى في شدة الحر فيلبسه ، لو أن ذلك السربال ألقى في الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها إلى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر ، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه أشد من كل عذاب يعذب به ، ثم يقال له أخرج على الناس وأخبر أصحابك أن لكل واحدٍ منهم مثلَ هذا العذاب . فيخرج الأسود على أقبح الأحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والملك ينادي على الأسود بن عبد الأسد : يا

---

(١) الزمر ٢٤ .

(٢) إبراهيم ٥٠ .

(٣) السربال : القميص .

(٤) النحاس هو خبث جهنم أجارنا الله منها .

أهل الموقف قد شقي الأسود شقاوة لا يسعد بعدها أبداً . العنوه فإن الله تعالى قد لعنه وسخط عليه ، فينادي بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع ﴿ يا ليتني لم أوتِ كتابيه ﴾[1] أي يا ليتني لم أعط كتابي بشمالي ولا يحل بي هذا البلاء الذي أنا فيه ﴿ ولم أدرِ ما حسابيه ﴾ أي يا ليتني تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب ، ولا نزل بي هذا العذاب . ﴿ يا ليتها كانت القاضية ﴾[2] أي يا ليت الموت عاد إليَّ حتى يريحني من هذا العذاب ﴿ ما أغنى عني مالية ﴾[3] يعني المال الذي كان معه في الدنيا وكان ينفقه في غير الله ويبخل به في ذات الله تبارك وتعالى ﴿ هلك عني سلطانية ﴾[4] أي انقطعت عني حجتي واضمحلت . ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها في الدنيا ويلعنه كل من في الموقف ويعيره حتى يود لو أمر به إلى النار ، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة ﴿ خذوه فغلُّوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾[5] فيبتدره سبعون ألف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه في الهاوية من النار الحامية ، ويدخلون بسلسلة في فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة في السلك ، ثم يطعم الغسلين وهو شيء أسود نتن ـ لو أن قطرة من الغسلين[6] أخرجت إلى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن .

طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لأنهم كانوا في الدنيا لا يرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤوا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا في الدنيا من حقوق الله تعالى ، وهذا العذاب كله للأسود بن عبد الأسد ، وكذلك لكل من كان في الشر رأساً

---

(١)و (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، من سورة الحاقة .

(٦) الغسلين : ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم ، وقيل هو الصديد .

يأمر به ويدعو إليه ، يفعل به كما فعل بالأسود بن عبد الأسد ، وكل من كان في الدنيا في الخير رأساً يأمر به ويدعو إليه يفعل به كما فعل بعبد الله بن عبد الأسد ، يجزي الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج في الخير والشر والله يفعل ما يشاء لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال .

٨ - مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿ووضع الكتاب﴾ الآية

يا أهل الذنوب مثلي ، يا أهل العيوب مثلي ، يا من يعصي ولا يتوب ، يا من ألغي والمحال له صحوب[1] ، يا من ضيع غاية المنى والمرغوب ، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب . اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غداً صحائف يقرؤ ون فيها الحسنات والقبائح ، فمن كتب له حافظاه خيراً في الدار الفانية فهو خير له في الدار الباقية ، ومن كان خائفاً في الدنيا من العذاب ، متحفظاً مما يثبت عليه في الكتاب ، متجنباً لمعصية رب الأرباب ، وفَّقه الله مولاه للحق والصواب ، ويسر عليه برحمته الحساب ، ومحيت أوزاره من الكتاب ، ورضي عنه الملك الوهاب ، وأمر به إلى الجنة وحسن المآب . ومن علم أن عمله يثبت عليه في الديوان ، وهو يقرؤه لا محالة بين يدي الرحمن ، فكيف يألف العصيان ، وكيف يتحرك منه اللسان ، بالزور والبهتان ، ومخالفة كتاب الملك الديان *

الفرق بين الحسنة والسيئة

ذكر في بعض الحكم أن رجلاً كان يسوق دابته فعثرت فقال الرجل :

---

(١) صحوب : مبالغة في الصحبة .

تعست الدابة ـ يعني عثرت[1] ـ فقال ملك اليمين لملك الشمال ليست بحسنة فأكتبها ، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ما ترك صاحب اليمين فاكتبه أنت ، فكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة . وأعظم من هذا أنه ما من عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلا أثبت عليه في الكتاب ، فإن خرج النفس في طاعة الله أثبته صاحب اليمين ، وإن خرج النفس في غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه ، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته ، ولا وقت من أوقاته ، ولا لحظة من لحظاته إلا في ذكر الله وفي الفكرة في عظمة الله *

النجاة في ذكر الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله ، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الإستغفار في الليل والنهار » فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفاً مشفقاً ، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيماً مرفقاً . ومن كان في الدنيا من الغافلين ، كان (عند)[2] قراءته من النادمين . فلو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان ، من الخطايا والعصيان ، والزور والبهتان ، والزيادة والنقصان ، والغفلة والنسيان ، لعظمت منكم المصائب ، وكثرت منكم النوائب ، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب ، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب . وأنشدوا :

ما بال عينك لا تبكي لما سلفا[3] ... ذكر الذنوب وخوف النار والتلفَا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه ... لا تنس ذنبك وأذكر منه ما سلفَا
من الذنوب التي لم تبلُ جدَّتها ... وكيف تبلى وقد أودعتها صحفَا

(١) التعس : الهلاك ، عثرت أي تعثرت وكبت .
(٢) زاد (عند) على الأصل عثمان خليل في هامشه .
(٣) لما سلف : لما سبق أن قدمت .

أمـا تخـاف أمـــا تخشى فضـائحهـــا إذا الغـطاء انجلى[1] عنهن وانكشفَا

اعلمـوا معاشـر المذنبين لـو أن الله تعـالى اطلع بعضنـا على صحـائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض[2] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

حكاية عن رقة بـن واسع

حكي عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكاً ، وإن كان ليبكي حتى ترحمه الناس ، فذكر له ذلك فقال : يا أحبائي وكيف يضحك من لا يدري ما أثبت عليه في كتابه ولا يدري بما يختم له *

اللهم أختم لنا بخير . وكان رجل يكلم محمد بن واسع في حاجة فقـال لـه محمد بن واسـع : أدنُ مني فلو كانت للذنـوب رائحة لمـا قدرت أن تـدنو مني . فيـا معشر المـذنبين مثلي ونفسي أعني وكلنا مـذنب لا تغتروا بستـر الله تعالى عليكم فإن له يوماً يهتك فيـه الأستار ويحـاسب عباده على مـا عملوا في الليل والنهار ، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار . فالخير والشر قد حصل عليكم في الكتـاب ، الـذي يـوضـع لكم يـوم العـرض والحســاب ، بين يـدي رب الأرباب ، قال الملك الوهَّابُ ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممـا فيه ﴾[3] وضع الكتاب للمؤمنين ، ووضع الكتاب للمجرمين . وضـع الكتاب لأهل الإيمان ، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان . وضـع الكتاب لأهـل الجنان ، ووضع الكتاب لأهل النيـران . ووضع الكتـاب لأهل الثـواب ووضع الكتاب لأهل العقاب . ووضع الكتاب للطائعين ، ووضع الكتـاب للعاصين ، ووضـع الكتـاب لأهـل الإخـلاص والـوفـاق ، ووضـع الكتـاب لأهـل الـريـاء والنفاق ، ووضع الكتاب لأهل الوفاء ، ووضع الكتاب لأهل الجفاء ، ووضـع

---

(١) انجلى عنهن : أزيح عنهن .

(٢) قال تعالى : ـ ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ الزخرف ٦٧ .

(٣) الكهف ٤٩ .

الكتاب للعاملين ، ووضع الكتاب للباطلين[1] وضع الكتاب للقائمين ، ووضع الكتاب للنائمين ، وضع الكتاب للمستغفرين ، ووضع الكتاب للغافلين . وضع الكتاب للسعداء ، ووضع الكتاب للأشقياء . وضع الكتاب لأهل الجنة ، ووضع الكتاب لأهل المحنة . وضع الكتاب للأبرار ووضع الكتاب للفجار . وضع الكتاب لأهل التوبة ، ووضع الكتاب الأهل الحوبة ووضع الكتاب لأهل الكرامة ، ووضع الكتاب لأهل الندامة . وضع الكتاب لأهل الرشاد ، ووضع الكتاب لأهل الفساد . وضع الكتاب لأهل الحسنات ، ووضع الكتاب لأهل السيئات وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور ، ووضع الكتاب لأهل الويل والثبور فكتب تبشر بالجنة ، وكتب آخرها باللعنة والمحنة . جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته *

إحاطة الكتاب بكل شيء

وأعلموا يا معشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى ﴿ ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾[2] وقد أعلمنا إلٓهنا ومولانا أن ﴿ كل إنسان ألزمناه طائره ﴾[3] وأن كل إنسان لا بد له من السؤال ولا بد له من حساب ، ولا بد له من ثواب أو عذاب ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح ، ووعدنا عليه بالجنة ، ونهانا عن المعاصي وتوعدنا عليها بالنار . وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم في كتاب مكتوب ، بالحسنات والذنوب *

حكاية في كتابة الكتب

روي عن الحسن[4] رحمه الله أنه قال : ما من عبد ولا أمة يدفن إلا

(١) في الأصل : للباطلين ، وصححها عثمان خليل حسب السياق كما أوردها هنا .
(٢) الأنعام ٣٨ .
(٣) الإسراء ١٣ .
(٤) هو الحسن البصري وكان عابداً زاهداً واعظاً وفقيهاً جليلاً .

دخل عليه ملك في قبره معه دواة وقرطاس ، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع إليه ذلك القرطاس ويناوله قلماً ويقول له أكتب جميع ما عملت في عمرك الذي وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن في الدنيا كاتباً ، فإن كان العبد من أهل السعادة فأول ما يجري القلم بيده بإذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لا تكون في كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون في كتاب أهل الإيمان والسنة والأمان والغفران لأن بسم الله الرحمن الرحيم هي آية الإيمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله يا أهل السنة من هذه الأمة ، فإذا ثبت العبد في كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن في قبره من العذاب والضيقة *

البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم فقد حلَّ به العذاب في قبره . فإذا كتب العبد ما عمل من خير وشر شقياً كان أو سعيداً ، يطوي الملك الكتاب ويعلقه في عنقه . فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال : يا ولي الله أو يا عدو الله أتعرف هذا ؟ فيقول نعم أنا كتبته ، وأنا عملته ، فيقول له فاقرأه فيستقبله منه ما سبق له من سعادة أو شقاوة *

فالله الله معشر المذنبين مثلي المؤمنين لا تضيعوا أيامكم بالقبائح ، ولا تهملوا أعماركم في الذنوب والفضائح ، فإن جميع أعمالكم قد حصيت عليكم في الصحائف الصحائح ، وستقرؤ وها بين يدي مولاكم وتشهد عليكم الجوارح ، بالقبيح والحسن من أعمالكم . وأنشدوا :

سوف يأتي عليك ساعةُ خوفٍ حين تعطى صحائفُ الأعمالِ
وكأنِّي أرى فضائحَ قومٍ قد تجلى لكشفها ذو الجلالِ

ليت شعري إذا قرأت كتابي　　بيميني أعطاهُ أمْ بشمالِي

حكاية عن عيسى عليه السلام

روي عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال : دخل عيسى بن مريم ﷺ وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى ، يا خراب الأخر بيِّن أين أهلك وعُمَّارك ؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا وسيعودوا . فاجتهد يا أخي لا تُفرِّط فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالُهُم في رقابهم . وأنشدوا :

لا تحقرنَّ من الذنوب صغيرَهَا　　إنَّ الصغيرَ غداً يعودُ كبيرَا[1]
كلُّ الذنوبِ وإن تقادم عهدُها　　عندَ الإله مسَطراً مسطورَا

أيها الرجل المقنع بالمشيب ، الملبس حلة المعاصي المريب ، قد خسرت أيامَ الشباب ، وبذلت مهجتك للعذاب ، بغفلتك عمَّا في الكتاب ، وأتباعك اللعين الكذاب ، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب ، ومعصيتك لرب الأرباب . ما حيلتك يا مكروب مثلي سوَّدت كتابك بالذنوب ، وعصيت مولاك علاَّم الغيوب ، وبعت الحظ الجزيل بالكذب المشوب ، وضيَّعتَ الجنة التي ليس فيها نصبٌ ولا لغوب[2] واعلموا معشر المذنبين أن العبد إذا وفَّقه مولاه وأعطاه الفكرة في قراءة كتابه كان عند مولاه مستجابَ الدعاء *

حكاية في الاعتماد على الله

حكي : عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولاً عن عوز

---

(١) لا تحقرن معصية وإن كان صغيرة فلربما خبَّأ الله سبحانه وتعالى غضبه فيها ، ولا تحقرن من المعروف شيئاً يسيراً فربما آجر الله جل شأنه عليه خلداً ونعيماً مقيماً ، وقد قيل إنه لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع إستغفار .

(٢) النصب شدة التعب واللغوب هو الإعياء .

ماء[1] وكان في زمان الحر ، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء ، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه ، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه ، فقيل له بم بلغت هذه المنزلة ؟ فقال : جعلت كتابي نصب عيني في ليلي ونهاري حتى كأني أقرؤه بين يدي ربي جل جلاله *

حكاية عن مالك بن دينار

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله : كُنَّا عند محمد بن واسع ومعه مالك إبن دينار فجاء رجل فكلَّم مالكاً وأغلظ عليه في الكلام في قسمة قسمها وقال وضعتها في غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك ولتصرف وجوه الناس إليك ، قال فبكى مالك بن دينار وقال : ما أردت بهذا هذا الذي تقول ، قال بلى والله لقد أردته ، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال : اللهم إنَّ هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت . فسقط الرجل ميتاً بإذن الله *

دعاء إبن واسع

وكان محمد بن واسع إذا جُنَّ عليه الليل يبكي ويقول في بكائه : ويلي من ذنوب قد أحصيت ، ومن صحيفة قد ملئت ، وربِّي قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء . فأورثه الله تعالى ببكائه على كتابه ، وعلى حيائِهِ من ربه الإستجابة في الدعاء وتنور القلب . وأنشدوا :

أرى المشيبَ بالعذارِ قد ألَمْ ... كأنَّ موتي عن قريبٍ قد هجم
خَطَّ المشيبُ أسطراً في مفرقِي ... فراعني ما خَطَّه وما رَقَمْ

(١) أي عن شدة حاجتهم إلى الماء .

هـل الـفتـى إذا انقـضى شبـابـه		إلا كـزرع هـاج[1] سـوف ينحـطمْ
شـاب الفؤادُ قبـل شيب لمـتي[2]		واعتادني ضعف القوي قبل الهرمْ[3]
ويحي من التـوبيـخ من ربي غـداً		من ذلـك الأمر الشـديـد المستهمْ[4]
ويحي إذا نـادى الـمنـادي بـي ألا		قم عبـد سـوء مسـرع للعـرض قمْ
ويـحـي إذا مـا قـال لـي مقـرراً		وخص شـيئـاً بعـد شـيء ثـم عـمْ
مـا قـد صنعت في فـروضي والـذي		قضيت منهـا هل صفـا لي هـل سلمْ
فجئت ربـي خـاسـراً قـد أثقـلت		ظهري ذنوب كالسحاب المـرتكمْ[5]

قـال الله تبارك وتعـالى ﴿ ووضع الكتـاب فترى المجـرمين مشفقين مما فيه ﴾[6] وضع الكتاب لفصل القضاء ، ووضع الكتاب للحزن والبكاء . وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتـظهر القبـائح . وضـع الكتاب لتصح الصحـائح . الله الله يـا معشر المـذنبين حاسبـوا أنفسكم قبل يـوم الحساب ، وارحمـوا أنفسكم قبل نـزول العـذاب ، وبـادروا بـالتـوبـة قبـل غلق البـاب ، واجتهـدوا في بقية أعمـاركم قبل وضـع الكتـاب ، وسـارعـوا إلى المغفـرة من ربِّكم قبـل الخجل بين يـدي رب الأرباب ، وقبـل أن تطلبـوا بـرد الجـواب ، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب ، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب . وأنشدوا :

أبكي لـذنبك طـول الدهـر مجتهـداً		إن الـبـكـاء مـعـوَّلُ[7] الأحـزانِ
لا تنس ذنبـك في الكتـاب وعـظمـه		إن الـذنـوب تـحيط بـالإنـسـانِ

---

(١) هاج النبت : يبس وجف وذبل .
(٢) اللمة : سواد الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن .
(٣) الهرم : كبر السن والشيخوخة .
(٤) المستهم : إنما يقصد به المهم ولكن ثمة فارقاً كبيراً بين هذه وتلك .
(٥) المرتكم : المتراكم .
(٦) الكهف ٤٩ .
(٧) المعول عليه : المحمول عليه .

مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن . مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم ، وكبرت عيوبهم ، وأحصيت عليهم في الكتاب ذنوبهم . مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار في الليل والنهار ، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار ، وسوَّدوا صحفهم بالخطايا والأوزار ، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة ، وخالفوا السنة والجماعة ، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة . وأنشدوا :

(من كان)[1] يخشى الله جلَّ جلالُه ... فليكثر العبراتِ في الخلواتِ
فلعله بعد التذكُّر والبُكَا ... بدلت له العبراتُ بالحسناتِ
وتخفف الأوزار عن منشورِهِ ... يومَ الحسابِ وموقِفِ الحسراتِ

عجائب الكتب

قال الله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ﴾[2] عباد الله عند وضع الكتاب عجائب ، وأحزان ومصائب ، وكروب ونوائب . فواحدٌ يوضع له الكتاب فيبكي ، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكي . وآخر يوضع له الكتاب فتجري على وجهه نضرة[3] النعيم وآخر يوضع له الكتابُ فتعلو وجهه ظلمةُ الجحيم . وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بسخط الربِّ الجواد . وآخر يوضع له الكتاب مختوماً بالتوفيق والسداد *

اللهم وفقنا للطاعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، ونجِّنا من أهوالِ يوم الساعة ، وأدخلنا في جملة أهل الشفاعة . واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من ألواح الصبيان ، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان ، والهموم والغموم والأحزان . فاجتهدوا في البكاء معشر الإخوان ، وأكثروا الندامة فإنها توجب الغفران . وأنشدوا :

---

(١) (من كان) ساقطة من الأصل .

(٢) الكهف ٤٩ .

(٣) نضرة النعيم : من النضارة وهي الحسن والبهاء والرونق .

دعــوني على نفسي أنـوح وأنــدبُ ... بــدمــع غــزيــرٍ وأكفٍ يـتـصـبـبُ
دعــوني على نفسي أنــوحُ فــإنـني ... أخاف على نفسي الضعيفة[1] تعطبُ
وإنـي حقـيقٌ بــالـتضــرع والـبكــا ... إذا ما هدا[2] النُّوامَ والليلُ غيهبُ[3]
وجالت دواعي الحزن من كل جانبٍ ... وغارت نجومُ اللّيل وانقضَّ[4] كوكبُ
كفى أن عينـي بــالــدمــوع بخيلةٌ ... وإني بــآفــات الــذنــوب مُعَــذبُ
فمن لي إذا نادى المنادي بمن عصَى ... إلى أين إلجــائي إلى أين أهـربُ ؟
وقـد ظهـرت تلك الفضـائـحُ كلُّهــا ... وقــد قـرب الميــزانُ والنــارُ تلهبُ
فيا طول حـزني ثم يا طـول حسرتي ... لئن كنتَ في قــاعِ الجحيمِ أعـذبُ
فقـد فـاز بـالملك العـظيم عصــابـةٌ ... تبيت قيـامـاً في دجى الليـل تـرهبُ
إذا أشـرف الجبـار من فـوق عـرشـه ... وقـد زينت حـورُ الجنـانِ الكَـواعبُ
فنــاداهم سهــلاً وأهــلاً ومــرحبــاً ... أبحت لكم داري ومــا شئتم أطلبُـوا

فبـادروا رحمكم الله في هذه الأيـام الشـريفـة ، إلى محـو السيئـات من الصحيفة *

ضرب مثل في رقة القلب

يا أخي الخشبة اليـابسة إذا دخـل طرفهـا الواحـد في النار عـرق طرفهـا الآخر ، وكذلـك القلب إذا كانت فيـه حرقـة ندامـة الذنـوب التي حصلت في الكتاب المكتوب الموضوع ، جادت العينان بواكف الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلبُ بالإنابة والخشوع . وأنشدوا :

كتبتُ بــأدمعي في صـحنِ خــدِّي ... كـتــابــاً بــالـتـذلــل والـخـضــوع
فقــالـوا قــد عفــونــا عنــك لمَّــا ... محـوت قبيـح فعلك بــالـدمــوع[5]

(١) في الأصل : الضيعة وهو تحريف .
(٢) هدا : سجا وسكن .
(٣) الغيهب : شدة ظلمة الليل .
(٤) انقض كوكب : ذبل وأفل وهوى .
(٥) وهذا دليل على صدق التوبة والإنابة والرجوع إليه سبحانه وتعالى ، ولقوله ﷺ : ـ ﴿ عينان لا =

حكاية عن التوبة

ذكـر عن بعض الخـائفين أنـه قـال : رأيت رجـلاً واقفـاً على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحاً ، وكان اللوح قـد كتبه بـالحبر ، وكـانت الكتـابـة قـد ثبتت ولا تـزول بـالمـاء ، فجعـل الصبي يحـك اللوح بـالحبـل والتراب ، فقال الرجل الواقف عليه : يا بني مالـك تحك اللوح بـالحبل فقـال ليزول الحبر الذي ثبت فيه ، فقال له الرجل والحبل يا بني يـزيل الحبـر ؟ قال نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تنُّور البئر يؤثر فيه وهو حجرٌ فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق ! فقـال الرجـل ذلك بـطول المدة ، فقـال الصبي لا يا نعم الرجل إلاّ بالحزم والإجتهاد وإياك يا نعم الرجل بعيد الذهن ، قال الرجل كيف ذلك يا بني ؟ قال : لأني قد قلت لك إشارة لـو ألقيتها على قلبـك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه ، فقال الرجل : يا بني كان على قلبي حبراً ؟ قال يا عم وأي لون هو الحبر ؟ قال : هـو أسود . قـال الصبي : يا عم ألم أقـل لك إنـك بعيد الـذهن ، وأي سواد أشـد من سواد الـذنوب على القلوب ! فصـاح الرجل صيحة وخر مغشيـاً على وجهه ثم أخـذني البكاء . فقـال له الصبي أمـا الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك . فقال الرجل : يـا بني وما الدواء ؟ فقال له : البكاء . فقال : يـا بني والبكاء يمحـو الذنـوب من الكتاب والقلب ؟ قال له : نعم والدليل على ذلك قول النبي ﷺ « إن الدمـوعَ تطفىء بحارَ النار يوم القيامة عن الباكي » *

الدموع تمحو الذنوب

فإذا محت الدمـوع : بحار النـار فأحـرى أن تمحو من الكتـاب القبائـح والأوزار ، وإذا زالت من الكتـاب الفضـائـح والأوزار ، رضي عنـك الملك الغفار ، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار ، وخلصت من عذاب البوار . فأبكوا يـا جماعـة المسلمين على مـا أذنبتم في الشهـور والأعـوام ، وفي السـاعـات

= تمسهما النار ، عين باتت تحرس في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ﴾ .

والأيـام ، من الخطايـا والأجرام ، واكتسـاب الربـا والحـرام ، وظلم الضعفـاء والأرامل والأيتام ، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام . وأنشدوا :

وددت أن دمـوعي بحر فـاسفحهـا[1] من مقلتي على مـا فـات من زمني
واهــاً على أسفٍ مني عـلى وهــلٍ يـجنـي التـأسـف إلا غلة الـشحـنِ
والله لــو صـح تحقيق التـأسف مـا ألفيتُ إلاَّ مـع النُّـوامِ في الحـزنِ
يـا ليت لي عيناً في كـلِّ جـارحـة[2] تبكي عليَّ بـدمـعٍ مـانـعِ الـوسنِ

فضل البكاء

فالواجب ـ والله يا أهل الإسـلام ـ على كل مسلم علم من نفسـه ذنباً أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه ، ويتفضـل عليه ويغفـر له مـا قد جناه ، فهو المنان الكريم ، المتفضل العظيم . اللهم يـا أكرم الأكـرمين ، ويا آخـر الغافـرين تفضل علينـا بتوبـة وعلى جميع المـذنبين ، تنقلنـا بهـا من ذل المعصية إلى عزِّ الـطاعة ، وثبتنـا عليها حتى تخـرجنا من الـدنيا بـلا ذنب ولا تبـاعـة[3] على منهـاج أهـل السنـة والجمـاعـة ، الـذين أوجبت لهم الـرحمـة والشفـاعـة . اللهم إن الـطاعـة والمعـاصي بقـدرك ، وفي يـدك القلوب والنـواصي ، فطهـر قلوبنا بمـاء التوبـة ، واغسلها من دنس الحـوبـة ، ومتعنـا بـالسلامـة في ديننا ودنيـانا ، وفي أسمـاعنا وأبصـارنا ، وجميـع جـوارحنـا مـا أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، فإنك على كل شيء قديـر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) أسفحها : أهريقها .
(٢) الجارحة : العضو من الأعضاء .
(٣) التباعة : من التبعية .

٩ ـ مجلس في ذكر الجنة وأوصافها
﴿ وما أعدَّ الله لأوليائه من النعيم فيها ﴾

أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته ، والإشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها ، واشتاق إلى نعيمها ، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها ، وترك طلب العلو فيها .

آيات في الجنة

وقد قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[1] وقال عز من قائل ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ﴾[2] وقال عز من قائل ﴿ جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ﴾[3] وقال ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنَّ ربنا لغفور شكور ﴾[4] الآية إلى لغوب . وقال عزَّ من قائل ﴿ في جنات النعيم على

---

(١) القصص ٨٣ .

(٢) الرعد ٣٥ .

(٣) الحج ٢٣ .

(٤) فاطر ٣٤ .

سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين ﴾[1] الآية . إلى مكنون . وقال عز وجل ﴿ يطافُ عليهم بصحافٍ من ذهب وأكواب ﴾[2] الآية . إلى خالدين *

أحاديث في الجنة

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها » *

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات » *

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل إذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم رجع فقال يا رب لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره[3] فقال الله اذهب فانظر إليها ، فذهب إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها فقال جبريل يا رب لا يسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات فقال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال يا رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها » فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات ،

---

(١) الصافات ٤٥ .

(٢) الزخرف ٧١ .

(٣) وصفت الجنة بالمكاره للإبتلاء ، ومعرفة درجة حب العبد لربه ويقينه به وتسليمه له ، فإن الجنة هي هدية الله سبحانه وتعالى لعباده الصالحين .

ونافسوا في أفعال الخيرات ، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات ، يسكنكم مولاكم الجنات ، ويبوئكم أعلا الغرفات ، ويرفع لكم الدرجات *

شجرة طوبى

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لويسير الراكب في ظلها مائة عام لم يقطعها » بطحاؤها ياقوت وترابها مسك أبيض ، ووحلها عنبر أشهب ، وكثبانها كافور أصفر ، وبسرها زمرد أخضر ، وأفناؤها سندس واستبرق ، وزهرها رياض أصفر ، وورقها برود خضر ، وثمرها حلل صفر ، وسقيها زنجبيل وعسل ، وعبقها زعفران مبهج ، والألنجوج[١] يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والرحيق ، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه ، ومتحدث يجمعهم تحتها *

وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون في ظلِّها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسناً ، وبرها خز أحمر ، وعبقري أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر الناظرون إلى مثله حسناً وبهاء ، ذللا من غير محنة ، نجب من غير رياضة[٢] رحالها من الياقوت الأخضر ؟؟ ملبسة بالعبقري والأرجوان ، ولجمها ذهب وكسوتها سندس واستبرق ، فأناخوا إليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم أجيبوا ربكم جل جلاله فإنه يستزيركم فزوروه

---

(١) لم أعثر على معنى هذه الكلمة وربما تكون نوعاً من الأشجار العطرية حسب ما يقتضيه أسلوب العطف .

(٢) لأن كل ما في الجنة لا يخضع لقانون الأرض أو الدنيا فإن للجنة قوانين أخرى لا نعلمها وهي ليست مقيدة بأسباب الدنيا .

وليسلم عليكم وتسلمـوا عليـه ، وينـظر إليكم وتنـظروا إليـه ، ويكلمكم وتكلموه ، ويحييكم وتحيوه ، ويزيدكم من فضله فإنه ذو رحمة واسعة ، وذو فضلٍ عظيم *

رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفاً واحداً معتدلاً الرجل إلى جنب أخيه عن يمينه لا يفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولا تعدو أذن ناقة أذن صاحبتها ، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم ، فإذا وقفوا بالجبار تبارك وتعالى أسفر[1] لهم عن وجهه الكريم ، وتجلى لهم في عظمته العظيمة ، فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والإجلال فيقول لهم الرب جل جلاله عبادي عليكم السلام مني وعليكم رحمتي ومحبتي مرحباً وأهلاً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب والذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وكانوا مني على كل حال مشفقين[2] فيقولون وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك ولا أدينا إليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك ، فيقول لهم ربهم عز وجل إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم ، وهذا حين أفضيتم إلي روحي ورحمتي ، وجنتي وكرامتي ومبلغ الوعد وعدتكم فاسألوني ما شئتم وتمنوا على أعطكم أمانيكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن أجزيكم بقدر رحمتي وكرامتي ورأفتي وعزي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني فاسألوني ما شئتم ، فما يزالون في الأماني حتى أن المقصر في أمنيته يقول : ربنا تنافس

(١) أسفر عن وجهه : كشف لهم عنه ، وقد أخطأ الأستاذ عثمان خليل حينما استدل على المعنى بحديث رسول الله (أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر) لأنه لا وجه للمقارنة ، فأسفر الأولى من السفور ، وأسفروا الثانية من السفر .

(٢) الإشفاق : هو شدة الخوف والهيبة .

أهل الدنيا في دنياهم ، وفخر بعضهم إلى بعض فاجعل حظي من الجنة كلَّ شيء كان فيه أهل الدنيا من يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها ، فأنا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت في أعيننا تشاغلاً بأمرك وإعظاماً لك وإجلالاً وإعزازاً *

إكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم لقد قصرتم في أمنيتكم ورضيتم بدون حظِّكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم حتى تعرفه أنفسكم ؛ وألحقت بكم ما قصرت عنه أمانيكم فانظروا إلى ما أعددت لكم وإلى ما لا تبلغه أمانيكم ولم يحظر على قلوبكم فيؤتون ذلك ، فيقولون ربنا أنت أحق بالأمن والرحمة ولاو كلَّتنا إلى أنفسنا وأمانينا لضيَّعنا حظُّنا وإذا بقباب في الرفيع الأعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت أبوابها من ذهب ، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس واستبرق يفور من أعراصها وأفواهها ماء . نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدري فإذا هم بقصور شامخة في أعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلو أنها متخذة إذا لامتشعت الأبصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها أبيض فمن الياقوت الأبيض مفروشاً بالحرير الأبيض . وما كان منها أحمر فمن الياقوت الأحمر مفروشاً بالعبقري الأحمر . وما كان منها أخضر فمن الياقوت الأخضر مفروشاً بالسندس الأخضر . وما كان منها أصفر فمن الياقوت الأصفر مفروشًا بالأرجوان الأصفر ، مبوبة بالذهب الأحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر وأركانها من ذهب وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان .

براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الأحمر مصنوعاً فيها الروح بجنبها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى

كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة في كل قبة منها فراش من فرش الجنة ليس في الجنة لون حسن إلا وهو فيها ولا ريحة طيبة إلا عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر إليهما أنهما من دون القبة ، يتبين مخها في عظامها كما يتبين السلك الأبيض في الياقوتة الصافية ، ثم يأمر الله عز وجل رجلاً منهم فيتحول في مركبه مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل ، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة ، وإما ياقوتة وإما درة وإذا في قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهنئوهم ويحيوهم ، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وبجنبها الولدان المخلدون ، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة . فلمّا رفعوا إلى قصورهم نهضت الملائكة في أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشبكوا أيديهم في أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم *

مصافحة الملائكة

تقول الملائكة أما وعزة ربنا وجلاله ما ضحكنا منذ خلقنا إلا معكم ، ولا هزلنا إلا معكم ، فهنيئاً لكم هنيئاً بكرامة ربكم . فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم إلا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له في قصره أمنيته التي تمني ، وإذا على كل قصر منها باب يفضي إلى وادٍ أفيح(١) من أودية الجنة محفوفة تلك الأودية بجبال من الكافور الأبيض وكذلك جبال الجنة وهي معادن الجوهر والياقوت والفضة فارغة أفواهها في بطون تلك الأودية ، في بطن كل واحد منها أربع جنات(٢) ، ﴿ جنتان ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وحور مقصورات في الخيام لم

(١) أفيح : يقال فاحت الريح إذا انتشرت وعبق الجو بأريجها ، والقول أفيح أبلغ من فاحت .
(٢) وهذه قمة الرفاهية والنعيم المقيم .

يـطمثهن أنس قبلهم ولا جان ، كـأنهن الياقـوت والمرجـان ﴾[1] فلما تبؤ وا المنـازل واستقر قـرارهم زارهم ربهم تبـارك وتعـالى في مـلائكتـه فيقـول لهم ﴿ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ﴾[2] قالـوا نعم ، قال كيف وجـدتم ثوابَ ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا . فيقول لهم الجليل جـل جلالـه برضـائي عنكم نـظرتم إلى وجهي وسمعتم كلامي وحللتم داري وصـافحتم مـلائكتي . فهنيئاً هنيئاً عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تكدير فقالوا ﴿ الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة[3] من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾[4] *

عدد الجنات وأسماؤها

روي عن وهب بن منبه عن إبن عباس قال : لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضهـا على بعض فهي سبع جنـات ؛ دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة عـدن ـ وهي قصبة الجنـة وهي مشرفـة على الجنان كلهـا وهي دار الرحمن تبارك وتعالى ، ليس كمثله شيء ولا يشبه شيء ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب ، وجنـة المـأوى ، وجنة الخلد ، وجنـة الفردوس ، وجنـة النعيم . سبع جنـات خلقها الله عـز وجل من النـور كلها مـدائنها وقصـورها ، وبيـوتهـا وشـرفهـا وأبـوابهـا ودرجهـا ، وأعلاهـا وأسافلهـا ، وآنيتها وحليهـا ، وجميع أصنـاف ما فيهـا من الثمـار المتدليـة ، والأنهار المـطرزة بألـوان الأشـربـة ، والخيـام المشـرفـة ، والأشجـار الناضـرة بألـوان الفاكهـة ، والريـاحين العبقـة ، والأزهـار الـزاهـرة والمنازل البهية المعجبة *

---

(١) الرحمن : آيات مبعثرة : ٤٨ ـ ٧٤ .
(٢) الصح ﴿ فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ الأعراف ٤٤ .
(٣) دار المقامة : الجنة .
(٤) فاطر ٣٥ .

الحور العين

فيهـا الأزواج المطهـرة ، والعين الغنجـات ، بـريط النـور[1] معتجـرات بوشح الكـرامة ، متـزينات ، بـالمسك متـزملات ، حـدق أعينهن كاحـلات ، وأطـرافهن خاشعـات ، وفروقهن مكللة بـالدر ، مـركبـة بـاليـاقـوت ، ينـادين بأصوات غنجـة رخيمة لـذيذة يقلن : نحن خـالدات فـلا نموت أبـداً ، ونحن الغانجات فلا نبأس أبداً ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ، ونحن الراضيـات فـلا نسخط أبداً ، ونحن الحـور الحسـان أزواج أقـوام كـرام ، ونحن الأبكـار السوام للعباد المؤمنين ، طوبى لمن كان لنا وكنا لـه . فذلـك قولـه عز وجـل ﴿ إنـا أنشـأنـاهن إنشـاء فجعلنـاهن أبكـاراً عـربـاً ﴾[2] عـاشقـات لأزواجهن ﴿ أتراباً ﴾ مستويات في الأسنان ﴿ حور عين ﴾ حسان جمال ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنـون ﴾ كـأنهن اليـاقـوت والمـرجـان . مشيهـا هـرولـة ، ونغمتهـا شهيـة بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجـوبة فـذلك قـوله عز وجل ﴿ فيهن قاصراتُ الطرفِ ﴾[3] يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فـلا ينـظرن إلى غيـر أزواجهن ﴿ لم يـطمثهن إنس قبلهم ولا جـان ﴾[4] وكلمـا أصـابها زوجهـا وجدهـا عذراء عليهـا سبعون حلة مختلفـة الـوشي والألـوان ، حملها أهون عليها وأخف من شعرها *

صفة الحور

في نحرها مكتوب ، أنت حبي وأنا حبك لست أبغي بك بـدلاً ولا عنك معدلاً . كبدها مرآته وكبده مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمهـا وحليها كمـا تـرى الشراب الأحمـر في الزجـاجة البيضـاء ، وكما يـرى السلك الأبيض في جوف الياقوتة الصافية *

(١) ريط النور : جميع ريطة وهي الملاءة البيضاء .
(٢) الواقعة ٣٧ .
(٣) الرحمن ٥٦ .
(٤) الرحمن ٥٦ .

دار السلام[1]

وخلق دار السلام من الياقوت كلِّها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها . وثمارها من اللؤلؤ والياقوت *

جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة وخلق جنة المأوى من الذهب الأحمر بجميع ما فيها على هذه الصفة *

جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع ما فيها على هذه الصفة . والجنات كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد . ملاطها[2] المسك ، وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ، وحصباؤ ها المرجان ، وترابها المسك . أعدها الله عز وجل لأوليائه ، يقول الله تبارك وتعالى يا أوليائي جوزوا الصراط بعفوي ، وأدخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصبت شجرة الخلد ، ولكن بنيت القصور التي أسست بالنعيم ، وشرفت بالملك والخلود *

درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضي الله عنهما : فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام ، ويزوج خمسمائة حوراء ، وأربعة بكر ، وثمانية آلاف بيت ، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه ، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضي شبعه عمر الدنيا ، وإنه ليوضع الإناء على فيه فلا ينقضي ريه عمر الدنيا ، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقيها على بدنه فيقول العبد : الحمد لله

---

(١) دار السلام : من أسماء الجنة .

(٢) الملاط : المادة اللاصقة تضم الأحجار إلى بعضها بعضاً .

وتبارك ربي وتعالى فما عجبت كإعجابي بهذه الهدية . فيقول الملك : أعجبتك ؟ فيقول نعم ، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول أنا رسول ربك إليك تكوني لولي الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهي *

طعام الجنة

ويبلغ غداؤه سبعين ألف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم ، فلا تطبخ بالنار ، ولا تقليها القدور ولذتها لذة الزبد ، وحلاتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك . يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها(١) . وفي عشائه مثل ذلك *

قال رسول الله ﷺ : « يأكلون ويشربون ويتفكهون يصير طعامهم وشرابهم رشحاً كرشح المسك يخرج من أجسادهم . ويبعث الله تبارك وتعالى إليهم الملائكة بهدية من لدن العرش *

دلال الحور

روي عن الحسن رضي الله عنه أنه قال : بينما ولي الله في الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور ، إذ قال لها : قد إشتقت إلى مشيتك ، قال فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر ، وينشىء الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور ، أحدهما نبت الزعفران ، والآخر نبت الكافور ، فتمشي في نبت الزعفران ، وترجع في نبت الكافور ، وتمشي بسبعين ألف لون من الغنج *

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله

---

(١) وهذا من تمام النعمة والنعيم ، اللهم آتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد .

ﷺ : « يسطع نور في الجنة فيرفعون رءوسهم فإذا هو نور حوراء . ضحكت في وجه زوجها » *

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون[1] ولكنه رشح كرشح المسك ، قد ألهموا التسبيح والتقديس والتكبير والتحميد » *

لباس أهل الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال : بلغني أن ولي الله في الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح، تقول التي تلي جسده أنا أكرم على ولي الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه ، فتقول التي تلي وجهه بل أنا أكرم على ولي الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه *

وروي عن النبي ﷺ : أنه قال : « نبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيلبسون منها ثياباً ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » *

أول من يدخل الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى في السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشياً ، لا يسقمون فيها ولا يموتون ، ولا ينزفون[2] آنيتهم من الذهب

---

(١) وهذا من غيب الآخرة الذي لا يجب أن نناقشه أو نماري فيه إنما نؤمن به عن يقين ، فإن قوانين الآخرة غير قوانين الدنيا ، ولا يستعصي على الله سبحانه وتعالى شيء .

(٢) لا ينزفون : لا يسكرون .

والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الألوة[1] ورشحهم المسك » *

مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله في قوله عز وجل ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن ﴾[2] قيل سأله ابن أخيه في ذلك فقال : يا ابن أخي على الخبير وقعت ، سألت عنها أبا هريرة وعمران بن حصين فقالا على الخبير وقعت ، سألنا عنها رسول الله ﷺ كما سألتنا فقال : « هي قصر في الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون داراً من ياقوتة حمراء ، في كل دارٍ سبعون بيتاً من زمردة خضراء ، في كل بيت سبعون سريراً على كلِّ سرير فراش لون على لون ، على كل سرير أمرأةٌ من الحور العين . في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة ، وعلى كل مائدة سبعون وصيفاً ووصيفة يعطي الله المؤمن في غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام ، ويطوف على تلك الأزواج » *

طيور الجنة

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه لينظر إلى الطير في الجنة فيخر بين يديه مشوياً والطير أمثال الإبل ، فيقول الطير منها يا ولي الله أما أنا فقد رعيت في وادي كذا وكذا ، وأكلت من ثمار كذا وكذا ، وشربت من ماء عين كذا وكذا ، وسني كذا وريحي كذا فكل مني ، فإذا اشتهى حَسَنَ الطير واشتهى صفته فوقع في نفسه وقع الطائر على ما يريد قبل أن يتكلم ، نصفه قديداً ونصفه شواء ، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة في الأكل ، ثم يؤتي بالشراب على برد الكافور ـ وليس بهذا الكافور ـ وطعم الزنجبيل ـ وليس بهذا الزنجبيل ـ وعلى ريح المسك ـ وليس بهذا المسك ـ فإذا شرب هضم ما

---

(١) الآلوة : عود الطيب .

(٢) التوبة ٧٢ .

أكل من الطعام ، ويأكل مقدار أربعين عاماً ، ويعطى قوة مائة شاب في الجماع ، ويجامع مقدار أربعين سنة ، له في كل يوم مائة عذراء ، بذكر لا يمل ولا ينثني ، وفرج لا يحثى ولا يمنى » *

أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضي الله عنه : إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد ، وأن النيل نهر العسل ، ودجلة نهر اللبن في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيجان كذلك ، وهما بأرض الهند ، وهما نهرا الماء في الجنة ، وصفهم الله عز وجل في الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة .

وذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مكتوب على باب الجنة إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها ، إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها » *

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال الله عز وجل ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[1] .

سرر الجنة

قال إبن عباس رضي الله عنه : وذلك أن ولي الله في الجنة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل ﴿ وفرش مرفوعة ﴾[2] قال والسرير من ياقوت أحمر وله جناحان من زمرد أخضر ، وعلى السرير

---

(١) السجدة ١٧ .

(٢) الواقعة ٣٤ .

سبعون فراشاً حشوها النور ، وظواهرها السندس ، وبطائنها من استبرق ، ولو دلى أعلاها فراشاً ما وصل إلى آخرها مقدار أربعين عاماً ❊

أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهي الحجلة وهي من لؤلؤة عليها سبعون ستراً من نور وذلك قوله عز وجل ﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾[1] يعني ظلال الأشجار ، على الأرائك يعني الأسرة في الحجال ، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاماً فإذا رفع رأسه فإذا هو بأخرى متطلعة عليه تناديه : يا ولي الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبتي من أنت ؟ فتقول أنا من اللواتي قال الله فيهن ﴿ ولدينا مزيد ﴾ قال فيطير سريره ، أو قال كرسي من ذهب له جناحان فإذا رآها فهي تضعف على الأولى بمائة ألف جزء من النور فيعانقها مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها ، فإذا رفع رأسه رأى نوراً ساطعاً في داره ، فيعجب فيقول سبحان الله أملك كريم زارنا ، أم ربنا أشرف علينا ؟ فيقول الملك وهو على كرسي من نور بينه وبين الملك سبعون عاماً ، والملك في حجبته في الملائكة : لم يزرك ملك ولم يشرف عليه ربك عز وجل ، فيقول ما هذا النور ؟ ❊

زوجة الدنيا

فيقول الملك لزوجتك الدنيوية وهي معك في الجنة ، وإنها طلعت عليك ورأتك معانقاً لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذي تراه في دارك هو نور ثناياها ، فيرفع رأسه إليها فتقول : يا وليَّ الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبتي من أنت ؟ فتقول له يا ولي الله أما أنا فمن اللواتي قال الله عز وجل فيهن ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾[2] الآية . قال فيطير

---

(١) يس ٥٦ .

(٢) السجدة ١٧ .

سريره إليها فإذا لقيها فهي تضعف عن هذه الأخرى بمائة ألف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل ، فهي إذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة ، لأن أولئك أنبتن نباتاً ، فيعانق[1] هذه مقدار أربعين عاماً لا تمل منه ولا يمل منها ، ثم إنها تقوم بين يديه وخلاخلها من يواقيت ، فإذا وطئت يسمع من خلاخلها صفير كل طير في الجنة ، فإذا مس كفها كان ألين من المخ ويشم من كفها رائحة كل طيب في الجنة وعليها سبعون حلة من نور لو نشر الرداء منها لأضاء ما بين المشرق والمغرب ، خلقت من نور والحلل عليها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت وهو أخف عليها من النقش ، وأنه يرى مخ ساقها من صفائها ، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد ، والحلل مكتوب على ذراعها اليمين بالنور ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده ﴾[2] وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾[3] *

تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلاً ، وكبدها مرآته ، وهي على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المكنون ﴿ عرباً أتراباً ﴾ العرب العاشقات لأزواجهن ، والأتراب بنات خمس وعشرين سنة ، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل برٍّ وفاجرٍ ، فهي قائمة بين يديه فساقها يضعف على قدميها بمائة ألف جزء من النور ، وفخذها يضعف على ساقها بمائة ألف جزء من النور ، وعجزها يضعف على فخذها بمائة ألف جزء من النور ، وبطنها يضعف على عجزها بمائة ألف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنها بمائة ألف جزء من

(١) يعانق : كناية عن الملامسة .
(٢) الزمر ٧٤ .
(٣) فاطر ٣٤ .

النور ، ووجهها يضعف على نحرها بمائة ألف جزء من النور ، ولو تفلت في بحار الدنيا لعذبت كلها ، ولو أطلعت من سقف بينها إلى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر ، عليها تاجٌ من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان على يمينها مائة ألف قرن من قرون شعرها *

ضفائر الجمال

وتلك القرون قرنٌ من نور وقرنٌ من ياقوت وقرنٌ من لؤلؤ وقرنٌ من زبرجد وقرنٌ من مرجان وقرنٌ من در مكلل بالزمرد الأخضر والأحمر ، مفضض بألوان الجوهر ، موشح بألوان الرياحين ليس في الجنة طيب إلا وهو تحت شعرها ، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاماً ، وعلى يسارها مثل ذلك ، وعلى مؤخرها مائة ألف ذؤابة من ذوائب شعرها ، فتلك القرون والذوائب إلى نحرها ثم تتدلى إلى عجزتها ثم تتدلى إلى قدميها حتى تجره بالمسك ، وعن يمينها مائة ألف وصيفة كل قرن بيد وصيفة ، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة ألف وصيفة كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها .

الوصائف

ومن بين يديها مائة ألف وصيفة معهن مجامر من در فيها بخور من غير نار ويذهب ريحه في الجنة مسيرة مائة عام ، حولها ولدان مخلدون شباب لا يموتون كأنهن اللؤلؤ المنثور كثرة ، فهي قائمة بين يدي ولي الله ترى إعجابه وسروره بها وهي مسرورة عاشقة له ، فتقول له يا ولي الله لتزدادن غبطة وسروراً ، فتمشي بين يديه بمائة ألف لون من المشي[1] في كل مشية تجلى في سبعين حلة من النور ، وأن الماشطة معها فإذا مشت تتمايل وتنعطف وتتكاسر وتدور ، وتبتهج بذلك وتبتسم فإذا مالت مالت القرون من الشعر معها

---

(١) من دلائل الترف وإمارات ذهاب الهم والغم والحزن .

ومالت الذوائب معها ومالت الوصفان معها ، فإذا دارت درن معها ، فإذا أقبلت أقبلن معها ، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة إذا أقبلت فهي مقابله وإذا ولت فهي مقبلة الوجه لا تفارق وجهه ولا تغيب عنه ، ويرى كل شيء منها ، إذا جلست بعد مائة ألف لون من المشي خرجت عجزتها من السرير وتدلي قرونها وذوائبها فيضطرب ولي الله لولا أن الله سبحانه قضى أن لا موت فيها لمات طرباً ، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له ما استطاع أن ينظر إليها مخافة أن يذهب بصره فتقول له يا ولي الله تمتع فلا موت فيها . وأنشدوا :

بحسبك يا عمَّار من دار بلغة ... جنان بها الخيرات[1] يزلفن في الحللِ
ويمشين هوناً في الجنان أمامهم ... خيامٌ من الدرِّ المجوف في الكللِ
إذا برزت حوراءُ حفَّ بها البها ... وأشرقت الفردوسُ والقومُ في شغلِ
يعانقنَ أزواجاً لكلٍّ مطهرٍ ... على فرش الديباج والعيشُ قد كملْ
وطاف بها الولدان من كلِّ جانب ... ونودِي ولي الله يجزي ، بما فعلِ

وقال غيره

يا خاطبَ الحوراء في خدرها[2] ... وطالباً ذاك على قدرهَا
انهض بعزم لا تكن دانيا ... وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم ... وحالِف الوحدةَ في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه ... وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها ... وقد بدت رمانتا صدرها
وهي تماشي بين أترابها ... وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي ... تراه في دنياك من زهرها

ضيافة الله

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تبارك وتعالى إذا سكن أهل

(١) الخيرات : هن الحور العين .
(٢) خدرها : الخدر هو الستر بكسر الخاء .

الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا ذلك ، إلى مرج أفيح فمد بينه وبين خلقه حجاباً من لؤلؤ وحجاباً من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسي النور ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي قد أذن له الله عز وجل ؟ فقيل هذا المجبول بيده والمعلم الأسماء ، والذي أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيحت له الجنة آدم ﷺ أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذي أذن الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذي اتخذه الله خليلاً وجعل النار عليه برداً وسلاماً إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوي تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم ، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذي اصطفاه الله عز وجل برسالته وقربه نجياً وكلمة تكليماً موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مراكب[1] النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوي تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم ، فقيل من هذا الذي قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وصاحب لواء الحمد أحمد ﷺ قد أذن له على الله عز وجل قال فيجلس النبيون على منابر النور ، والصديقون على سرر النور ، والشهداء على كراسي النور وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الأبيض الأذفر *

وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزواري

---

(١) كذا ورد بالأصل وهو تحريف عن مواكب .

وجيراني ووفدي ، يا ملائكتي انهضوا إلى عبادي فأطعموهم ، قال فتقرب الملائكة إليهم لحم طير كأنها البخت لا ريش معها ولا عظم ، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا أسقوهم يا ملائكتي ، قال فنهض إليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجد لذة آخرها كلذة أولها ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ﴾(١) ، قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا فكهوهم ، فقربت إليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذي أسماه الله ، أشد بياضاً من اللبن ، وأطيب من عذوبة الشهد ، فطعموا وشربوا وفكهوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزواري وجيراني ووفدي ، أكلوا وشربوا وفكهوا أكسوهم *

كرامة الله لعباده

قال ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرخمن فألبسوا ، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزوّاري ووفدي أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا ، طيبوهم ، قال فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر فنضحت على وجوههم من غير غبار ولا قتار(٢) ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحباً بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا ، وعزتي وجلالي لأتجلين لهم حتى ينظروا إليّ فذلك منتهى العطايا وفضل المزيد ، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادي أنظروا إليَّ فقد رضيت عنكم ، قال فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول سبحانك سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداً ، فناداهم الرب جل وعز

---

(١) الواقعة ١٩ .

(٢) كذا وردت بالأصل والصحيح (قتر) بغير ألف وهو الغبار .

عبادي أرفعوا رؤوسكم فإنها ليست بدار عمل ولا بدار نصب وإنما هي دار جزاء ودار ثواب ، وعزتي وجلالي ما خلقتها إلاَّ لأجلكم وما من ساعة ذكرتموني فيها في دار الدنيا إلا ذكرتكم فوق عرشي *

سوق الجنة

وروي عن سعيد بن المسيب أنه أتى أبا هريرة رضي الله عنه ، فقال له أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة ، فقال له سعيد : أو فيها سوق ؟ قال نعم أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى في روضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أدناهم - وما فيها أدنى - على كثبان المسك والكافور وما يرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلساً *

رؤية الله تعالى

قال أبو هريرة رضي الله عنه : فقلت يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل ؟ قال : « نعم هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ » فقلنا لا قال « فكذلك لا تضامون في رؤية ربكم تبارك وتعالى » ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله عز وجل محاضرة حتى إنه ليقول عز وجل لرجل يا فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره عذلاته في الدنيا فيقول يا رب ألم تغفر لي ؟ قال بلى فبسعة مغفرتي نلت منزلتك هذه ، قال فبينما هم علي ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط فيقول ربنا عز وجل قدموا إليَّ ما أعددت لكم من الكرامة ، قال فنأتي سوقاً من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان ، ولم تنظر إليه العيون ، ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا فيها ما اشتهينا ليس يباع

فيها شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً ، قال فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هو دونه فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضي حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها . قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً بحبيبنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما إنقلبنا *

المتحابون في الله

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المتحابون في الله في الدنيا هم في الجنة على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا أطَّلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا ، قال فيقول أهل الجنة أخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيخرجون فينظرون في وجوههم مثل القمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب في جباههم بالنور هؤلاء المتحابون في الله » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل الجنة إذا زاروا[1] ربهم وأرادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لونا ليس منهم حلة تشبه الأخرى، فإذا انصرفوا عن ربهم مرُّوا في أسواق الجنة ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق والحرير والرفرف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما شاؤ وا ولا ينقص من تلك الأسواق شيئا وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون من الصور مكتوب في نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتي جعل الله حسنه على صورتي، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة. قال ثم ينصرفون إلى منازلهم *

---

(١) في الأصل إذا أرادوا وهي تحريف .

خواتم الجنة

وقال النبي ﷺ : « إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهي خواتم الخلد ، ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا رأوا ربهم في داره دار السلام » *

نوق الجنة

وروي عن بعض العلماء أنه قال : بينا أهل الجنة يتحدثون في ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة(١) بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسنها ، ذلك من غير تهيئة(٢) نجب من غير رباية عليها رحائل(٣) الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع إليهم ، ثم يسلموا عليهم فيقولون : إن ربكم بعث إليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوره وتسلمون عليه ، قال فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفا في الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لا يجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولا ركبة ناقة منها ركبة صاحبتها ، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها ، فإذا وقفوا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والإكرام ، فيقول لهم الجليل جل جلاله وعليكم سلام مني وعليكم رحمتي وكرامتي ، مرحباً وأهلاً بعبادي الذين أطاعوني بالغيب وحفظوا وصيتي ، فيقولون : لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك ، إئذن لنا أن نسجد لك ، فيقول إني قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتم إليَّ كرامتي *

---

(١) مقودة بالزمام .

(٢) في الأصل (من غير مهينة) وهو تحريف .

(٣) الرحائل : جمع رحل وهو كالسرج للفرس .

أماني أهل الجنة

وبلغ الوعد الذي وعدت لكم فتمنـوا فإن لكـل إنسان منكم مـا تمنى ، فيتمنون فيعطي كل واحد منهم ما يمني ، ثم يزيـدهم تبارك وتعـالى من فضله وكرمه ما لم تبلغ إليه[١] أمانيهم ، وأنشدوا :

يـا راغــبَ الـحـور الـجـمـم[٢] والـدل[٣] والشكـل وحسن الشيـم
النـاعمـات الـدائمـات الـرضى في جنـة الـفـردوس مـأوى النـعم
أرفض بـدار زهـرهـا زائـل واغـتـنم الـصـحـة قـبـل الـسـقـم
وابـدر إلـى الـرؤ يـة مستبـصـراً واعتنق التـشهـيـد[٤] عنـد الـظلم
واسـتـغـفـر الله لـمـا قـد مـضـى واستشعـر الخـوف وطـول النـدم
تـفـز بـمـا تـطلب مـن لـذة وتـأمـن البـلوى وعقـبى الـنقـم[٥]

(١) وردت في الأصل (إليهم) وكلتاهما صح .
(٢) لفظة لم أقف على مراده منها .
(٣) الدلال : وهو التثني في السير والقول .
(٤) محرفة عن التشهيد وهو عدم النوم والسهر للعبادة في جوف الليل .
(٥) أي عاقبة للنقم .

١٠ - مجلس في قوله تبارك وتعالى ﴿كلُّ نفس ذائقةُ الموت﴾(١)

قيل لما نـزلت هذه الآيـة قالت المـلائكة : متنـا وعزة الله ، فعنـد ذلك أيقن كل ذي عقل وروح أنه هالك . وأنشدوا :

أيضحـك من للمـوت فيـه نصيبُ ... ويـنـعـم عـيشـاً إن ذا لـعـجيـبُ
ويـأكـل والأيـام تـأكـل عـمـرَهُ ... ولـيس لـه جسـمٌ لـذاك يـذوبُ
ومن عـرف الـرحمنَ لم يهن قلبـه ... نـعيـمٌ ولم يـنفـك عـنـه نـحيـبُ
بعـدت عن الـورد الـرضي بـزلـة ... وبي قـطعت دون الـوصـول ذنـوبُ

قـال الله تعـالى : ﴿كـل نفس ذائقـة المـوت﴾ يمـوت كـل صغيـر وكبيـر ، يموت كـل أمير ووزيـر ، يموت كـل عزيـز وحقير ، يمـوت كل غني وفقيـر ، يموت كـل نبي وولي ، يمـوت كـل نجي وتقي ، يمـوت كـل زاهـد وعـابد ، يمـوت كل مقـر وجاحـد ، يموت كـل صحيح وسقيم ، يمـوت كـل مريض وسليم ، كل نفس تموت غير ذي العزة والجبروت . وأنشدوا :

ألا كـل مـولـود فللمـوت يـولـد ... ولـست أرى حيـاً عـليهـا يـخـلَّدُ

---

(١) آل عمران ١٨٥ .

تجـرد من الـدنيـا فـإنـك إنمَـا ... خـرجت من الـدنيـا وأنت مجـردُ
وأنـت وإن خـوَّلـت مـالاً وكـثـرة ... فإنـك في الـدنيـا على ذاك أوحـدُ
وأفضـل شيء نـلت منهـا فـإنـه ... متـاعُ قليـلُ يـضمحـلٌ وينفـدُ
فكم من عـزيـز أعقب الـذلٌ عـزهُ ... فـأصبح مـدمـومـاً وقـد كـان يحمـدُ
فـلا تحمـد الـدنيـا ولكن فـذمهـا ... ومـا بـال شـيء ذمـه الله يحـمـدُ

ذكر الموت

روي عن النبي ﷺ أنـه قـال : « أكثـروا ذكـر هـازم اللذات[١] ومفـرق الجماعات ، وتـوسدوه إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم ، واعمـروا به مجالسكم فإنه معقود بنواصيكم » يعني بما وكـل به منكم ، ويفسـد نعيمكم ، ويخـرب مصانعكم[٢] ويفنيكم كمـا أفنى من كـان قبلكم فـلا تنسـوه فـإنـه لا ينساكم ، ولا تغفلوا عنه فإنه ليس بغافل عنكم . وأنشدوا :

يـا جـار أحبـابـه شهـورا ... وجـار أمـواتـه دهـورا
ليس سـروراً يعـود حـزنـاً ... إذا تـأمـلتـه سـرورا

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال : ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تراب الأرض التي يموت فيها . وأنشدوا :

أمـر عـلى المقـابـر كـل حيـن ... ولا أدري بـأي الأرض قـبـري
وأفـرح بـالـغنـى إن زاد مـالـي ... ولا أبـكي عـلى نقـصـان عـمـري

مـا أحسن حال من ذكـر الموت فعمـل لخلاصـه قبل الفـوت ، وأشغـل نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب في دار لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها[٣] . وأنشدوا :

---

(١) هازم اللذات : الموت .
(٢) مصانعكم : جمع مصنع وهو الحصون والقلاع .
(٣) الجنة هي التي لا يزول نعيمها ولا يهان كريمها .

الموت لا شك آت فاستعد له ... إن اللبيب بذكر الموت مشغولُ
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... من التراب على عينيه مجعولُ

روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أي المؤمنين أكيس ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكراً ، وأحسنهم له استعداداً » *

حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله ألا تجلس معنا نتحدث ؟ فقال : إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي . وأنشدوا :

ما أغفل الناسَ عن وعيد ... قربه الليل والنهار
والعار ما جرَّت المعاصي ... وليس في النائبات[1] عار
ويحك ما تصنع المنايا ... تأتي فتخلى لها الديار
فلا قلوب لها عيون ... ولا عيون لها اعتبار

عباد الله اسعوا في فكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ؛ إلا أن يحوم عقاب[2] المنية عليه ، ويفوق سهامها إليه ، فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيع لا يشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع . فكأني بك يا أخي وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك الولدان ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادي قد مات فلان بن فلان . ثم نقلت عن الأحباب ، وحملت إلى أرماس التراب ، وأضجعوك في محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة .

(١) النائبات : جمع نائبة وهي المصيبة .
(٢) العقاب : ـ طائر جارح يقطن قمم الجبال ، وهذا الطائر حاد البصر يأكل الحيات إلا رؤوسها طويل العمر بعيد السفر . ويكثر في الأراضي العراقية واليمنية ، لكثرة الجبال فيها .

عرفته مهول الصريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد . وأنشدوا :

المرء يخدعه مناه ... والدهر يسرع في بلاه
يا ذا الشبيه لا تكن ... ممن تعبده هواه
واعلم بأن المرء مر ... تهن بما كسبت يداه
والناس في غفلاتهم ... والموت دائرة رحاه
الحمد لله الذي ... يبقى ويهلك ما سواه

سكرات الموت

روي عن النبي ﷺ أنه لما احتضر جعل يقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات »[1] وروي عنه ﷺ أنه كان يقول ـ وعنده قدح ماء ـ عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة « اللهم هوِّن عليَّ سكراتِ الموت » *

وروي عنه ﷺ أنه قال : « لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا أجمعين » لأن في كل شعرة ألم الموت ، ولا يقع الموت ولا يحل في شيء إلَّا مات *

وروي أنه قال : « لو أنَّ قطرةً وضعت على جبالِ الدنيا كلها لزالت » وأنشدوا :

تيقظ للذي لا بُدَّ منهُ ... فإن الموت ميقاتُ العبادِ
يسرك أن تكون رفيقَ قومٍ ... لهم زادٌ بغير زادِ ؟!

آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب حدثنا عن الموت ، فقال يا أميرَ المؤمنين هو غصن كثير الشوك ، ادخل في جوف رجل

(١) وهذه هي شكاية النبي ﷺ من سكرات الموت ، وهو أكرم خلق الله إلى الله سبحانه وتعالى وأعبد الخلق لربه الذي حمل الرسالة وبلغ الأمانة ، فانتبهوا أيها الناس من غفلتكم .
راجع كتاب (سكرات الموت) تأليف السيد الجميلي .

حتى إذا أخذت كلَّ شوكة بعرق ، ثم جذبه رجلٌ شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى . وأنشدوا :

ألا أيها المغرور والموت نحوه خلقت له تحدو[1] إليه الركائبُ
أغرك حلم الله أم لست موقناً بأنك مبعوث غداً ومحاسَبُ
بأيسر من مثقال حبة خردل وإنك مجزيٌّ بما أنت كاسِبُ

روي عن الحسن رحمه الله أنه قال : لما مات خليلُ الرحمن اجتمعت إليه أرواحُ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا . إن الله تعالى اتخذك خليلاً من بين سائر الأنبياء والرسل ، فإن كان الموت خفف عن واحد فأنت هو ، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت ؟

طعم الموت

فقال : أواه ، وجدته والله شديداً ، والذي لا إله غيره هو أشد من الطبخ في القدور ، والقطع بالمناشير ، أقبل ملك الموت نحوي بكلوب من حديد فأدخله في كلِّ عضو مني ثم إستل الروح من كل عضو حتى جعله في القلب ، ثم طعن في القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت فلو أني طبخت في القدور سبعين مرة لكان أهون عليَّ . فقالوا يا إبراهيم لقد هوَّن الله عليك الموت فإذا كان هذا حال الأنبياء فما يصنع بالمخطئين !! كفى بالموت طامة . وإذا بجبريل ﷺ عندهم يسمعهم فقال لهم : يا أرواح الطيبين ما بعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت . وأنشدوا :

وما الناس إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوٍّ في ثيابِ صديق

داود والذرة

ذكر في بعض الأخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان في محرابه فإذا بدودة كالذرة ، فقال داود في نفسه ما يعبأ الله بهذه الدودة فأنطقها سبحانه

---

(١) تحدو : ومن اللفظ يشتق الحداء ، والحادي هو الذي يحدو للإبل في السفر .

وقالت : والله يا داود إني أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون علي الموت . وأنشدوا :

يحب الفتى طولَ البقاءِ وإنه ... على ثقةٍ أن البقاء فناءُ
زيادته في الجسم نقصُ حياته ... وليس على نقص الحياة نماءُ
إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعضه ... ويطويه من بعد الصباح مساءُ
جديدان لا يبقى الجميع عليهما ... ولا لهما بعد الجميع بقاءُ

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لإبراهيم ﷺ لما مات يا خليلي مت ؟ قال يا إلهي مت ! قالها وردها عليه ثلاثاً قال يا خليلي كيف وجدت طعمَ الموت ؟ قال كسفودٍ[1] محميٍّ جعل في صوف رطب ثم جذب . قال أما أنت فقد هوَّنا عليك الموت . وأنشدوا .

أرى المرء يبكي للذي مات قبله ... وموت الذي يبكي عليه قريبُ
وما الموت إلَّا في كتابٍ مؤجَّلٍ ... إلى ساعة يُدْعَى لها فيجيبُ

موسى وموعظته

وروي أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلاة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير . وفي رواية أخرى قال : وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وأنشدوا :

الموت لا والداً يبقي ولا ولداً ... هو السبيل إلى أن لا ترى أحداً
مات النبيُّ فلم يخلد لأمته ... لو خَلَّدَ اللهُ حيَّاً قبله خلدَا
للموت فينا سهامٌ غيرُ مخطئةٍ ... من فاته اليومَ سهمٌ لم يفته غدا
ما ضر من عرف الدنيا وغدرتها ... ألا ينافسَ فيها أهلها أبدا

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لو علمت الطير والبهائم من الموت ما

---

(١) السفود : مثل تنور الحديدة التي يشوى عليها اللحم وهي (سيخ الحديد) أنظر براعة الدلالة في التهويل .

تعلمون ما أكلتم منها سميناً » *

نوح وخوفه

وروي عن وهب بن منبه أنه قال : قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لا يقرب النساء وجلا من الموت ، وهو المطلع *

وروي أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين : أدعوا الله أن يخفف عني سكرات الموت . وأنشدوا :

قد سقاك الهوى شرابَ الأماني فاستطبت المقام تحت التداني
وتصاممت عن نداء الأماني لاهياً عن وقائع الحدثان
وإذا عارضتك خطرة ذكر[1] بادأتك الطباع بالنسيان

سكرات الموت

وفي بعض الأخبار ، للموت ثلاثة آلاف سكرة ، كل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف وفي بعض الأخبار أن الدنيا كلَّها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمد يده إلى ما شاء منها فيتناوله ويأكله . بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعواناً الله أعلم بعدتهم[2] ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل ، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فزعاً منه حتى يرعدوا ، وإن غصة من غصص الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وفي كل ما خلق الله عز وجل البركة إلا في الأجل فإنه مؤقت لوفاء العدة وإنقضاء المدة . وأنشدوا :

للمنايا[3] رحى عليك تدور كلُّنا جاهلٌ بها مغرورُ

---

(١) في الأصل (عاضتك خطوة ذكر) وهو تصحيف .
(٢) عدتهم : عددهم .
(٣) المنايا : الموت ، جمع منية .

رحم الله من بكى للخطايا   كلُّ باك فذنبه مغفورُ

يا ابن آدم ما أغفلك وعن الصواب ما أبعدك ، كإنك بالموت قد فاجأك وملك الموت قد وافاك ، فيئس منك الطبيب ، وفارقك الحبيب ، وتفجع لفقدك كل قريب . فوقعت في الحسرة ، وجفتك العبرة ، وبطل منك اللسان ، بعد الفصاحة والبيان ، وأدرجت في الأكفان وأزعجت عن الأوطان ، وصار القبر مأواك ، وإلى يوم القيامة مثواك . وفارقك الأهل والإخوان ، ووقع بهم عنك السلو والنسيان ، فإن كان لك منزل سكنوه ، أو كنت ذا مال اقتسموه . وأنشدوا :

يا عجباً للأرض ما تشبعُ   وكلُّ حي فوقها يفجعُ
ابتلعت عاداً فأفنتهم   وبعد عاد أهلكت تُبَّعُ
وقوم نوح أدخلت بطنها   فظهرها من جمعهم بلقُع[1]
يا أيها الراضي بما قد مضى   هل لك فيما قد مضى مطمعُ

أذكر الموت

يا هذا أذكر ما وصفته ، واحفظ ما حكيته ، وعليك بالصوم والإجتهاد ، والطاعة لرب العباد ومراقبته في الليل والنهار ، والتضرع إليه في ظلمات الأسحار[2] . يا هذا عمرك أنفاس معدودة ، وعليك رقيب يحصيها ، . لا تنس الموت فإنه لا ينساك . المبادرة المبادرة إنما هي أنفاس لو حبست عنك لا نقطع عنك عملك آخر الأبد ، وخروج نفسك آخر الأمد وفراق أهلك آخر العدد . وأنشدوا :

إذا ما الموت جر على أناسٍ   كلا كلَه[3] أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا   سيلقى الشامتون كما لقينا

---

(١) البلقع : الخراب .
(٢) السَّحَر : الوقت الأخير من الليل ، قبيل الصبح .
(٣) الكلال : جمع كلكل وهو الصدر .

فاذكر حالك أيها الغافل ، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل ، قد زال عزك عنك ، وسُلِبَ مالُـك منك ، وأخـرجت من بين أحبابـك وجهزت لتـرابـك ، وأسلمت إلى الـدود ، وصـرت رهنـاً بين اللحـود ، وبكى عليــك الباكون قليـلاً ، ثم نسوك دهـراً طويـلاً ، فتغيرت منـك المحاسن والمحلى ، وتحكم في أعضـائك البلى ، وقـطعت في الأكفان ، وسعى إليـك الديـدان ، فبلى منـك اللسان ، وسـالت الحدق كـأنك لم تكن قط ممن رأى ولا نـطق . وأنشدوا :

فـلو أنـا إذا متنـا تـركـنـا　　لكـان الموتُ راحـةَ كـلِّ حي
ولـكـنـا إذا مـتـنـا بُـعـثـنَـا　　ونُسـأل بعدهـا عن كـل شيء

إبن آدم كأنك بالموت قد حل بساحتك ، وحـال بينك وبين مـا تريـد ، وأنت في النـزع والكرب الشـديد ، لا والـد يدفـع عنك ولا وليـد ، ولا عـدة تنجيك ولا عديد ، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيـد . أليس ذلك نـازل بك على كـل حال ، أي وعـزة الكبير المتعـال ، فـإنـك الآن حين ينفعـك البكـاء والإستكانة ، قبل حلول الحسرة والندامة . وأنشدوا :

يـا مـن يـمـوت ويـسـألُ　　عـمـا يـقـول ويـفـعـلُ
إن الـمـوكـل بـالـنـفـو　　س إذا أتـى لا يـمـهـلُ
والـنـار سـنـزل مـن عـصـى　　والـنـار بئس الـمـنـزلُ

موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل ، بينا أنت في فسحة ومهل ، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل ، قبل أن يقال فـلان عليل ، أو مـدنف ثقيل ، فهل إلى دوائه سبيل ، أو على طبيب من دليل ، فتدعى لك الأطباء ، ويجمع لك الدواء فلا يزيـدك ذلك إلا بـلاء . وقد اجتمـع عندك الإخـوان والأحباء ، والأهل والأقرباء ، وكثر حولك البكـاء ، ثم يقال حشـرج[1] ونفسه تـوشك أن

(١) حشرجت الروح : وصلت الحلقوم وتهيأت للخروج من الجسم .

تخرج ، وأنت تعاين الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم ، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم ، وحل بك القضاء ، وخرجت الروح من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فيا لها من سعادة أو شقاء . وأنشدوا :

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى   وتفريق أعضاء ولحم مبددِ
لكنت حقيقاً يا ابن آدم بالبكا   على نائبات الدهر مع كل مسعدِ

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين ، قبل عرق الجبين ، وانتشار العرقين ، وقبل مد الشمال وقبض اليمين ، وتضعيف قوتك بالأنين ، ويكثر حواليك البكا والحنين ، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين ، ثم أنت في قبرك لعملك رهين ، إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين . قد تغير جسمك في الجنادل والتراب ، بعد تنعمك بدقائق الشباب . وأنشدوا :

من لم يطأ منا التراب برجله   وطىء التراب بنضرة الخدِّ
لو كشفت للناس أغطية البلى   لم يعرفوا المولى من العبدِ
من كان بينك في التراب وبينه   شبران كان بموضع البعدِ

أسماء العباد

ذكر في بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها إسم عبد من عبيده ، فإذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها إسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت . وأنشدوا :

إني لعبت وحادي الموت في طلبي   وإن في الموت شغل لي عن اللعبِ
لو شمرت مهجتي فيما خلقت لَه   ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلبِي
سبحان ربي فلا شيءٌ يعادله[1]   إنَّ الحريصَ على الدنيا لفي تعبِ

(١) ورد في الأصل : ـ (سبحان من لا شيء يعدله) وصححه عثمان خليل فاستقام الوزن .

لا تغتـرر بـديـار لا مقـامَ بهـا   واقصد لدارك إن الموت في الطلبِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من يوم إلا وملكان يناديان ، يا أهل الدنيا ولدتم للموت ، وتبنون للخراب ، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم . وأنشدوا :

عجبت لجازع باك مصاب   بأهل أو حميم ذي اكتئابِ
شقيق الجيب داعي الويل جهلاً   كأن الموت كالشيء العجابِ
وسوَّي اللهُ فيه الخلقَ حتى   نبي الله فيه لم يحابِي
له ملك ينادي كلَّ يومٍ   لدوا للموت وابنو للخرابِ
لمن نبني ونحن إلى ترابٍ   نعود كما خلقنا من ترابِ
ألا يا موت لم أر منك بُداً   أتيت فلا تحيف ولا تحابِي[1]
كأنك قد هجمت على مشيبي   كما هجم المشيبُ على الشَبابِ

قيل مر رجل على خراب فسمع إنساناً ينشد هذه الأبيات .

قل للذين بنوا دياراً عاليه   وتنافسوا والموت منهم دانيه
شيدتموها راغبين وأنتم   تردوا القبور وتتركوها خالية
أين الملوك وأين ما قد جمعوا   وجيوشهم وعبيدهم وزبانيه
تحت التراب تقطعت أوصالهم   وأكفهم بعد الأعنة باليه

ثم قرأ ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ .

نوح وزهده

ذكر في بعض الأخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام ، قال فوجده قد عمل خصاً على البحر ، فقال أيش هذا يا نوح ؟ فقال : يا جبريل هذا لمن يموت كثير ، فقال له جبريل عليه السلام : لتأتين أمةٌ أعمارهم من الستين إلى السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر ، فقال

(١) الحيف : الظلم ، ولا تحابي من الحباء وهو العطاء .

نـوح عليه السـلام . ما كـان على هؤلاء إنهم يستفون الـرماد حتى يمـوتـوا . وأنشدوا :

لـو كنت تعقل يـا مغـرورُ مـا بـرقت عينـاك للنـاس[1] من خـوف ومن حـذر
مـا بال قـوم سهامُ المـوتِ تخطفهم يفـاخـرون بـرفـع الـطين والمـدر

عيسى والجمجمة

روي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقذفها برجله وقال تكلمي بإذن الله تعـالى : قالت يـا روح الله أنا مـالك زمـام كذا وكـذا ، بينا أنـا جالس في ملكي وعلى رأسي تـاجي وحـولي جنـودي وحشمي ، إذ بـدالي ملك المـوت فأزال مني كل عضو على حيالـه ، ثم خرجت نفسي فيـا ليت ما كـان من ذلك الجمع كان فرقه ، وما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فما ظنـك يا عـاصي بصفحـة ملك الموت إذا بـدت وعاينتهـا عند كشف الغـطاء فتنظر إليهـا بطرف كليل وقلب وجل ، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمـة ملك المـوت بإحـدى البشارتين ؛ إبشـر يـا عـدو الله بـالنـار ، أو إبشـر يـا وليَّ الله بالجنة . وأنشدوا :

يـخيـل لـي بكـاء الـقـوم حـولي وقـولـهـم ألا أزف الـرحـيـلُ
ومـا يـغني الـبكـاء إذا تـقـضى لـدى عمـري وإن كثـر العـويـلُ
فـخـذ لـلمـوت أهـبتـه فـأمـا نـجـاة بـعـد أو هـول طـويـلُ

عمرو بن العاص عند موته

روي عن عبـد الله بن عمرو بن العـاص رضي الله عنهما أنـه قال لإبنـه عند الموت :

---

(١) (للناس) زيادة على الأصل .

ليتني ألقي رجلاً عاقلاً عند نزول الموت يخبرني بما يجد ، فقال له إبنه : قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجد ؟ فقال لي يا بني كأن جنبي في تحت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي إلى هامتي وكأني أتنفس من سم إبرة . ثم مد يده وقال : اللهم لا قوي فأنتصر ، ولا بريء فأعتذر ، اللهم إني مقر مذنب مستغفر . ثم مات رضي الله عنه . وأنشدوا :

للموت فاعمل بجد أيها الرجلُ ... واعلم بأنك من دنياك مرتحلُ
إلى متى أنت في لهوٍ وفي لعبٍ ... تمسي وتصبح في اللذات مشتغلُ
كأنني بك يا ذا الشيب في كرب ... بين الأحبة قد أوْدَى بك الأجلُ
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا ... وودَّعوك وقالوا قد مضى الرجلُ
لما رأوك صريعاً بينهم جزعوا ... وودَّعوك وقالوا قد مضى الرجلُ
فاعمل لنفسك يا مسكينُ في مهل ... ما دام ينفعك التذكارُ والعملُ
إن التقيَّ جنانُ الخلدِ مسكنه ... ينال حوراً[1] عليها التاجُ والحُللُ
والمجرمين بنارٍ لا خمودَ لها ... في كلِّ وقتٍ من الأوقاتِ تشتعلُ

سليمان وملك الموت

روي أن ملك الموت كان صديقاً لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً ، فدخل عليه يوماً وعنده رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر إلى الرجل الذي مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يا نبيَّ الله من هذا الداخل عليك آنفاً ؟ فقال ملك الموت ، فقال له لقد رأيته يحد النظر إلي ، ولكن لي إليك حاجة ، قال وما هي ؟ قال تأمر الريح أن تحملني إلى الهند . فأمر سليمان الريح فحملته إلى الهند ، ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندي مذ أيام رجلاً فنظرت إليه نظراً منكراً ؟ فقال ملك الموت كنت أعجب منه ، أمرت بقبض روحه في ذلك

---

(١) حور : أي حور عين .

اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام . فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند[1] .
وأنشدوا :

الموت بحرٌ يهاب المرء مورده ... وكل يوم له من كأسه جرعُ
لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ... ولا يقدم يوماً موته الوجعُ
وكلَّ يوم علينا في فجائعه ... طيرٌ يحوم فلا ندري بمن يقعُ

سعيد بن المسيب والجني

روي أن سعيد بن المسيب[2] دخل يوماً مسجد رسول الله ﷺ فجعل يلتفت في أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي ﷺ ثم بكى وجعل يقول :

ألا ذهب الحماةُ وأسلموني ... فوا أسفاً على فقد الحماةِ
تولُّوا للقبور فأسقموني ... فوا أسفا على فقدِ الثقاةِ

فأجابه هاتفٌ من ركن المسجد بصوت محزون ، من كبد مشجون ، وهو يقول :

فدعِ عنك الثقاةَ فقد تولُوا ... ونفسك فابكها حين المماتِ
فكلُّ جماعةٍ لا بُدَّ يوماً ... يفرق بينهم وقع الشتاتِ

فقال سعيد : من أنت فقد زدتني حزناً ؟ فقال : أنا من مؤمني الجن ، كنا في هذا المسجد سبعين رجلاً فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ، ولم يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك ، وإنا بهم لاحقون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وأنشدوا :

---

(١) وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما معناه إذا أراد الله قبض نفس عبد له بأرض جعل له بها حاجة .
(٢) كان سعيد بن المسيب من أهل الصفة الذين حرصوا على مجلس رسول الله ﷺ وكان كثير العبادة شديد التأثر خاشعاً لله تفيض عيناه من الدمع لذكر الله .

جرت الرياحُ على جميع ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعادِ
فأرى النعيمَ وكلَّ ما يلهى به ... يوماً يصيرُ إلى بلى ونفادِ

صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلي فقرأ هذه الآية ﴿ كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت ﴾ وجعل يتدبرها ويرددها ، فسمع قائلاً يقول : يا هذا كم تردد هذه الآية ؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياءً من الله تعالى ، ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية . وأنشدوا :

ليس ينجو المقصوص من ملك المو ... ت إذا جاءه ولا الطيارُ(١)
للمنايا وإنما للمنايا ... خلق الطفل والشيوخ الكبارُ
كم رأينا من سادةٍ وملوكٍ ... ما على الأرضِ منهم ديَّارُ

العبد وربه

حكي عن بعض العارفين أنه قال : إن الله سبحانه يسر إلى عبده سرَّين يخبره ذلك بإلهام يلهمه ، أحدهما إذا ولد وخرج من ظلمة بطن أمه ، يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نقياً نظيفاً ، وسر عند خروج روحه ، يقول له عبدي ما صنعت في أمانتي عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقاني على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ، أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب ؟ وأنشدوا :

يا من تقدَّم جدُّهُ وأبوه ... وصديقه سكن الثرى وأخوهُ
وغداً إلى دارِ البلى أترابُه ... ومضى إلى حفرِ القبورِ بَنُوهُ
ورأى مصارع إخوةٍ وقرابةٍ ... بين الثرى في برزخٍ سكنوهُ

---

(١) أي أن الموت حق لا ريب فيه ولا مراء ولا جدال عليه فلن يفلت منه مخلوق إنساً كان أو جناً أو طيراً .

ألَّا أتيتَ قبورَهُم فسألتها عنهم وعن ما في القبور لقوهُ
فلتخبرنك أن أحكام البلى تجري عليهم هموا وطنوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الذي عملوه مكتوباً كما عملوهْ
ما زادت الحفظاء في أعمالهم مثقال خردلة ولا نقصوهْ
يا معشرَ الإخوان إنَّ سبيلَكم كسبيلهم في كلِّ ما سلكوهْ
ولكم نصيبٌ في البلى كنصيبهم وكأنَّه قد حلَّ فانتظروهْ
ومحجب قد غرهم بحجابه لما أتاهُ الموتُ ما حجبوهْ
لكنَّهم سجُّوه فوق سريرِهِ وتكفَّلوه بأربع حملُوهْ
ساروا به حتى إلى دار البلى بيتٌ له تحت الثرى قبرهْ
حتى إذا ما غيَّبته أكُفُّهم بين الجنادل في الثرى تركوهْ
وتفرَّقوا عن بابه وتبدَّلوا باباً سواه وغيَّروا ونسوَهْ

عمر بن الخطاب وعظته

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنكم لا تذكرونه في قليل إلا كفى وأجزى ، ولا في كثير إلَّا قلله *

فالله الله عباد الله اجتهدوا واستعدوا للموت ، وبادروا آجالكم قبل الفوت ، تفوزوا بالجنان في دار الرحمن . وأنشدوا :

لملك الموت في الدنيا ديونُ تحل فليس يمطلها المطولُ
وكلُّ العالمين بها مليٌّ[1] فليس له على أحد جميلُ
سواءً إذ يحلُّ على غريمٍ[2] عليه ذوو التعزز والذليلُ

فالله الله معاشر المسرفين لا تفتروا بالعز والمال ، فإن الموت لا يهاب

(١) مليٌّ : جدير وخليق .
(٢) الغريم : الذي عليه الدين ، وقد يكون الغريم الذي له الدين فاللفظة من الأضداد ، الغرام : الشر الدائم والعذاب .

الكبير الجليل ، ولا يرحم الحقير الذليل ، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الأعمال ، من قبل أن يأتي يوم لا حيلةٌ فيه لمحتال . يا إخواني إلى كم هذه الغفلة ؟ إلى كم هذا التمادي في البطالة والإغترار بالمهلة ؟ وأنشدوا :

يا أيها الناس كان لي أمل ... قصَّر عن بلوغه الأجلُ
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا ... كلٌّ إلى مثله ينتقلُ
فليتق الله ربَّهُ رجلٌ ... أمكنه في حياته العملُ

حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي ﷺ كان في بيت بعض نسائه إذ سمع صوتاً في مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك ، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتى قام على رؤوسهم فقال : « أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا ، أفلا تذكرون مُكدِّرَ اللذات في أثناء حديثكم ؟ » قالوا وما مُكدِّر اللذات يا نبي الله ؟ قال : « ذكر الموت » فبكى أصحاب رسول الله ﷺ بأجمعهم *

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مصابيح الإسلام ، وقادة الأنام ، السادة الكرام ، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام[1] وقد أفنوا أعمارهم في طاعة ذي الجلال والإكرام ، وقطَّعوا أيامهم في العمل بالسنة والأحكام ، فكيف بمن تمادى في المعاصي والإجرام والطغيان والآثام ، وأكلوا الربا والحرام ، وأموال الضعفاء والأيتام ؟ وأنشدوا :

الموت في كل حين ينشر الكفنَا ... ونحن في غفلة عما يراد بنَا
لا تطمئنَّ إلى الدنيا وزهرتها ... وإن توشحت[2] من أثوابها المحنَا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين همو كانوا لنا سكنَا

---

(١) الحمام : الموت .
(٢) توشحت : أي لبست وارتديت .

سقاهم الدهر كأساً غير صافية　　فصيرتهم لأطباق الثرى رهنَا

فالله الله معاشر المذنبين لا تشغلوا عمن يطلبكم ، ولا تنسوا من لا ينساكم ، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتي ساعة السكرات ، والندم على ما فات ، فهيهات هيهات ثم هيهات هيهات . وأنشدوا :

إسمع فقد أسمعك الصوتُ　　إن (لم) تبادر فهو الفوتُ
بل كان ما شئت وعش سالماً　　آخر هذا كله الموتُ

يا أخي إذا جاءك الموت لا ينفعك ما جمعته ، ولا ينجيك ما إكتسبته ، فامهد لنفسك قبل مفارقة الأحباب ، والجيران والأصحاب ، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب وبيوت الوحشة والعذاب ، إلا أن يعفو الملك الوهاب ، فتفكروا يا أولي الألباب ، يا معشر الشيب والشباب . وأنشدوا :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً　　وأعقبه يومٌ عليك شهيدُ
فإن تكُ بالأمس اجترحت إساءة　　فبادر بإحسان وأنت حميدُ
ولا تبقِ فعل الصالحاتِ إلى غدٍ　　لعلَّ غداً يأتي وأنت فقيدُ
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت　　حميمك فاعلم أنها ستعودُ(١)

ذكر الموت والعمل

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أكثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك في عمله » فيا إخواني أكثروا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم ، ويرحمكم عند نزوله بكم . واجعلوا الموت عند منامكم (مهاداً) وعند قيامكم سهاداً . واستعدوا بكثير الحسنات ، واجتناب الأوزار والسيئات . فرحم الله أمرأ رحم نفسه ، ونظر إليها وذكر رمسه . وأنشدوا :

---

(١) أي لن تفلت من الموت ، فإن أمهلك فإنه لا بد عائد لك .

نغص الموت ويحكم كل طيب ودهـاني بفقـد كـل حبيبِ
كم وكم قـد رأيت من حـدث السن عـزيـز كغصن بـان رطيبِ
حسَّ بالموت فـانثنى بانكسـار واضعـاً خـده بـذل عجيبِ
قـائـلاً إخـوتي سـلامٌ عليكم إذ دنت شمسُ مدَّتِي بالمغيبِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قـال : « ما أكثـر رجل ذكـر الموت إلا تـرك الفرح والحسد والرغبة » يا أخي لو كان عندنـا علم أنه لا يمـوت منًا إلا رجـل واحد لا يعلم من هو فينا ، لكان الـواجب علينا أن لا تـرقأ لنـا دمعة خـوفاً من الموت ، فكيف ونحن على يقين أنه لا يبقى منا أحد . وأنشدوا :

يلقى الفتى حذر المنية كـارها منهـا وقد حـدقت به لـو يشعر
نصبت حبائلها[1] له من حوله فـإذا أتـاه يـومـه لا ينـذر
إن أمرأ أمسـى أبوه وأمـه تحت التـراب لـواجب يتفكـر
تعطي صحيفتك التي أمليتهـا فتـرى الذي فيهـا إذا ما تنشـر
حسناتها محشوة قـد أحصيت والسيئـات فـأي ذلـك أكثـر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لا بد منها ، أما ترون الموت قد أفنى الأمم المـاضية ، وقتـل القـرون الخـاليـة ، وهـدم القصـور العـاليـة ، عـطل عشـارهم ، وخـرب ديـارهم ، وهـدم منـازلهم ، وقـطع آثـارهم ، وقـطف أعمارهم ، ولم ينفعهم ما جمعوا ، ولم يحصنهم ما بنوا وصنعوا قد صاروا في القبـور رميماً ، ولقـوا من الموت والأهـوال أمراً عـظيماً ، فهـذا دليـل على أن المـوت لا يتـرك أحـداً من المخلوقين ، حتى يتـوفـاهم وينقلهم إلى التـراب أجمعين *

حكاية في الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنـه قال : ذكـر عند رسـول الله ﷺ رجل فـأثنوا

(١) حبائلها : جمع أحبولة وهي الشبكة التي يصاد بها .

عليه ، فقال رسول الله ﷺ « كيف زهده في الدنيا وتركه لما يشتهي منها ؟ » قالوا إنه ليصيب منها . قال « فكيف ذكره للموت » قالوا ما سمعناه يكثر ذكره . قال « ليس صاحبكم هناك » فمن لا يكثر ذكر الموت ، ولا يترك الرغبة في حطام الدنيا ؛ فلا خير فيه والله أعلم . وأنشدوا :

إنما الدنيا بلاغٌ ليس في الدنيا ثبوتْ
إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوتْ
ليس للطالب فيها كلَّ يومٍ غير قوتْ
كلُّ من كان عليها عن قليلٍ سيموتْ

فالله الله بادروا العمر اليسير ، والأجل القصير ، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الأصلاب ، ويذب الرقاب ، ويرد كل مخلوق إلى التراب ، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة المآب ، ويسوق الفاجر العاصي إلى أليم العذاب ، فتفكروا في الموت يا أهل الفناء والذهاب . وأنشدوا :

هل للفتى من عثار الدهر من واقٍ أم هل له من حمام الموت من راقِ
قد رجَّلوني(١) وما بالشعر من شعثٍ ولبَّسوني ثياباً غير أخلاقِ
وكفَّنوني وقالوا أيَّما رجلٌ وأدرجوني كأني طيٌّ مخراقِ
هوِّن عليك ولا تولع بإشفاق فإنما مالنا للوارثِ الباقِي

عظة إبن مسعود

روي عن إبن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس بغافل ولا ذاكر للموت من عدّ غداً من أجله ، فربَّ مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومؤمل غداً لا يبلغه ، لو أبصرتم الأجل ومروره لأبغضتم الأمل وغروره . فيا عجباً للفروع ذهبت أصولها ، وللنجوم قد آن أفولها *

---

(١) رجل الشعر : مشطه .

الداء والدواء

روي أن رجلاً جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال : يا أم المؤمنين إن بي داءً فهل عندك دواء ؟ قالت وما داؤك ؟ قال القسوة ، قالت بئس الداء داؤك ، عد المرضى وأشهد الجنائز وتوقع الموت . فالله يا أعراض المنية ، ويا أبواب الرزيَّة ، لا تنسوا الموت الذي كتبه الله على العباد ، المخرب الأقطار والبلاد ، وكونوا منه على حذر واستعداد ، يا أبدان الأسقام ، ويا أعراض الحمام . وأنشدوا :

من كان يعلم أنَّ الموتَ مدرجه ... والقبرَ منزله والبعثَ مخرجُه
وأنه بينَ حيات ستنهشه ... يومَ القيامة أو نار تَنَضَّجهُ
فكلُّ شيء سوي التقوى به سمجٌ ... وما أقام عليه منه أسمجهُ
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً ... لم يدر أن المنايا سوفَ تزعجهُ

عظة عمر بن عبد العزيز

روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يقول : أيها الناس ما الجذع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجى ، وما الحيلة فيما لا يزول ، وإنما الشيء من أصله ، وقدْ مضت من قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد الأصل ، فكل ما هو آت قريب . أيها الناس إنما أنتم في الدنيا أغراض تتنصل فيكم المنايا ونهب للمصائب ، ومعدن للنوائب ، مع كل أكلة غصص ، ومع كل شربة شرق ، ألا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى ، ولا يعمر فيكم معمر لا بهدم آخر من أجله ، وأنتم أعوان الحتوف[1] على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن فالله يا إخواني لا تركنوا إلى طول الأمل ، ولا تنسوا اقتراب الأجل ، فالموت لا بد منه . وأنشدوا :

آه على سفرة بغير إيابِ ... آه من حسرة على الأحبابِ

(١) أعوان الحتوف : أرباب الهلاك .

آه من سكـرةٍ بغيـر سـرابِ   آه من ركبـة[1] بغيـر ركـابِ
آه من مضجعي وحيـداً فريـداً   بين فرش من الحصى والترابِ

يا إخواني هل رأيتم أحداً خلد في الدنيا حتى تكونوا مخلدين ، أم أنتم من الرحيل إلى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ، فوالله لو كـان الأمر كذلك لخلد خاتم النبيين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحـوذ على نفـوسكم كيـد الشيـطان اللعين ، حتى نسيتم المـوت المفـرق لجمـع الجامعين . وأنشدوا :

لـيس دوام الـبـقـاء لـلخـلـق لـكـن دوام الـبـقـاء لـلخـلّاقِ
غلب المـوتُ حيلَة كلٍّ محتـا   لٍ واعـي بـدائِـه كـلُّ راقِ
عـطفت شـدةُ الـزمـان فـأدتـ   ـه إلى فـاقـة وضيق خنـاقِ
لا يغـرنك الغـرور من الـدنيـ   ـا فمنهـا شـدائـدٌ بسيـاقِ

القرآن والموت واعظان

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقاً وصامتاً ، فالناطق القرآن والصامت الموت » مساكين فلا بالقرآن عملتم ، ولا في الموت تفكرتم ، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ما عندكم من الموت خبر ، ولا أنتم منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن ، عامرة بخدوع الشيطان ، كأنكم قد أمنتم الموت وطوارق الحدثان . وأنشدوا :

ركبت جمـوح الغي في سبل الصبـا   لـم تـدر أنَّ الـنـائـبـاتِ تـنـوبُ
وجـررت أذيـال البـطالـة لاهيـاً   كـأنـك لم يكتب عـليـكَ ذنـوبُ
أمليت كُتَّـابَ الشمـالِ صحـائفـاً   بـكثـرة مـا تـأتـي ولسـتَ تتـوبُ
ومهمـا يغب عنـك الحمـامُ لمـدةٍ   ستبـلغـهـا حـتمـاً وأنـت كئيـبُ

---

(١) (آه من رقـدة بغير ركـاب) هكذا في الأصـل ، وتصويب عثمـان خليل كمـا أوردنا وهـو أصح ويستقيم معه المعنى .

فقـــل لي إذا وافى على غيــر أهبــة   بــأي جــوابٍ إنْ دُعيــتَ تـجيـبُ

فــالله الله عبـاد الله عــظوا أنفسكم بـآبــائكم وأحبـابكم ، وجيــرانكم وإخوانكم ، فإن في ذلك بلاغاً لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كـانوا بالأمس معكم يأكلون ما تأكلون ، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقـد صـارت القبور لهم بيـوتاً ، وصـاروا بين أطباق الثـرى خفوتـاً قد قسم الـوارثُ أموالهم ، ونكح العدو والصديق عيالهم ، وأهان العـدوُّ أطفالهم . قـد هتكت منهم الأستار ، واستوحشت منهم الديار ، وتحدثت عنهم الأخبار . وأنشدوا :

رأيـت الـمــوت لا يـبـقـى خـليــلاً   على خــل وإن عــاشــا[1] زمــانَــا
فـكـن مــنــه عـلىٰ حــذرٍ فــإنــي   رأيـت المــوتَ لا يُـعــطي أمــانَــا
أنــســنــا غــرةً مــنــه كــأنــا   بـمــا نعنـى بـه يعنـى ســوانَــا
وكــم لــلمــوت مــن دارٍ ودارٍ   أبــان عميــرهــا عنهــا فبــانَــا[2]
فـكـم ذي نـخــوة وعــزيــزِ قــومٍ   أذلَّ الــمــوتُ عــزَّتــه فــهــانَــا
كــأنــا قــد نـظرنــا عـن قـريـبٍ   إلــى مــا قــد وعــدنــاه عـيــانَــا

شدة الموت

روي عن رسول الله ﷺ أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال : « هـو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف » فيا معشر الموقنين بنزوله ما هذه الفترة ، ومـا هذه السكرة ؟ من ذكر الموت قلّ فرحه وحسده ورغبته *

روي عن رســول الله ﷺ أنه كـان إذا رأى فترة أو غفلة من النـاس وقف بباب المسجد فأخذ بأعضاد[3] الباب ثم صاحٍ بأعلا صـوته : « يـا أيها النـاس

---

(١) في الأصل (وإنْ عاش) زمانا للمفرد .
(٢) أي أبعد عنها عامرها .
(٣) أعضاد : جمع عضـد وهو السـاعد ، وهـو من المرفق إلى الكتف ، وعضـد الباب هـو المكان الذي يعلق فيه مصراعاه .

الموت الموت جاءكم الموت بالوحية[1] سعادة أو شقوة ، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة والكرامة الرابحة ، في جنة عالية ، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، ألا إن لكلِّ ساعٍ غايةً وغايةُ كلِّ ساعٍ الموتُ ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزى والندامة ، والمكرمة الخاسرة في نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، إلاّ إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، فسابق ومسبوق » *

فالله الله يا إخواني كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين . وأنشدوا :

أراك بما ترضى به النفسُ[2] والهوى	ويغضب منه الله صرت تدين
وقلبك لا يزداد إلا قساوة	فداركه بالذكرى عساهُ يلينُ
فإن كنت في شك من الموت فاعتبر	بمن قد مضى يزدادُ منك يقينُ
كأنِّي بك استغرقت في غمراتِهِ	وجاءك من بعد الحراكِ سُكونُ
وقد حشرجت في الصدر منك وأسبلت	بأدمعِها تجري عليك عُيونُ
فقل لي إذا وُسِّدَت ويحك في البلى	وهيل عليك التَرَبُ كيف تكونُ ؟!

تمني الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت ، وتأهبوا لأهوال غصص الموت *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الإنابة إليه ويطيل عمره » فإنا لله وإنّا إليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة ، فمن

---

(١) الموت الوحي : السريع .

(٢) في الأصل (النفوس) ومعها لا يستقيم الوزن .

كان منا كذلك فقد عظمت خسارته ، وما ربحت تجارته . وأنشدوا :

نـودي بصـوت أيمـا صـوت ... مـا أقـرب الحيَّ من المـوتِ
كـأن أهــلَ الحي في غيِّـهم ... قـد أخـذوا أمنـا مِن المـوتِ
كم من صحيـح عـامـرٍ بيتـهُ ... لـم يمس إلاّ خـاربَ الـبيـتِ
كـم وكـم حي بـكـى مـيتـاً ... فـأصبـح الحيُّ مـع الميِّتِ

دعاء مجرب

اللهم يـا أكرم الأكـرمين ، تفضل علينـا وعلى جميع المـذنبين ، بتوبـة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيـا بلا ذل ولا تبـاعة ، على منهـاج أهل السنـة والجماعـة الذين أوجبت لهم الـرحمة والشفـاعـة ، اللهم إن الـطاعـة بقـدرك والمعـاصي ، وفي قبضتـك القلوب والنـواصي ، فطهـر قلوبنا بمـاء التوبـة ، واغسلها من دنس الحـوبة[1] ومتعنـا بالسلامة في ديننا ودنيـانا مـا أبقيتنا ، ولا تـردنا على أعقـابنا بعـد إذ هديتنـا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وخير المرسلين ، واحشـرنا تحت لـوائه أجمعين ، على منهاجه وسنتـه غير مبـدلين ولا مغيرين مـوفقين معصومين غيـر مغضوب علينا ولا ضالين ، يا أرحم الراحمين ، ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والله أعلم *

(١) الحوبة : الإثم .

١١ - مجلس في موت الأنبياء والأولياء الصالحين

وهو قوله تعالى ﴿ كلُّ نفس ذائقة الموت ﴾ معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محالة وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور ، فإذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور ، على الملك الغفور ، فاستعدوا لذلك المقام ، واجتنبوا الأوزار[١] والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام *

صفة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الموت غصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى » . وأنشدوا :

يا من سينأى[٢] مسرعاً كما نأى عنه أبوه
مثل بقلبك قولهم جاء اليقين فلقنوه
وتحلّلوا من ظلمه قبل الفراق وودّعوه

(١) الوزر : الإثم والذنب .
(٢) سينأى : سيبعد من النأي وهو البعد .

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم في الباطلات ، ولا تفنوا أيامكم في الجهالات ، واذكروا الموت مفرق الأحباب ، وقاطع الأنساب ، ومذب الرقاب ، وقاصم الجبابرة والأرباب ، مهلك الآباء والأمهات ، وقاتل الأخوة والأخوات ، ومبيد الجيران والقرابات الموت يقطع أموالكم ، ويغيِّر أحوالكم ، ويرمل نساءكم ، وييتم أطفالكم ، فلا يبقى منكم خليلاً ولا حبيباً ، ولا جاهلاً ولا أديباً . وأنشدوا :

الموت أفنى من مضى ... والموت يفني من بقى
والموت يجمع في الترى ... بين المنعم والشقى

يا مسكين أنفقت مالك في بنيان الدور ، وتشييد القصور ، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور ، ثاوياً[1] فيها إلى يوم النشور[2] وأنشدوا :

ألا للخراب بنى العامرونا ... وللموت ما ولد الوالدونَا
وعما قليل يرى الآخرو ... ن عجائب ما قد رأى الأولونَا
ويشقى أناسٌ بما جمعوا ... ويسعد بالقلة الزاهدونَا
ولا يرحمون إذا ما بكوا ... ولا يرتجي الرحمة الظالمونَا
ويسأل قوم هناك الرجو ... ع فلا يرجعون ولا يكرمونَا

اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنية ، يا ابن آدم الرقاد والله تحت التراب ، خير لمعصيتك لرب الأرباب *

عظة الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كفى بالموت واعظاً ، وكفى بالعبادة

---

(١) ثاوياً : مقيماً من ثوى إذا أقام .

(٢) يوم النشور : يوم البعث أي يوم القيامة .

شغلاً ، وكفى باليقين غناء » واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم ، ثم يجمعون في عرصة القيامة ، لوقوع الحسرة والندامة ، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون ، ويحال بينكم وبين ما تشتهون ، ويحيق بكم ما كنتم به تستهزؤ ون . وأنشدوا :

كل حي وإن بقى فمن الموت يستقِي
فاعمل اليوم واجتهد بادر اليوم يا شقِي

أبو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية[1] رحمه الله أنه دخل يوماً على الرشيد فقال له الرشيد : أنشدني ، فقال اجعل لي الأمان ، قال أنت آمن فأنشأ وأنشد :

لا تأمن الموت في طرفٍ[2] ولا نفسٍ وإن تسترت بالحُجَّاب والحرسِ
واعلم بأن سهامَ الموتِ قاصدةٌ لكلِّ مدرَّعٍ منا ومتَّرسِ
ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوبك الدهر مغسولٌ من الدنسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إنَّ السفينةَ لا تجري على اليبسِ

فاعلموا يا معشر بني آدم أن الموت لا يترك[3] منكم أحداً ، ولا يرحم والداً ولا ولداً ، فاجعلوه بين أعينكم منصوباً ، فإنه لا يترك الفرح كئيباً مكروباً ، فيقيننا يقين من يموت ، وأعمالنا أعمال من لا يموت ، كأن يقيننا بالموت مشوباً بالشك ، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجاً بالأفك ، ما هذه حال من أيقن بالحمام ، يعصى مولاه في الليالي والأيام . وأنشدوا :

نحن من العمر في ظنونٍ وفي يقين من المنون[4]

---

(١) أبو العتاهية ، من مشاهير الشعراء العباسيين .

(٢) أي في طرفة عين ، وهي أقل فترة زمنية .

(٣) في الأصل (لا يؤخذ منكم) وهو خطأ فتدبر .

(٤) المنون : والمنية الموت .

ثمت لا نذكر المنايا ألیس ذا غاية الجنون

مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت في المنام رجلاً وهو في برية وأمامه غزالة وهو يجري خلفها وهي تفر منه ، وأسد كأعظم ما يكون خلقة وقد هم أن يلحقه ، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الأسد فلا يجزع منه ، ثم يجري خلف الغزالة حتى لحق به الأسد فقتله . فوقفت الغزالة ، تنظر إليه وهو مقتول ، إذ جاء رجل آخر قد فعل ما فعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة ، فخرج آخر ففعل كذلك ، قال فما زلت أعد واحداً بعد واحد حتى عددت مائة رجل صرعى والغزالة واقفة ، فقلت إن هذا لعجب ! فقال الأسد : مم تعجب ؟ أوما تدري من أنا ومن هذه الغزالة ؟ فقلت لا ، فقال أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا ، وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتى آتى على آخرهن . فاستيقظت فزعاً مرعوباً وأنشدوا :

حتى متى وإلى متى نتوانى[1] وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حثيثاً مسرعاً إن لم يزرنا بكرة مسانا
إنا لنوعظ بكرةً وعشيةً وكأنما يعنى بذاك سوانا
غلب اليقينُ على التشكك في الردى حتى كأني قد أراهُ عيانا
يا من يصير غداً إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخلّانا
إن الأماكن في المعادِ عزيزةٌ فاختر لنفسك إن عقلتَ مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزُّها قبل الممات ولا تكن مهوانا[2]

واعلموا عباد الله أن ما من جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوارٍ والعارية لا تبقى ، يرجع الكلُّ إلى الله

(١) التواني : التقاعس والتكاسل .
(٢) مهواناً : أي مستهيناً ، وهي صيغة مبالغة .

تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين ، فشقي وسعيد ، ومنعم ومعذب . وأنشدوا :

وما أهل الحياة لنا بأهلٍ ولا دارُ الفناءِ لنا بدارِ
وما أموالنا إلا عوار سيأخذها المعيرُ من المعارِ

ملاقاة الأرواح

روي عن النبي ﷺ أنه قال : إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب في الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول بخير تركته والله على طريقة حسنة . فيقولون يا ربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه ، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول قد هلك فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية[1] بئست الأم وبئست المربية *

أعمال الأحياء والأموات

قال رسول الله ﷺ : « تعرض على الموتى أعمالكم فإن رأوا خيراً استبشروا به وقالوا اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا اللهم راجع بعبدك » قال رسول الله ﷺ : « فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فإن أعمالكم تعرض عليهم »[2] فالله الله عباد الله اجتهدوا في اكتساب الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم ونهاركم السيئات ، فإن ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات . واعملوا في صحتكم قبل السقم ، وقدموا في شبابكم قبل الهرم ، فإن الموت إذا جاء لا يرجع ، وسهامه إذا

(١) الهاوية : من أسماء جهنم .
(٢) راجع كتاب (الروح) لابن القيم .

فوقها لا تدفع ، وكأسه إذا أدارها لا تنزع ، حياضه موروده ، وساعاته معدودة ، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة . وأنشدوا :

الموت حتمٌ حوضُهُ موروذُ والموت يفنى جمعنا[١] ويبيدُ
والموت يحكم في النفوس بحتفها[٢] وله على تنفيذ ذاك جنودُ
والموت يفسد مهجة الملك الذي قد عززته[٣] عساكرٌ وجنودُ
وقلوبنا في كل ذا مشغوفةٌ حُبّاً لدارٍ زهرها معقودُ
وإلى متى تهوى الذي هو هلكها وإلى متى لا تنثني وتعودُ ؟

الله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب البلية ، ويا معادن الرزية . أفيقوا من هذا الوسن ، قبل أن تَزوَّدوا من أموالِكم بحنوطٍ[٤] وكفنٍ . إذا تبرأ منكم الحبيب ، وأنكر معرفتكم القريب ، وصار كل واحد منكم كأنه أجنبي وغريب . وأنشدوا :

الموت بابٌ وكلُّ الناسِ داخله فليت شعري بعد الباب ما الدارُ ؟
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الإله وإن خالفتَ فالنارُ

المثابرة

يا أخي بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع ؟ فبادر ما دمت في فسحةٍ من العمرِ ، قبل أن يضيق عليك الأمرُ ، لو صيح بك الليلة أجب الداعي أما كنت نادماً على ما قدمت ، وباكياً على ما فرطت ؟ وأنشدوا :

الموتُ بحرٌ طامحٌ موجهُ تذهب فيه حيلة السابحِ

---

(١) في الأصل (جميعنا) ولا يستقيم معه وزن .
(٢) في الأصل (في النفس) ولا يستقيم معها الوزن .
(٣) في الأصل (عزته) وهذه تصويبات عثمان خليل .
(٤) (بخيوط) وردت هكذا في الأصل وهو تحريف .

يـا نفس إني قـائـل فـاسمعي مقــالـة من مشفق نـاصــحِ
مـا يعجب الإنسـان في قبـره مثـل التقى والعمل الصـالـح

فالله الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسـوان ، وأيتم الـولدان ، وفـرق الأخوان ، فـوالله يا أيهـا الإنسان وإنمـا أنا وأنتم ذلـك الإنسـان ، لـو لم يكن مـاء ولا ظـلال ، ولا جـواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولا جحيم ولا عقاب ، لكـان في الموت وسكـرته ، والقبـر وظلمته ، واللحد وضغطته ، ما يمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايـا والذنـوب فكيف ومن وراء ذلـك هول مهـول ، وشرح يـطول ، من الصـور ونفختـه ، والنشـور وروعته والصراط ورقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه . فما يكون جوابك أيهـا المغرور ، إذا وقفت بين يـدي العالم الغفـور ، الذي يعلم خـائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟ فأظهر لـك قبائحـك ، ونشر لـك فضائحـك ، واستشهد عليك جوارحك ، فإن عفا عنك فأنت من الفائـزين ، وإن طالبـك بما قـدمت يـداك فأنت من الخـاسرين . عفـا الله عنا أجمعين ، وغفـرلنا ذنـوبنا فهـو خير الغافرين آمين رب العالمين . وأنشدوا :

من كـــان يــرجــو أن يعيش فــإنني أصبحت أرجــو أن أمـوت فــأعتقَـا
في المــوت ألف فضيلةٍ لــو أنهــا عــرضت لكــان سبيـلهِ أن يعشقَــا

قبض أرواح الصالحين

ذكـر في بعض الأخبـار عن بعض السلف الأخيـار عن النبي المصـطفى المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه ، وهو التقي لأنه بالتقوى كرم عليه ، دعـا بملك الموت فقـال اذهب يا ملك المـوت إلى عبدي فـلان فأتني بـروحه ليـرتاح عنـدي فحسبي من عمله أني قد بلوتـه في السـراء والضـراء فوجـدته حيث أحب ، فيـذهب ملك الموت فيـأخذ من مسـك الجنة الأذفـر وحريـرها الأبيض فيهبط بـه ويهبط في أثره خمسمـائـة ملك ليس منهم

ملك إلا ومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولي ، وليس منهم ملك يدري ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا ومعه صبائر[1] من الريحان ـ يعني حزماً من الريحان ـ من ريحان الجنة ، فإذا هبطوا أحدقوا بولي الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه ونفث في وجهه سم الموت فصرعه ويقول له : يا ولي الله ارتحل من الدنيا فليست لك دار وليست لك بوطن ولا بد لك يا ولي الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك ، قال فملك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فإذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤوا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التي أرسلهم الله بها إليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صبائر الريحان الذي جاؤوا به ، فإذا خرجت نفسه لفها ملكُ الموت في ذلك الأبيض والمسك الأذفر ، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشّروه عند جسده عند أهله *

ملائكة الرحمة

فإذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام في سبعين ألف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج[2] به حتى يضعه بين يدي الجبار تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى ـ ليس كمثله شيء ـ لجبريل عليه السلام اذهب فدع ولي الله في سدر[3] مخضود[4] وطلح منضود . فإذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاؤوا مع ملك الموت فيجلسوا صفين ما بين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالإستغفار ، وإذا أدلي في قبره وحثي عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة

---

(١) صبائر : جمع صبرة ، أي حزمة .

(٢) عرج به : صعد به .

(٣) السدر : شجر النبق .

(٤) المخضود : المقطوع شوكه المشذب .

فكانت عن يمينه ، وجاءه الصوم فكان عن شماله وجاءه ذكر الله تعالى وتلاة القرآن فكانا عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى ما يحب فلم يجد مجلساً فيجلس في ناحية من نواحي قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه ، فتقول له الصلاة إليك عني لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتي عن شماله فيقول الصيام إليك عني لا سبيل لك إليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، ثم يأتي عند رجليه فيقول له مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلماء وعيادة المرضى وإتباع الجنائز والصدقة إليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولي الله من الإقبال والإدبار هذه الساعة ، قال فلما لم ير شيئاً انقمع ودخل في الموضع الذي خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء : أما إذا كفيتموني عذاب القبر فسأكفيكموه عند الميزان إذا نصب *

سؤال الملكين

قال ثم يخرج الله إليه منكراً ونكيراً وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان القبور بأنيابهما ، ويطآن في أشفارهما . كلامهما مثل الرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، وانفاسهما مثل لهب النار ، وألوانهما مثل الليل المظلم . فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان له قد علمنا أنك ستكون مؤمناً فيفتحان له باب إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لأهل المعصية من النقمة والعذاب ، قال فيرفعان ذلك الباب دونه ثم يقولان له لا تخف يا ولي الله[1] من هذا الباب أبداً ، ثم يفتحان له باباً إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لأهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذي لا زوال له ولا

(١) ولي الله : حبيب الله .

إنقطاع فيقولان له يا ولي الله هذا دارك وقرارك ومنزلك *

نعيم القبر

قال فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها ويوسعان له قبره مد بصره ، ثم يقولان له يا ولي الله نم فينام نوم العروس في حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلى أزواجه وحرمه ، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصر على ذنبه إلى هذا الولي الذي صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنوداً حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلاً إليه ؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلاً إليه ، فلو لم يكن بطاعة الله عاملاً لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلاً ، ومن لم يكن بينه وبين النار حائل ؛ فالهلاك والخزق له حاصل ، والعذاب والذل إليه واصل ، فكل مَنْ زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه ، لأنه لم يجعل حائلاً بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى بإتقائه في كتابه ، فإنما هو تحذير من عذابه . وأنشدوا :

الموت أهنأ للمطيع وأصلحُ والموت أطيبُ للتقيِّ وأنجحُ
والموتُ أقرب للجنانِ طريقة والعبدُ يكرمه الإله ويمنحُ

سليمان وملك الموت

ذكر في بعض الأخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت[1] وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه ، فبينما هو

---

(١) سبق أن ذكر ابن الجوزي أن سليمان كان يزوره ملك الموت إذ كان صديقاً له دائماً فكيف يتفق هذا مع هذا الخبر الذي يرويه ابن الجوزي من أن سليمان عليه السلام دعا الله تعالى وسأله أن يريه ملك الموت .

قاعد ذات يوم على سريره إذ خرج رجل من جنب السرير ليس يراه أحد إلا سليمان لم ير سليمان قط أتم خلقاً منه ، فقال يا عبد الله ما أدخلك داري ؟ قال أدخلنيها ربها ، أدخلني من هو أملك لها منك ومني ، فعلم عند ذلك أنه من ملائكة الله ، فقال له من أنت من ملائكة ربي ؟ قال أنا ملك الموت . قال فسمعوا من كلامه جلبة فصعق[1] سليمان من خوفه ومن كان معه في البيت ، فقال ملك الموت يا رب إن عبدك سليمان ونبيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ما ترى فألبسه من القوة ما يطيق النظر إلي فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن ضع يدك في صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه بإذن الله تعالى ، قال سليمان يا ملك الموت أترى خلق الله في السموات والأرض مثلك ؟ فقال ملك الموت يا نبي الله والذي بعثك بالحق إن رجلي الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد خرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة ألف عام ورجلاه قد جاوزا الثرى بخمسمائة عام فاتحاً فاه رافعاً صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطاً يديه لو أذن الله له أن يقبضهما إلى صدره لضم السموات وما فيهن وما عليهن ما خلا العرش ، وأن فوقه ملكاً قائماً قد أدخل رجليه تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه ميسرة ألف عام فاتحاً فاه ، وأن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسلفى تحت الثرى لو أذن الله تعالى له أن يضع شفته العليا على السفلى لأطبق ما بينهما في جوفه ، وأن لله ملكاً عنقه مثني تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلي هذين الملكين مسيرة ألف عام يخرج الريح من أنفه لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ما خلق الله في السموات والأرضين في نفيه سوى العرش ، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل ، وأن لله ملكاً باسطاً كفه اليمنى منذ خلقه الله تعالى رافعاً صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ما خلا العرش .

---

(١) صعق : غشي عليه .

فقال سليمان ﷺ : يا ملك الموت أكفف عني فلقد وصفت أمراً أتخوف أن تطير روحي ولا تثبت نفسي ولا أطيق سماعه ، فكف ملك الموت ، فعندها قال سليمان عليه السلام يا رب متى ألتقي مع الأحبة ، يا رب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا . فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام . وأنشدوا :

الموت مُرٌّ والعيشُ همٌّ ... فأي هذين لزم[١]

وقد تعجبت إذ هنا لي ... عيش وعندي بالموت علم

أنقل رجلي من كل دار ... خوف المنايا والأرض سم

والروح مستوفز[٢] بجسمي ... له على الإنتقال عزم

فكأنكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم ، ونغص عليكم شهواتكم ، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق ، حيث لا ينفعكم حميم ولا صديق ، ولا أخ شقيق ، ولا والد شفيق .

نداء الموت

روي عن سلمان الفارسي[٣] رضي الله عنه أنه قال : ما من يوم إلا وملك الموت ينادي يا أهل الدنيا عجِّلوا عجِّلوا لأن أهل القبور محبوسون من أجلكم ، أتركوا ما جمعتم ، وخربوا ما بنيتم ، الويل لكم إن أدرككم الموت على هذه الحالة ، زينتم الدور ونسيتم القبور . أذكروا القبر ووحشته ، والموت وسكرته ، والصراط ودقته . الموت سكرة في سكرة ، وحيرة في حيرة وجذبة يا لها من جذبة . فالمسكين يكابد غصص المنون ؛ داهش العقل

---

(١) في الأصل (لازم) وهذا خطأ .

(٢) مستوفز أي متحفز متهيىء للخروج .

(٣) سلمان الفارسي : كان من كبار صحابة رسول الله ﷺ ، ودخل الإسلام بقلبه وجوارحه بعد أن كان مسيحياً .

كالمحزون . فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم . وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنية ، وحلول الرزية ، ووقوع البلية . حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تزاد ، ولا حياة تعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكثرون عليك البكاء والنواح ، فلا عثرة تقال ، ولا رجعة تنال . وأنشدوا :

ألا إن أيام الحياة مراحل ... طريق الفتى منها إلى الموت ساحلُ(١)
يسر بما يمضي لما هو آمل ... ويأتي الردي (من) دون ما هو آملُ
وما يومه إلا غريمٌ محكمٌ ... إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطلُ
عجبت لمن يبغي السلامة جاهداً ... ومر الليالي كلهن غوائلُ
ونحن بنو الأيام نظلم نفوسنا ... ونرجع وهي القاتلات الثواكلُ
ومن لحظ الدنيا بعينٍ بصيرةٍ ... رأى عينها في نفسه وهو شَائلُ(٢)

عظةٌ من الغفلة

أيها الإنسان ـ وكلنا ذلك الإنسان ـ استيقظ من غفلتك ، وهب من رقدتك . قد آن أن يدعى إليك الطبيب بجمع الدواء ؛ فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء . ثم يقال فلان قد أوصى وجميع ما له قد أحصى . قد تبرأ من الدنيا وعلائقها ، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها . ثم ضعف جنانك ، وثقل لسانك ، وانقطع عن كلامك فلا تكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك ، وعظمت كروبك ، إذا عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك ، واشتدت الأحزان ، وعلا صراخ النسوان ، وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك هذا ولدك الصغير وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتها الصغرى ، فلا ترد عليهم جواباً ، ولا يستطيع لسانك خطاباً . ثم اشتد بك

---

(١) في الأصل (سايل) وهو خطأ وما صححه عثمان خليل أوضح وأقوم .
(٢) من شالت نعامته كناية عن موته .

النزع والسياق ، إذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف ، يجازيك على ما قدمت في سالف الأيام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام . وأمر بك إما إلى جنة عالية ، ذات نعيم وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود ، وزودت من مالك حنوطاً وكفناً ونزلت في رمسك بعملك مرتهناً . وانصرف أهلك لقسمة ما خلَّفتَ من الأموال ، وما سعيت فيه من الحرام والحلال . وأنشدوا :

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه ... فليت شعري ما أبقى لك المالُ ؟
القوم بعدك في حالٍ يسرهم ... فكيف بعدهم صارت بك الحالُ ؟
ملوا البكاءَ فما يبكيك من أحدٍ ... واستحكم القيل في الميراثِ والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم ... وأدبرت[1] عنك والأيام أحوالُ

قال رجل من الصالحين : رأيت رجلاً قد مات ووراثه يختصمون في ميراثه قبل أن تخرج جنازته ، فقلت هذه الأبيات المتقدمة *

نداء الملك

ذكر في بعض الأخبار أن تحت العرش ملكاً ينادي كل يوم وليلة ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا ، وأكرموها قبل أن لا تكرموا . وأذكروا الموت وما بعده من عظيم الأهوال ، واستعدوا له بذخائر الأعمال وأنشدوا :

أرى الدهر لا يصغي إلى من لا يعاتبه ... وأعتب دنياه على من يثالبه
ونحن نرجي الخلد في غير دارنا ... وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنيةُ منهلٌ ... نسير إليه والليالي ركائبه

---

(١) أدبرت عنك : انصرفت عنك .

كفى سالباً للمرء يومٌ وليلةٌ ومن يلبس الأيام فهي سوالبه
فلا تأمن الدهر الخئون فإنما هو اليومُ سلمٌ ثم حربٌ عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فإن الله لم يخلقكم عبثاً ، وإنما خلقكم لتعبدوه وتوحِّدوه[1] وليميتكم ويبعثكم بعد الموت ، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته . وما خلق الدنيا إلا للزوال ، وجعلها دار ابتلاء واختبار ، وسجناً لأوليائه ، وجنة لأعدائه . فراحة الأولياء الموت ، وعذاب أعدائه الموت . لأن الأولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم ، والعيش المقيم والأعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الأليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

ومنتظرٌ للموت في كلِّ ساعةٍ يشيد ويبني دائماً ويحصنُ
له حين تبلوه[2] حقيقةُ موقنٍ وأفعاله أفعالُ من ليس يوقنُ
عيان كأنكارٍ وكالجهلِ علمه بمذهبه في كلِّ ما يتيقن

حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخاً من تيماء كان يجلس إليه أصحابه ، فإذا كان عند قيامهم عنه قال : قوموا قيام من قد يئسوا من المعاودة حذراً من القاطف للنفس ملك الموت ، ثم يبكي ويبكوا حوله . وأنشدوا :

وكن مستعداً لداعي المنو ن فكلُّ الذي هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيبْ
يخاف على نفسه من يتو ب فكيف ترى حال من لا يتوب[3]

(١) التوحيد هو جماع العقيدة الإسلامية ، فمن قال لا إله إلا الله دخل الجنة .
(٢) تبلوه : من الإبتلاء وهو الإختبار .
(٣) الذي يتوب يخاف ويخشى ألا يتقبل الله منه توبته ، فما بالك بالعاصي الذي لا يتوب ويموت وهو مصرٌ على معصيته .

إن من الشعر لحكمة !!

خشية عيسى من الموت

روي أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله ! يا أخي يا غافل مثلي يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟؟ فالله يا إخواني لا تغتروا بصحة الأجسام ، ومداومة الأيام ، فإن الموت يأتي في ألهى ما أنت عليه في الدنيا وألذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ، ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمناً ... أتته المنايا بغتةً بعد ما هجعْ
فلم يستطع إذ جاءه الموتُ بغتةً ... فراراً ولا منه بحيلته امتنعْ
وقرب من قبر فصار مقيله ... وفارق من قد كان بالأمس قد جمعْ
فلا يترك الموتُ الغنيَّ لمالِهِ ... ولا معدماً في المال ذا حاجة يدعْ

حديث في ملك الموت

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن ملك الموت ينظر لوجه العباد في كل يوم سبعين مرة ، فإذا ضحك العبد الذي بعث لقبض روحه يقول له : يا عجباً لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك » فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه ، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين ، وهو يضحك ويلهو . وأنشدوا :

ضحك الفتى من عجبه[1] جهالة ... والموت يطلبه حثيثاً مُسرعا

(١) في الأصل : من عجب ولا يستقيم هذا .

والموت لا يدع الجهول لضحكه إلا رماه بسهمه فتفجعَا
فتفلقت أوصاله لنزوله وتفتت العظم الصليب توجُّعَا
وبكى لفرقة ماله وعياله ومضى إلى دارِ البلى متضرعَا

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الأمل[(١)] ، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على وجل ، فإن للموت غاد ورائح ، وماس وصابح ، وأنت يا أخي منه على يقين وتحقيق ، فلم تحد[(٢)] عن منهاج الطريق ؟ ❋

نداء للميت

ذكر في بعض الأخبار أن الميت ينادي إذا وضع على المغتسل : أين لسانك الفصيح ما أسكتك ، أين صوتك الشجي ما أخرسك ، أين ريحك العطر ما أنتنك ، أين حركاتك ما أسكنك ، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟ الويل لك إن كنت عاصياً ، والبشرى لك إن كنت طائعاً ، وتناديه الملائكة إذا وضع في القبر يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ، أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك[(٣)] خلقت من التراب ، وأعدت[(٤)] للتراب . وأنشدوا :

خلقت من التراب بغير ذنب وعدت إلى التراب ولي ذنوبُ
فمالي لا أجاهد في خلاصي بعزمٍ للمعاصي لا أتوبُ
ومالي أثقلت ظهري ذنوبٌ ومنها لا أملٌ ولا أنيبُ
ومالي لا أرقُّ لسوءِ حالِي ومن نفسي عليَّ غدا رقيبُ
ومالي مبعدٌ مقصى طريدٌ وفي كل القبائح لي ضروبُ
وكم بالبرِّ تسويفي ومطلي ولا أدري متى تأتي شعوبُ

---

(١) التعلق بطول الأمل في الدار الفانية من الحماقة ، وقلة في العقل ونقص في الدين .
(٢) لم تحد : لم تمل ولم تنحرف .
(٣) عفصتك : قلعتك ، وعفص يده : لواها .
(٤) أعدت : أرجعت .

فيا من ليس لي ربٌّ سواهُ عليمٌ بالذي أدعو يجيبُ
تجاوز يا إلهي عن ضعيفٍ بغفرانٍ لعلي عسى أتوبُ
وهب لي ذلتي وعظيم جرمي فأنت الواحد الفرد القريبُ

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت ، وتفكروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف ، والندامة على ما قد سلف ، إلا أن تنزل به المنية ، غدوة أو عشية ، فعظ نفسك قبل حلول الرزية . وقيل في قول الله تعالى ﴿ وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴾[1] قيل الأجل القريب عند كشف الغطاء ، يقول العبد عند الموت ، يا ملك الموت أخرني يوماً أعمل فيه صالحاً لنفسي ، فيقول ملك الموت : فنيت الأيام فلا يوم ، فيقول أخرني ساعة ، فيقول فنيت الساعات فلا ساعة ، فيقول أتركني أتكلم ، فيقول فرغ كلامك فلا كلام . فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال ، ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره ، فإذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة *

سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل ﴿ فأصَّدق وأكُنْ منَ الصالحين ﴾ فالله الله بادروا قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل من صالح العمل ، وفراغ الأنفاس ، وورود الأرماس[2] ولا ينفعك حبيب ولا حميم ، ولا ولد ولا والد رحيم ، قد أحاطت بك الخطوب ، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك ، ونكح العدو أو الصديق عيالك .
وأنشدوا :

---

(١) المنافقون ١٠ .
(٢) الأرماس : جمع رمس وهو القبر .

أرى الأزواج تنكح إن هلكت ... ويقسم وارثي[1] ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل ... إذا انقطع الرجا مني ومت
وينساني الصديق فما يبالي ... أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بي رجالٌ من سفاه ... وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل إلا على ما ... من الأعمال في الدنيا عملت
فياذا العرش عفواً عن ذنوبي ... وعن زللي وما كنت اجترمت
وشفع في نبيك حين أدعي ... غداة العرض إن تفعل نجوت[2]

روي عن رسول الله ﷺ أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما رؤي ضاحكاً مستبشراً حتى قبضه الله تعالى *

٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر في بعض الأخبار أن الله تعالى خلق في الأرض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة ، فجعل في البحر ثمانية آلاف قبيلة ، وجعل بين السموات والأرض أربعين ألف قبيلة تحملها الريح ، ليس منها دابة صغرت أو كبرت في الأرض أو بين السماء والأرض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى ؛ فملك يهيء لها رزقها بإذن الله ويسوقها إليك ، وملك آخر يقودها بإذن ربها إلى مستقرها ومنقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة ، فإذا استوفت أثرها ورزقها وبلغت أجلها قبض ملك الموت روحها . فسبحان من له الملك والتدبير .

عباد الله فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فإن الموت يطلبكم بالليل والنهار ، والعشى والأبكار ؛ فاجتهدوا في الحسنات ، واجتنبوا في ليلكم

---

(١) ليستقيم الوزن يجب القول (ويقسم من ورائي) .
(٢) هذا البيت مكسور شطرُه الأول وهذه القصيدة من بحر الوافر ، ولو قال : ـ (وشفِّع فيَّ أحمد حين أدعى) لاستقام .

ونهاركم السيئات . قبل نزول الموت والندم ، فالموت لا يترك ملكاً ولا أميراً ، ولا حاجباً ولا وزيراً . وأنشدوا :

قد صرف البواب والحاجبُ ... وقهرمان[1] الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم ... بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهدُ[2] من بعده ... ألفاً سواه وكذا الكاعب[3]
وجد في تفريق ما لم يزل ... يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة ... يا زاهداً فيها ويا راغب
فإنها أم لأبنائها ... منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين

ذكر في بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفاً على نفسه فدعي لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته ، ثم حضرها فعوتب في ذلك فقال : لقد استحييت من الله أن أرى أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه . يا مسكين مثلي اعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار . فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه . وأنشدوا :

أفي كل يوم للمنية أقربُ ... وكل الذي آتيه يحصى ويكتبُ
فيا سوأتا قد آن وقت ترحلي ... وها أنا في الميدان ألهو وألعبُ
فإن لم تجد بالعفو منك عن الذي ... جنته يدي إني إذاً لمخيبُ

ذكر أنه كان بالبصرة فتى وكان مسرفاً على نفسه ما ترك ذنباً إلا ارتكبه ، ولا شراً إلا اكتسبه ، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال :

---

(١) قهرمان الدار : كبيرها ، ومديرها .

(٢) الناهد : الشابة التي برز نهدها .

(٣) والكاعب: الفتاة التي استدار نهدها كالكعب ، ولم ينهد بعد.

إنـه قد نـزل بي ما تـرى فإذا مت فـادفني في زاويـة من زوايـا بيتي فقـد أذيت جيراني في حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتي . فرؤي بعد موته في المنام في حالة حسنة فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يـديه وقـال يا عبدي هجروك جيرانك حنقـاً عليك ، وضيقـوا مسالـك الرحمـة بين يديـك ، فوعزتي وجلالي وجودي ومجدي وارتفاعي فوق علو مكاني مـا ضاقت رحمتي عنك ، عبدي هذه خلع مغفرتي ومنـازل جنتي وخاتم أمـاني وسجل إحسـاني وأنا الغفور الرحيم *

حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننـا نذنب ونعصيـه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين . فـالله يا أهـل الذنـوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات ، ووقوع الحسرات واجتهدوا فإن الموت آت ، وكـل آت فهو قريب . قد آن وكلما آن فقد حان . وأنشدوا :

أآمـل أن أخـلَّد والـمـنـايـا[1] يـثـبـن إلـيَّ مـن كـل الـنـواحـي
ولا أدري إذا أمـسـيـتُ حـيـاً لـعليَّ لا أعـيشُ إلـى الـصـبـاح[2]

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها ، وساعاتكم مناهل تردونهـا ، والموت يـطوف عليكم بالليـل والنهار لا يؤخـر من فقدت سـاعـاتـه ، وفـرغت أيـامـه وأوقاته *

حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال : خرجت يوماً لزيارة القبور فإذا بقوم يحملون جنازة فتقدمت إليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنعست نعسـة

---

(١) المنايا : جمع منية وهي الموت .

(٢) وهـذا معنى حديث رسـول الله ﷺ إذا أصبحت لا تنتـظر المسـاء ، وإذا أمسيت لا تنتـظر الصباح .

فأتاني آت فقال لي : قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه ، فانتبهت مرعوباً فأخبرت بذلك أم الميت فقالت : الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفاً على نفسه ، فلما نزل به الموت بكى وقال لي يا أماه ضعي خدي في الأرض والتراب ففعلت ذلك ، فقال ضعي قدمك على خدي وأدعي الله واستوهبيني منه فلعله يرحمني وإقلعي فص خاتمي وتصدقي بثمنه فعسى الله يرحمني . فقلت لها قد غفر الله له ورحمه ، ثم أخبرتها بالذي رأيت . فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم فعساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم . فذلك عليه يسير ، وهو على كل شيء قدير . وأنشدوا :

رأيتُ المرءَ تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
ولا تجد المنيةَ حين تأتي ... على نفسِ إبن آدم من مزيدِ
فلا تغفلْ ـ فديتك ـ عن منونٍ ... تدور رحاهُ بالهولِ الشديدِ

فكأنكم بالأعمال قد انقضت ، وبالدنيا قد مضت ، فاستعدوا بذخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال ، وقد نودي فيكم بالتحويل ، وقد قرب منكم الرحيل *

شاب عاص غفر له

حكي عن بعض الخائفين أنه قال : كان في جواري شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة ما رأيته صاحياً من السكر قط وعهدي به البارحة وقد رفع صوته على أمه في ساعتي هذه . فأخبرتني أنه أصبح ميتاً من غير علة ولا مرض ، وسألتني في كفنه فزجرتها وقلت الحمد لله الذي أراحنا منه ، فمضت مدحورة فرق لها قلبي وقلت إن الرحمة لا تضيق على المذنبين من أمة محمد ﷺ فبعثت من ساعتي في طلبها وعزيتها وصبرتها واشتريت لها كفناً وحضرت جنازته . فعرفني بعض أصحابنا أنه رآه في المنام وأنه سأله ما فعل الله به ؟

فقال قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتي الحمام ، فرأيت شخصاً ميتاً مقعداً ، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال : غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لي وأنا في الجنة مع التعلق بالسنة غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا مسلمين ، وختم لنا بخواتم الصالحين ، إنه على ذلك قدير . وأنشدوا :

لا تأسفنَّ على الدنيا وحليها ... فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهبٌ والمسكُ طينتها ... والزعفرانُ حشيشٌ نابتٌ فيها
أنهارها لبنٌ[١] محضٌ ومن عسل ... والخمر[٢] يجري رحيقاً في مجاريها
والطيرُ تجري على الأغصان عاكفةً ... تسبّحُ الله جهراً في مغانيها
أحمد دلالها والرب بائعها ... وجبريل ينادي في نواحيها
من يشتري الدار في الفردوس يغمرها ... بركعة في ظلام الليل يحييها
أين الملوك الذي عن حظها غفلت ... حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذي عمر ... كذلك الموت يفني كل من فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها ... والناس في غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ... ما طاب عيشٌ لها يوماً ويلهيها
تلهو وتأمل آمالاً تسر بها ... شريعة الموت[٣] تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفسٌ بما رزقت ... من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيماناً مكررة ... ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن في صخرة صُماً ململمة[٤] ... في البحر راسية ملس نواحيها

---

(١) أي لبن خالص .

(٢) خمر الآخرة ليس مثل الخمر الدنيوي ولكنها ذات مذاق خاص لمن اصطفى الله من المتقين ، فمن شربها في الدنيا حرم منها في الآخرة .

(٣) في الأصل : سريعة الموت وهذا خطأ .

(٤) ململمة : أي مستديرة صلبة .

رزقاً لعبد يراه الله لا نفلقت — حتى تؤدي إليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها — لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى ينال الذي في اللوح خط له — فإن أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها — ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازلُ في الآفات خاويةٌ — أضحت خراباً وذاق الموت بانيها

عظة للإستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل ، إلى الوقوف بين يدي الملك الجليل ، فأنفاسكم معدودة عليكم ، وملك الموت قاصد إليكم ، يركبكم بكلكله ، ولا بد لكم من منهله . يقطع آثاركم ، ويخرب دياركم . فرحم الله عبداً نظر لنفسه ، وقدم لغده من أمسه ، قبل حلوله في رمسه . وعمل في العمر اليسير ، لليوم العبوس القمطرير ، وسأل المغفرة من السميع البصير ، الذي هو على كل شيء قدير ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

الموت ينتقي الخيار

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا تقارب الزمان إنتقى الموت خيار أمتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق » فإنا لله وإنا إليه راجعون الذي ذهب عنا الأخيار وبقينا في غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا أحد منا يقطع عن عصيانه . ما هذه أفعال المؤمنين ، ولا هذه سيرة الموقنين ، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين *

عمل الملكين

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته إليك فأذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل سمائي مملوءة

بملائكتي يسبحوني ، فيقولان فأذن لنا أن نسكن الأرض ، فيقول عز وجل أرضي مملوءة من خلقي ، فيقولان يا ربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل قوماً عند قبر عبدي فسبحاني وأحمداني وهللاني واكتبا ثواب ذلك لعبدي إلى يوم القيامة » فالحمد لله الذي جعلنا من أمة محمد المصطفى وحسبنا بهذا فضلاً ، وكفى بكتاب مولانا لأمواتنا الحسنات ، ويجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات . وأنشدوا :

على كل حالٍ[1] وشريكون ... فقد مات مثلك في مثلها
فما لك تلعب بالترها ... ت وتخدع نفسك من عقلها
من الرشد في برها بالعقو ... ق وترضى بذلك من جهلها
وأنت تخالف فيها العذو ... ل وتطوي لسانك عن عذلها
وسيفُ المنيةِ قد سلَّها ... وأنت تنامُ على قتلها[2]
ودولة ذي العز مقطوعةٌ ... وأنت تغفل عن عذلها

إلى متى هذا الصدود ، عن طاعة الملك المعبود ، والغفلة عن بحر الموت المورود ، فارحموا أنفسكم قبل التلف ، وأبكوا عليها قبل الأسف ، فإن السفر بعيدٌ ، وهول المطلع فظيع شديد ، والزاد قليل ، والهم والحزن طويل ، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل يا أخي لكل حي قوت وأنت يا مسكين قوت الموت ، فاعمل للموت قبل الفوت . وأنشدوا :

أراني في انتقاص كلَّ يوم ... ولا يبقى على النقصان شيٌّ
طوى العصران ما نشراه مني ... فأتلف جثتي نشر وطيٌّ
فإن أكُ قد فنيت ومات بعضي ... فإن الحرص باق فيَّ حُي
وطيرُ الموتِ حائمةٌ لقتلي ... مدلاةٌ عليَّ وفي عي

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أكثر الفكرة في الموت هوَّن الله عليه

(١) على كل حال : أي في كل الأحوال .
(٢) في الأصل وأنت (ترقدُ) وهذا لا يستقيم .

سكراته ، وجعله منه على حذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد » فالله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون ، فإن أتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبداً ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا . فتفرغ يا مسكين في اليسير من الأيام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

المبادرة بالتوبة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه »[١] .

السني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلاً من أهل السنة لقي رجلاً زنديقاً قد نحل جسمه وتغير لونه وأذابه الخوف ، وكان السني قوياً سميناً ، فقال له الزنديق . يا هذا صف لي بعض ما تعتقده ؟ فقال : أعتقد الموت وغصصه ، وسكراته وأهواله . فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشياً عليه فمكث ما شاء الله ثم أفاق فقال له زدني ، فقال ثم من بعد الموت القبر وظلمته ، واللحد وضجعته ، ومنكراً ونكيراً ؟ قال وما منكر ونكير ؟ فقال ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما ، ويحفران الأرض بأنيابهما ، وبيد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره ، قال وثم ما بعد ذلك ؟ قال هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط ، قال وما الصراط ؟ قال هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية ، لو أذن

---

(١) لأن الذي يذكر الموت أحرى به أن يتأهب له .

الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنها وهوامها ودوابها من حر نفسه ، قال له وما الزبانية وما جهنم ؟ قال الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب ، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار أربعة آلاف سنة ، السنة أربعة آلاف شهر ، الشهر أربعة آلاف يوم ، اليوم أربعة آلاف ساعة ، الساعة أربعة آلاف نظرة ، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة ألف سنة من سنين الدنيا . وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه . قال له الزنديق : لقد عجبت من قلة عقلك ، هذا كله تعتقده وأنت سمين !! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد أطال[1] حزني وذاب جسمي ، وإنما أنت من عدد الانعام التي لا تعقل فالله الله إخواني أشكروا الله على ما به أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلي جميع خلقه محمد ﷺ ، أخرجكم به من الضلالة ، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحفكم بطيبات رزقه ، وفضلكم على كثير من خلقه ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه فإن الموت لا بد منه وقد وعظكم الله .

وقال رسول الله ﷺ : « كفى بالموت واعظاً » فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه ، فإنه لا يدري متى يقدم عليه . وأنشدوا :

وللموت سلطانٌ عليك مسلطٌ ... إذا حم لم يصرف بنهى ولا أمر
ودارك إما شقوةٌ أو سعادةٌ ... ومالك من بابٍ إليها سوى القبر
كفى عظة بالموت إنَّ ركابه ... على سفرٍ يهوي إلى حيث لا يدري

رفق ملك الموت بالمؤمن

روي أن النبي ﷺ كان جالساً عند مريض فرأى ملك الموت عند رأسه

---

(١) في الأصل (وقد أبان حزني) ولعله تحريف .

فقال له « يا ملك الموت ارفق بصاحبي » فقال له يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق(١) . فالله الله لا تغفلوا عمن ليس يغفل عنكم ولا تنسوا الموت فإنه لا ينساكم ، وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال وهدانا وإياكم لصالح الأعمال ، إنه الجواد الكريم المفضال .

---

(١) اللهم إجعلنا من المؤمنين المتقين ، وارحمنا والطف بنا وخفف عنا سكرات الموت .

١٢ - مجلس في ذكر القبور

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾ السورة مكية ، التكاثر يعني في الدنيا *

روت زينب بنت جحش عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قرأ قارىء ألهاكم التكاثر يدعى في ملكوت السموات والأرض بمؤدي الشكر لله » *

حكاية في الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان رجل باليمن يقال له يعلى وكان مشركاً ليس له من الدنيا إلا قطيفة تواري عورته ، ويأوي بالنهار إلى ظل شجرة ، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب ، فسمع بخروج النبي ﷺ فأقبل إلى النبي ﷺ وكان شاباً ، ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة[١] يطعم القبضة من العجوة والكسر من خبز الشعير ، وكان لا يفارق مجلس النبي ﷺ حتى تعلم

(١) أهل الصفة ، هم فقراء من المسلمين ليس لهم منازل أقاموا بالمسجد وحرصوا على مجالس رسول الله ﷺ ، وكانت لهم صفة يجلسون عليها فنسبوا لذلك إليها وقد نسب الصوفيون أنفسهم لأهل الصفة وأنكر ذلك عليهم ابن تيمية رحمه الله ، فقال لو كان النسب صحيحاً لقيل (صُفيين) وليس (صُوفيين) .

أربع سور من القرآن فسمع النبي ﷺ يقول « لا فاقة بعد القرآن ، ولا غنى بعد النار » فقال يا رسول الله زوجني ؟ قال « أعندك مال !! » قال عندي أربع سور من القرآن ، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني ، قال النبي ﷺ « صدقت فانطلق إلى بني سلمة ـ حي من الأنصار ـ واستخار الله فأول جارية تستقبلك فهي زوجتك فانطلق الشاب لا يدري إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة ، فقال يا جارية أي حي هذا ؟ قالت بنو سلمة ، قال الشاب الله أكبر أنت أمرأتي تعالي ، قالت ما أسفهك ! قال لست بسفيه ولكن أمرني بذلك رسول الله ﷺ . قالت الجارية إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولكن حتى أسمع منه ، فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي ﷺ فإذا أبوها وأخوها فقالا أين تذهبين ؟ فقالت إن الشاب تعلق بي وزعم أني أمرأته فأنكرت ذلك عليه فقال كذا أمرني رسول الله ﷺ ، فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه ، فقالا سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ فانطلقوا جميعاً حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فتكلم والدها فقال : يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتي ؛ فقال النبي ﷺ : « نعم فزوجه ابنتك على إسم الله وبركته » قال قد فعلت ، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي ﷺ وأصحابه ، فقال النبي ﷺ « يا معشر المسلمين أعينوا أخاكم » فجمعوا له أربعة أواق فضة ، فقال النبي ﷺ « لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان » فقال يا رسول الله قد جعلت أوقيتي لها أيضاً ، فقال النبي ﷺ للشيخ والدها « جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا » قال الشيخ سمعاً وطاعة لله عز وجل ولرسوله ، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله ، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش ، وإلى بساط ممدود ، وإلى زوجة جالسة ، وإلى سراج يزهر ، وإلى طعام قد هيىء له ، فلما نظر إلى ذلك بادر[1] إلى مكان في مجلسه فصلى فيه ركعتين شكراً لله عز وجل لما رأى ، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى

---

(١) بادر : أخذ زمام المبادرة أي المسارعة .

السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته ، ثم جعل يقوم في خلال ذلك فيصلي ركعتين ثم يقوم إلى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم غدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع إلى منزله ، فلما عاين أهله وما هيىء له بادر إلى مسجده فصلى مثل صلاته في الليلة الأولى وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا إلى المسجد فصلى مع رسول الله ﷺ ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلاث ليال فجاء الشيخ في اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه ! فقالت لا أدري ما زوجي ما يعرف غير الصلاة وهو الليل كله يحمد الله ويثني عليه ويصلي ، فجاء الشيخ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال له رسول الله ﷺ « ما منعك من أهلك ! » فقال يا رسول الله تذكرت شأني وكنت مشركاً باليمين لم يكن لي مأوى الأجحر كجحر الكلب آوي إليه الليل والنهار أتبع ظلال الشجر والحيطان حين أخرج من جحري فهداني الله للإسلام وعلمني أربع سور من القرآن فشرح الله صدري بها ونوَّر بها قلبي ، فلما زوجتني هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشاً قط منذ كنت ، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لي سراجٌ قط ، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدى سوري الأربع فزهدني الله فيها وما عندها ، فقال النبي ﷺ « وأي سورة هي ؟ » قال ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف ﴾[1] ثم بكى وبكى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما هدؤوا قال الشاب : يا رسول الله خصني منك بدعوة ، فقال « اللهم أغفر له الكثير ، وأشكره على اليسير ، واغنِه برحمتك » فلم تأت عليه جمعه حتى قيل للنبي ﷺ إن الشاب قد مات ، فقال النبي ﷺ « لا إله إلا الله إذا فرغتم من غسله أخبروني » فأخبروه ﷺ فقال « هنيئاً لك الجنة » ثم سأل زوجته هل نال منها شيئاً ، قالت : لا والذي بعثك بالحق نبياً ما نال مني شيئاً *

---

(١) التكاثر ١ .

حكايات عن الصالحين في الخشية من الله

قال ميمون بن مهران : دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يقرأ ﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾[1] فقال : إنما يزورون المقابر بالموت ، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار *

وقال زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ يقول شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد عن ذكر الله وطاعته ، واللهو ما شغل . وأكثر ما يقال في البطالة ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ بيوتكم . ويقال إن حيين من قريش تفاخراً وتعادداً بالأموات كان منا فلان وكان منا فلان ، ﴿ كلَّا سوف تعلمون ﴾ يقول سوف تعلمون إذا متم ﴿ ثم كلَّا ﴾ يقول ثم كلا سوف تعلمون في قبوركم وهو وعيد مع وعيد فمعنى الأول غير معنى الثاني وليس ذلك بتكرير . قال الفراء : والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف . فهذا من ذلك . ثم قال ﴿ كلَّا ﴾ أي كلا لا يؤمنون بالوعيد ، ثم استأنف وقال ﴿ لو تعلمون علم اليقين ﴾ يقول محض اليقين ، وهو الذي لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم في الآخرة كقوله ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾[2] فالتكرار في قوله تعالى ﴿ لترون الجحيم ﴾ في القيامة إذا برزت ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ إذا دخلتموها . قال الفراء : هذا تكرار التغليظ ويقال ﴿ لترون الجحيم ﴾ أي لترونها رؤية علم ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ بالمشاهدة ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم ، فزعم قومٌ أن الآية في الكفار ، وقال آخرون بل هي على العموم في المؤمنين *

عن إبن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس ، الصحةُ والفراغ » *

---

(١) التكاثر ١ .

(٢) النازعات ٣٦ .

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له : ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد » .

وعن محمود بن لبيد قال : لما نزلت ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ : أي نعيم !! وإنما هما الأسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا . قال « أما إنه سيكون » ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا : الأمن والصحة . مجاهد قال : الخبز والماء والملح . إبراهيم النخعي : من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره . الحسن قال : كانوا يعدون من النعيم في الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى . علي رضي الله عنه : النعيم الرطب والماء البارد . أبو أمامة قال : النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي ﷺ : « طيب النفس من النعيم » أبو الدرداء رضي الله عنه قال : النعيم الشعير والماء العذب . محمد بن علي(١) قال : النعيم العافية . وقال أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ : مرَّ بنا رسولُ الله ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه ، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مرّ بعمر رضي الله عنه فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق بنا رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحبه أطعمنا بسراً(٢) فجاء بعذقْ(٣) فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ثم قال « لتسألن عن هذا يوم القيامة » فأخذ عمر العذق وضرب به الأرض حتى تناثر البسر ، وقال له يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا كسرة تسد بها جوعتك ، وخرقة تلف بها عورتك ، وجحر تدخل فيه من القر والحر »

---

(١) محمد بن علي هو محمد بن الحنفية نسبة لأمه وهو إبن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وأمه كانت من بني حنيفة ، وكان مشهوراً بحبه لأخويه الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ولهما معه وله معهما مواقف ومآثر ومناقب في حسن الخلق وطيب المعاملة ما يربو على الحصر .

(٢) البسر : جمع بسرة ، وهي طور من أطوار البلح وهذه الأطوار هي الطلع والخلال والبسر والرطب والتمر .

(٣) العذق : سباطة النخل .

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله تعالى ﴿ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾[1] قال الله تعالى ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قيل معناها ألهاكم التكاثر في الدنيا بجمع الحطام ، واكتساب الآثام ، والتمادي في الإجرام . وأنشدوا :

أرضيت داراً لا بقاءَ لها تعد الشرور وتنصب الفتنَا
ما يستقيم سرورُ صاحبها حتى يعـودُ سرورُه حـزنَا
عجباً لها لا بل لموطنها الـ ـمغرور حين يعدُّها وطنَا
فـالحمد لله اللطيفِ بنـا ستر القبيحَ وأظهرَ الحسنَا
مـا تنقضي عنا لـه مننٌ حتى يجـدِّد بعدهـا مننـا

يا أخي اشتغلت باللذات ، وافنيت عمرك بالترهات ، وعصيت إله الأرض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والحيرات . فيا له من بيت ما أظلمه ، ومن صندوق ما أغمه . منزل الوحشة ، وبيت الغمة والوحدة . وأنشدوا :

وربما عوقص ذو صحـة أصح ما كان ولم يسقمِ[2]
يا واضعاً للميت في قبره خاطبك القبـر ولم تفهمِ

حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة ، ومنازل الضيق والغمة في ضيق وكربات ، وغم وحسرات ، وأهوال مقطعات . من ظلمات القبور ، وسؤال منكر ونكير ، والخلود في البرزخ إلى يوم النشور ، فانظر لنفسك أيها المغرور ، فإن القبر له شأن يتلوه شئون وأنشدوا :

لا تغرنك الحياة[3] وقدم واحذر القبرَ إنَّ للقبر شانَا

---

(١) الإسراء ٣٦ .

(٢) لم يسقم : لم يمرض .

(٣) سقطت من الأصل (الدنيا) بعد الحياة ، من نسخة عثمان خليل وهذا للتصويب .

إنَّ فيه لمَّا يحاذر ذو اللـ ـب إذا كان ذا تُقى ومعانَا
إنني موقن بما في كتابي عـاجـلاً تسـوني الأكفـانـا
فإذا ما وضعت في ظلمة اللحـ ـد وبدلت من مكان مكانَا
وإذا لم يدركني ربِّي بعفوٍ ألق في القبر ذلةً وهوانَا

صفة القبر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « القبر روضةٌ من رياض الجنة ، أو حفرةٌ من حفر النار ، ألا وإنه ليتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود » الله الله يا إخواني اعملوا لهذا الضيق ، وجدوا في العمل باجتهاد وتحقيق . وأنشدوا :

كأني بإخواني على حافةِ القبرِ يهيلونه[1] فوقي وأدمعهم تجرِي
عفى الله عنّي حين أترك ثاوياً أزار فلا أدري وأجفى فلا أدرِي

فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة ، واعملوا ليوم النقلة ، واستعدوا لظلمة القبر ما دمتم في فسحة ومهلة ، ولا تقطّعوا أيامكم بالمحال ، وجنبوا أعماركم سوء الفعال ، فإن الموت نازلٌ بكم ، والقبرُ أمامكم . وأنشدوا :

إني أبثـك من حـديثي والحـديث لـه شـجـون
ضيعت مـوضـع مضجعي وقتـاً ففـارقني السكـون
قـل لـي فـأول لـيـلة في القبر كيف ترى أكون ؟ !

أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتي على الميت في قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه ، فمن تفقد ميته في أول ليلة بشيء من الصدقة ، وإلا فليصل ركعتين

---

(١) يهيلونه : يرسلونه .

وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميته ما يجد من الغم والوحشة ، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها . وأنشدوا :

بـــالله يـــا عينُ بـــوحي وابـكـي عـــليَّ ونـــوحِـي
غـــداً أُوسَّـــد قـــبـــري غـــداً أزور ضـــريـــحِـــي
غـــداً نـــزوح[١] الأحـبـــة وتـمـنـعـي أن تـــروحِـــي

ذكر أن الميت إذا وضع في قبره وقال المشيعـون : إنصرفـوا آجركم الله يقول الميت ـ إن كان من أهل الشقاء ـ يا ليتني مع من انصرف لعظم مـا يعاين من هول المطلع . يا أحبابي فإذا كان لأحدكم بيت ولم يبسط فيه علي ما يجلس جلس على التراب والأرض ، كذلك من لم يقدم لقبره عملاً صالحاً لنفسه بقي مستوحشاً وحيداً فريداً في رمسه . وأنشدوا :

أنـــا فـــي القـبـــر رهيـنٌ قـــد تبـــرَّأ الأهـــل مِنّـي
أســـلمـــونـــي بـــذنـــوبـــي خبت[٢] إن لم يُعفَ عنّي
فـــارحـــم اليـــوم مـشيبـي وارحـــم اللـهـــمَّ سـِنّـــي
وارحـــم اللـهـــم ضـعـفِـي لا يخيب اليـــوم[٣] ظنّي

عظة للنبي ﷺ

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان النبي ﷺ يعظنا أحياناً فيقول « تجهزوا لقبوركم فإن القبر ينادي كل يوم سبع مرات فيقول يا ابن آدم الضعيف ارحم نفسك في حياتك قبل أن تلقاني ، فإنك إذا لقيتني وكنت عاملاً بطاعة مولاك رحمتك ورأيت مني السرور ، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك ، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة ، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة ، أنا بيت العطش مع الظلمة ، أنا بيت الضيق مع العقارب يا

(١) نزوح : مغادرة .
(٢) في الأصل (حيث أن لم يعفوا عني) وهي صح أيضاً ، مثلها مثل (خبت) .
(٣) في الأصل (لا تجيب اللهم ظني) وهو تحريف .

ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فإن ممرك عليَّ وأنا أول منازلك إلى الآخرة ، فإن نجوت مني نجوتَ من كلٍّ شدة تتخوف منها ، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاباً لشبابه ، ولا صغيراً لصغره ، ولا كهلاً ولا شيخاً لكبره ، ولا أرحم إلا من رحم نفسه . وأنشدوا :

عجبت لِمن يتم له السرورُ بدارٍ كل ما فيها غـرورُ
وكيف يلذُّ ساكنُها بعيشٍ ويعلم أن مسكنـه القبورُ

يا ابن آدم لقد خلقت لأمر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك ، ولبان خشوعك ، وثارت دموعك ، خوفاً من القبر ووحشته ، ومن اللحد وضغطته ، ومن هول المطلع وروعته . فامهد[1] لنفسك يا مسكين بينما أنت حي وبينما يقبل منك (كل) شيء قبل طي الكتاب ، وغلق الباب ، ونزول الحجاب ، والرحيل إلى التراب . وأنشدوا :

لا تاتمن وإن أمسيت في حرمٍ إن المنايا تفاجىء كلَّ إنسـانِ
وأسلك طريقك واثبت غير منحرف حتى تلاقي الجزا من عند رحمنِ
فكل خل وإن أشفقت تتـركه وكـلُّ مـالٍ وإن أكثـرتـه فـانِ
والخير والشر مقرونان في قرن بكـل ذلك يـأتيـك الجـديـدانِ

ففكروا رحمكم الله في أحبابكم وجيرانكم وأصحابكم وأخوانكم وآبائكم وأمهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب ، وذوي المودة والأجانب . قد استوحشت من أنفسكم الديار ، وانقطعت بينهم الآثار ، وبقوا رهناً في الأجداث[2] بالأوزار . قد هجرهم الحبيب وسلاَ عنهم القريب ، قد ضيقت عليهم اللحود ، وسالت عيونهم على الخدود ، وتمزقت عنهم الجلود ، ودبت في أجسادهم الهوام والدود ، وبقيت أرواحهم في البرزخ[3] إلى اليوم الهائل

(١) (فامهد) هكذا وردت في الأصل والأصح أن يقول مهد .

(٢) الأجداث : جمع مفرده جدث وهو القمر .

(٣) البزخ : هو الحاجز بين شيئين ، وهو ما بين الدنيا والآخرة ويسمى الحياة البرزخية .

الموعود . لم ينفعهم ما جمعوا ، ولا حصَّنهم ما بنوا وشيدوا ، ولا منعهم كلما صنعوا . صارت القبور لهم قراراً وفرت الأحباب عنهم فراراً . فانتبهوا يا معشر الإخوان ، واجتهدوا في طاعة الرحمن من قبل مفارقة الأحباب والأوطان . وأنشدوا :

هي الأحداث تطرق أو تعاد ... وكل للمنية في مهادِ
وما يبقى الحمام إذا يوافى ... شديد البطش جبار القيادِ
فكم أسرى إلى ليث هصور[1] ... وجبارٍ من الأجناد عادِ
فقل لأخي السلامة عش ملياً ... فإن الكون داعية الفسادِ
وكن في العمر لقمان بن عاد ... وهاك حمامَ لقمان بن عادِ
فإن المرء في أيدي المنايا ... أسيرٌ ما له منهن فادِ

العبرة بالقبور

يا أخي إذا أردت أن تدري كيف حالك من بعدك فاخرج إلى القبور وأنظرها وقد عَفَت ، ومثِّل قبرك بين القبور . ثم أنظر ماذا تحتاج إليه في قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو العمل الصالح ، فإما ما سوى ذلك فما لك حاجة في شيء من أمور الدنيا فإنه يصير عليك وبالاً في قبرك وحسرة ، وأنظر حالك الذي أنت عليه إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه ، وإن كان لا يصح لهذين فتب إلى الله تعالى منها وأرجع إلى ما يصلح . وأنشدوا :

كم تناسى القبور يا مغرور ... حفر ما بها لعاص سرورُ
وتعامى عنها وأنت تراها ... ورحاها على الأنام تدورُ
فاتق الله حق تقواه واحذر ... كلَّ هول يخافه المقبورُ
ودع اللهوَ والبطالةَ واعمل ... للتي عاجلاً إليها تصيرُ

(١) ليث : أسد .

تلك دار البقاء فكلُّ تقيٍ في رُبَاها مكرَّمٌ محبورُ
ولعاصٍ مصر إن لم تنله رحمةُ الله مبعدٌ مثبورُ(١)

دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين إذا خرج إلى القبور لا ترقأ(٢) دمعته ولا يأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول . ترى يا أحبائي ما لقيتم في بيوت الحسرات ، آنس الله غربتكم ، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم ، وهوَّن ما قدَّر عليكم مولاكم إنه سميعٌ قريبٌ نعم المولى ونعم النصير . ثم يأخذ في البكاء والنحيب . فالله الله أبكوا قبل أيام البكاء ، واندبوا قبل يوم الأسى .
وأنشدوا :

لاهٍ بدنياه والأيام تنعاهُ والقبر غايته واللحدُ مأواهُ
يلهو ولو كان يدري ما أُعِدَّ له إذاً لأ حزنه ما كان ألهاهُ
أو ما جنت يده لو قد تَعرَّفه ويلاه مما جنت كفَّاهُ ويلاهُ

اعلموا عباد الله أن القبور على الأموات توابيت مقفولة ، والأعمال في أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشي إلى الجنة أو النار محمولة .
وأنشدوا .

يا أيها الرجل المزخرف قبره ولعلَّه في جوفه مغلولُ
يا أيها الرجل المقيمُ بمنزلٍ فيه الحوادثُ ما أقامَ نزولُ(٣)
ألَّا يغرك ملكه ونعيمه فالملك يفنى والنعيمُ يزولُ
وإذا حملت إلى القبور جنازةً فاعلم بأنك بعدها محمولُ(٤)

(١) مثبور : هالك .
(٢) ترقأ : تجف .
(٣) نزول : أي نازلة به إذا حلت .
(٤) هذه الأبيات فيها من السذاجة والبساطة ما يجعلها أقرب إلى النثر منها إلى الشعر .

يا إخواننا مضى الأخوان ونحن على آثارهم فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قد عميت أبصارنا عن حقائق الأمور ، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور *

حكاية عن الأصمعي

يحكى عن الأصمعي رضي الله عنه إنه قال : مررت بأعرابي وهو واقف على مقبرة فقلت له يا أخا العرب ما هذا الموضع الذي أنت فيه ؟ فقال :

هـذي منـازلُ أقـوامٍ عهـدتهم ... في رغد عيش نفيس ما له خطرُ
صاحت بهم نائباتُ الدهر فانقلبوا ... إلى القبورِ فلا عينٌ ولا أثـرُ

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ما للفرح إليه سبيل ، والقبر يناديه كلَّ يوم يقول له لا بُدَّ لك مني فماذا قدمت لي من عمل صالح ؟ وأنشدوا :

أجـارُ الـدهـرِ ليس لـه جـوارُ ... وحسن الـظَّنِّ بـالـدنيـا اغتـرارُ
إذا مـا رمت يومـاً كان يـومـاً ... ونقص البـدر غـايتـه السـرارُ
ودع حرص الجبان على حياةٍ ... وأجمـل إنَّ عُمـرَكَ مستعـارُ
وذو الآمـال منهـا في غمـارٍ ... وعند الموت ينكشفُ الغمارُ[1]
ويـرجو المـرء أن يبقى سليماً ... ويـأبى الليـلُ ذلـكَ والنهـارُ
وهل تخطي المنيةُ نفسَ حيٍّ ... وهـاديـهـا رواحٌ وابـتـكـارُ

حكاية عن الحسين

قيل كان الحسين رضي الله عنه إذا رأى القبور قال : ما أحسن ظواهرها وإنما الدواهي في بطونها . فالله الله عباد الله لا تشتغلوا بالدنيا فإن القبر بيت العمل ، فاعملوا ولا تغفلوا وأنشدوا :

يـا من بـدنيـاه اشتغـلْ ... وغـرَّه طـولُ الأمـلْ

---

(١) وهذا معنى قوله تعالى : ـ ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ .

الـمـوت يـأتـي بـغـتـةً والقبـرُ صندوقُ العمـلْ

أخي : لو رأيت الميت في قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده بعد طول الأنس بناحيته ، ولو رأيت (كيف) تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلاء الأكفان بعد حسن الهيأة وطيب الريح ونقاء الثوب . وأنشدوا :

باتوا على قلل الأجبال[١] تحرسهم غلب الرجالُ فلم تنفعهم القللُ
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم واسكنوا حفراً يا بئس ما سكنُوا[٢]
ناداهم صارخٌ من بعد ما دفنوا أين الأسِـرَّةُ والتيجـانُ والحللُ
أين الوجوهُ التي كانت محجبةً من دونها تضرب الأستارُ والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدودُ يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما نعموا فأصبحوا بعدَ طولِ الأكل قد أكلوُا

فيا معشرَ الشباب ، تأهبوا للغدو إلى التراب ، فإن الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فإنه يمهد للقبر . وأنشدوا :

مـا لـلشيـوخ ولـلغـدِ وإلى الـمـلاهـي والـبـكـور
وهـم غـداً أو قـبـلـه أو بعـده حشـو القبـور

نداء القبر لساكنيه

عباد الله ، ما من أحد لا مؤمن ولا فاجر إلا وقبره يناديه بكرةً وعشيةً إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور ، فمن فكر فيه وفي وحشته ، وضيقه وغمته ، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها ، وأبد له الله خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله ، وجعل القبر خيراً من داره فأكثروا ذكره في الآناء

---

(١) قلل الأجبال : قممها وأعاليها .

(٢) (ما سكنوا) مخالف لما ورد الروي عليه من اللام وليس النون ولو أنه قال (ما عملوا) لاستقام الوزن والقافية .

والأوقات ، وأطيعوا جبار الأرضين والسموات ، عساه يجعله لكم روضةً من رياض الجنات ، ويقيكم فيه الذلَّ والحسراتِ . وأنشدوا :

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها ... لله دركَ مـاذا تستــر الحفــرُ
ففيهم لـك يا مغـرورُ موعـظةٌ ... وفيهم لـك يـا مغـرور معتبرُ
كانوا ملوكاً تواريهم[1] قصورُهُم ... دهراً فوارتهم من بعدها الحفرُ
الـدودُ يـأكـل أقـوامـاً منعمـةً ... نعم ومن دونها الألواح والمَدَرُ
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط ... هيهات ضلَّت وحارت فيهم الفكرُ

بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوماً إلى القبور وجعل ينظر إلى امتداد القبور ويفكر في الأحباب والإخوان ، والأصحاب والجيران . ثم بكى حتى طال بكاؤه وبلَّت دموعُهُ لحيتَهُ ثم جعل يقول :

زرنـا منازلَ قـومٍ لا يزورونَـا ... إنـا لفي غفلةٍ عما يقـاسـونَـا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم ... جدوا الرحيل فقد آوي المقيمونَا
المـوت أحدق بـالدنيـا وعزتهـا ... وفعلنـا فعل قـوم لا يموتـونَـا
فابكوا كثيراً فقد حق البكاءُ لكم ... فـالحاملون لعـرش الله باكـونَـا

فالله الله جدُّوا في العمل فإن القبر أمامكم ، والموتَ يطلبكم يفرق ما جمعتم ويخرب ما قد بنيتم بقطع الأنفاس ، وينقلكم إلى ضيق اللحود والأرماس ، فمن قدم إلى القبر عملاً صالحاً وجده روضة من رياض الجنان ، ومن لم يكن له عملاً وجده حفرة من حفر النيران ، فاستعدوا له يا معشر الأصحاب والإخوان *

روي عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال : مررت بالمقابر فإذا مكتوب على قبر :

---

(١) تواريهم : تخ[illegible]م وتغ[illegible]م .

تمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني
وذو الميراث يقتسمون مالي وما يألون[1] إن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وراحوا فيا لله أسرع ما نسوني !

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور . وطاعة الشيطان المثبور ، واعملوا لضيق اللحود والقبور .

حكاية عن أحمد بن أبي الحواري

حكي عن أحمد بن أبي الحواري رحمه الله أنه قال : خرجت يوماً للقبور فذكرت الموت في نفسي والبلاء فرأيت شاباً بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له من أين أقبلت أيها الفتى ، فقال . من هذا المبرز[2] ، قلت وأي شيء قلت لهم ، قال : قلت لهم متى ترحلون ؟ ، فقالوا حين تقدمون ! . ثم ولى عني وهو يبكي فتبعته فقلت له أين تريد ؟ فقال ألتمس العيش ، فقلت له كيف تلتمس العيش بين القبور ! ، فقال وأي شيء هو العيش عندكم ؟ قال المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان ، فولى عني وهو يقول : أف لعيش يعقب أحزاناً ، وندامة وأشجاناً . فقلت وأي شيء هو العيش عندكم ؟ قال إنما العيش عندنا هو الإقرار بتوحيد الله ، والوقوف بفناء الله ، والخضوع بين يدي الله والتلذذ بحلاوة مناجاة الله ، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد قلت له أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشتاق إلى لقائه ؟ قال إذا نزع الله حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه بين خلقه . فحينئذ يشتاق إلى لقائه ؟ قال قلت له أخبرني عن غاية الزهد في الدنيا ، قال ترك الحلال حتى لا يقع في الحرام ، قال قلت أخبرني عن غاية الرضا بالله تعالى قال إذا كنت

---

(١) ما يألون : ما يحلفون من يمين ، ولم يأل : لم يقصر .
(٢) المبرز : المكان يبرزون فيه .

راضياً بكل ما قدر الله تعالى وقضاه ، وأحكمه وأمضاه ، وأنه هو المتفضل ، على المتقين بفضله ، والخاذل لمن شاء بعدله ، قلت له أخبرني عن غاية العبادة ؟ قال تجمع الهموم فتجعلها هماً واحداً حتى يستوي عندك العمران والخراب ، وتكون خائفاً من الله تعالى كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قلت له كيف النجاة من مخالفة الناس ؟ قال إنما الناس رجلان عاقل وجاهل ، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، وقام مجتهداً بطاعة ربه فهو لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك ، وأما الجاهل فلا يبالي كيف ما كان عليه . فعليك بالبراري والقفار ، والإستئناس بالواحد القهار ، قلت فمن أين القوت ؟ قال تهرب إلى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه ، ويضيعك حتى تتهمه في رزقك إنه رؤوف رحيم لا يسلمك . ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لي فما رأيت أنور قلباً منه . ووجد على قبر مكتوب :

تناجيك أجداثٌ وهنَّ سكوتُ ... وسكانها تحت التراب خفوتُ
فيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغةٍ[1] ... لمن تجمع الدنيا وأنتَ تموتُ

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فإن القبر لا يرحم من ليس له عمل ، ولا يشفق على من غرَّهُ طول الأمل ، ولا يحن على من ضيع أيام المهل . وأنشدوا :

ما حالَ من سكن الثرى ما حالهُ ؟ ... أمسى وقد صرمت[2] هناك حبالُهْ
أمسى ولا روحُ الحياةِ تصيبه ... يوماً ولألطف الحبيب ينالُهْ
أضحى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصالُهْ[3]
واستبدلت منه المحاسنُ غبرةً ... وتقسمت من بعده أوصالُهْ[4]
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والمالُ يذهب صفوه وحلاَلُه

(١) غير بلاغة : فوق ما يتبلغ به أي فوق كفافه .
(٢) صرمت حباله : تهتكت وتقطعت .
(٣) أوصاله : عروقه .
(٤) أوصاله الثانية ربما قصد بها معنى آخر مثل مآربه .

عيسى والمدينة الخربة

روي أن عيسى بن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى يا خراب الأخر بين أين أهلك ؟ فأجابه شيء من آخر القصر ، يا ابن مريم بادوا . فاجتهد ولا تفرط ، فإن العظام قد بليت وبقيت أعمالهم في رقابهم . وأنشدوا :

قف بالقبور[١] وقل على ساحاتها ... من منكم المغموم في ظلماتِهَا
ومَنْ المكرم منكم في قفرِهَا ... قد ذاق برد الأمن من روعاتِهَا
أما السكون لدى العيون فواحدٌ ... لا يستبين الفضلَ في درجاتِهَا[٢]
لـو جاوبـوك لأخبـروك بـألسنٍ ... تصف الحقائق بعد من حالاتِهَا
أما المطيعُ فنازلٌ في روضـة ... يفضي إلى ما شاء من راحاتِهَا
والمجرمُ الطاغي بهـا متقلبٌ ... في حفـرةٍ يأوى إلى حيَّـاتِهـا
وعقـاربٌ تسعى إليـه فـروحـة ... في شدة التعذيب من لذعاتِهَا

عباد الله ما لكم لا تفيقون من غفلاتكم ، وتنتهون من نوماتكم ، وتصحون من سكراتكم وتملون من شهواتكم ، وتدعون الكثير من لذاتكم . وتذكرون هول المقابر ، والمصير إلى ضيق الحفائر ، فإن ملك الموت لا يأتيكم إلا على ألذ ما تكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم فبادروا قبل مبادرته بكم . وأنشدوا :

بنـاء الفتى في لهـوه وعنـائـه ... متبختـر يختـال فـي لـذاتـه
قـد غـره الأمـل الـكـذوب ... فهمه في كل ما يدنيه من شهواته
إذ جاءه ملك النفوس بسكـرة ... تركَه ملقى الجسم بين ثقـاته
فتقـطعت أسبـابـه وتـخـرمت ... وتنكـر المعروف في حـالاتـه
لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى ... شقَّ الجيوب عليه حين وفـاته

---

(١) في الأصل (القصور) وهو خطأ لأن المقام هنا للقبور لا للقصور.

(٢) أي كلهم سواسية.

ابن عباس وابن الخطاب

ذُكر في بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم قتل فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، قال بماذا ؟ قال آمنت برسول الله ﷺ حين كفر به الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، ومات رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك إثنان ، وقتلت شهيداً . فقال له عمر رضي الله عنه : أعد عليَّ ما قلت ، فأعاد عليه فقال : والذي لا إله غيره لو أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت لاقتديت به من هول المطلع فإذا كان هذا قول عمر رضي الله عنه إمام السنة ، وحبيب الأمة ، وسراج أهل الجنة في الجنة ، قال هذا عند الفراق والإنقطاع وأشفق من هول المطلع ، فكيف بأهل اللهو واللعب ، والبهتان والكذب ، أمثالنا الذين قطَّعوا أعمارهم في الذنوب ، وأفنوا أيامهم في معصية علاَّمِ الغيوب ، وغفلوا عن القبور ، ولم يتفكروا في هول يوم النشور ؟! والله أعلم وأنشدوا :

أراني كلَّ يوم في انتقاص ... وبعد لا يزول وطول هجرِ
وأيامي تمر بغير شيء ... وعمر المرء في الأيام يسري
ألا خطوا على قبري كتاباً ... وقولوا قبر ذي ظلمٍ وغدرِ
أتى الدنيا وفارقها فقيراً ... وكل فتى على ذا النهج يجري
وقولوا حين أدفن أيَّ عبدٍ ... أتى مولاهُ في ذلٍّ وفقرِ

حكى عن داود الطائي رحمه الله أنه مرَّ على أمرأةٍ تبكي على قبرٍ وهي تقول :

عدمت الحياةَ ولا نلتها ... إذا أنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لذيذَ الكرى ... وأنت بيمناك قد وسَّدُوكا

قال داود : فلمَّا سمعت تذكرت في الأحباب والأخدان ، والأصحاب والأخدان ، لا يرى لهم آثار ، ولا على الأرض منهم ديار :

أمرُّ على القبور وأرتقيها كأني ليس لي فيها حبيبُ
وأكره أن أسائلها فإني أراها حين تسأل لا تجيبُ

عظة نفسية

عباد الله ما مضى من مضى إلى القبور الحالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذي بقى من أعماركم ثم تنتبهون إلى القبور، وتخرجون من سعة القصور والدور. والحمد لله يا معشر المؤمنين وجماعة إخواني المسلمين جدوا واجتهدوا، وبالعمل الصالح فاستعدوا، وقدموا لأنفسكم ما تجدوه في المقابر، وابكوا عليها قبل حلولها في الحفائر. وأنشدوا:

لكل أناسٍ مقبرٌ بفنائهم فهم في انتقاصٍ والقبور تزيدُ
وفي محشر الموتى أمام قبورهم فما منهم من للحياة يعود

وأنشدوا:

المرء رهنُ مصائبٍ لا تنتهي حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤخرٌ يلقى الردى في أهله ومقدمٌ يلقى الردى في نفسه[1]

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك، وتذكر أهلك وجيرانك، وتذكر أحبابك وأخدانك أين الذين كانوا لك في الدنيا أحباباً، وفي أيام حياتك أصحاباً؟ صحبتهم وصحبوك، وذهبوا عنك وتركوك، وأوحشوا الأهل والأحباب، وفارقوا القرابة والأصحاب، قد ضمت أجسادهم المقابر، وغيرت أبشارهم[2] الحفائر، وبقيت أرواحهم تنتظر يوماً تبلى فيه السرائر فمنهم من يجازى بنعيم وخلود، ومنهم من يردُ النار وبئس الورد المورود، أين لقمان بن عاد، أين ثمون وشداد، أين فرعون ذي الأوتاد، وأين من

(١) الردى: الهلاك والموت.
(٢) أبشارهم: جمع بشرة أي الجلد.

طغى في البلاد وأظهر فيها الفساد ، ذهبت[1] والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد . تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر ، وأين الطغاة الجبابر ، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر حوَّلتهم والله النوائب إلى الحفائر ، وبقوا مرتهنين بأعمالهم في ظلمات المقابر ، ونزلوا على ما قدموا من ذخائر الأعمال قد قطعت الديدان أوصالهم ، وغير البلاء أحوالهم . قد سالت العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتاً للهوام والدود ، وقسمت من بعد دفنهم في التراب أموالهم ، ونكحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا :

هل كان قبلك للذات مرتاحاً ... لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحَا
لله عبد جنى ذنباً فأحزنه ... فظل حيران يذري الدمع سفاحَا[2]
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به ... فرب دمعٍ جري للخير مفتاحَا
ورب عين رآها الله باكيةً ... خوف القبور ستلقى الرُّوحَ والرَّاحَا
مستعبرُ قلقٌ مستيقظٌ فطنٌ ... كأنَّ في قلبه للنورِ مصباحَا
يا صاحبيَّ دعا[3] التسويف ويحكما ... واستبدلا بفساد الدين إصلاحَا
لا تأمنن وقوع الموت إنَّ له ... لأنفساً من جميع الخلق مجتاحَا
إن لم يبيتهم ناداهم سحراً ... وإن تأخر عن تبكيرهم راحَا
لا يترك الموت بيتاً حشوه فرح ... إلا أعاضهم ذلاً وأترَاحَا[4]
أهلِ القبور أبينوا عن قبورِكم ... هل تستطيعون لي بالرد إفصاحَا[5]
ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم ... لما فقدتم من الأجساد أرواحَا

(١) ذهبت: هلكت وانصرمت.
(٢) سفاحاً : مسفوحاً .
(٣) دعا : أي إتركا .
(٤) الأتراح : الأحزان .
(٥) هذا البيت غير مستقيم ولو أنه قال : -(لو يستطاع لنا بالرد إفصاحاً) لاستقام .

يعــزز عليَّ بــأبــدان منعمــة أمسى بها الدودُ جوَّالاً وسواحَا
الناس في غفلة عما يراد بهم من كان ذا بصرٍ فالصبحُ قد لاحَا

حكاية عن إبن السماك

حكي عن إبن السماك رحمه الله أنه حضر يوماً جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لأصحابه معشرَ الإخوان ألا متأهب لموت يوصف له ويراه أمامه ، ألا مستعد ليوم فقره ونزوله إلى حفرته وقبره ، ألا شاب عازم قد بارز لمنيته ، ألا من ليس يغيره شباب متنه ولا شدة قوته ، إلا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السَّيرَ فيما بقي من رمقه ، ماذا ينتظر من دَفَنَ أباه ، وقرَّ أمَّه وأخاه ؟ ما فرح من القبر مأواه ؛ والتراب فراشه وغطاه . وأنشدوا :

ألا إنمـا الـدنيـا بـلاءٌ وفتنــةٌ وبينا الفتى فيها مهـابٌ مسوَّدُ
إذا انقلبت عنـه وزالَ نعيمُهـا فأصبح من تربِ القبورِ يمهدُ
فكن خائفاً للموت والقبر بعده ولا تكُ ممن غره اليوم أو غدُ

حكي عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال : دخلت على مريض وهو في شدة السكرات فقلت له كيف تجدك ؟ فبكى ثم قال :

رحلتُ عن الدنيا وقامت قيامتي غـداةَ أقـلَّ الحـاملون جنـازتي
وعجل أهلي حفرَ قبري وصيَّروا خروجي وتعجيلي إليه كـرامتي
كأنهم لم يعرفـوا قطَّ صورتي غداةَ أتى يومي عليَّ وساعتي

إخواني ما هذا لمن مضى ، بل والله لمن مضى ولمن بقي ، لا بد من القبر ووحشته ، ومن الموت وسكرته ، فانظروا لأنفسكم ما دام النظر ينفعكم ، وتفكروا في وحشة القبر ما دام التفكر يباح لكم ، من قبل وقوع

السكرة ونزول الحسرة ، وحيث لا تقال العثرة . فإن الأيام غرور ، وهي طريق إلى القبور . وأنشدوا :

ما للمقابِر لا تجيب إذا دعاهن اللبيبْ
حفر يسترفوقهن من الجنادل والكثيبْ
فيهن أطفالٌ وولـدانٌ وشبانٌ وشيبْ
كم من حميمٍ لم يكن نفسي بفرقته تطيبْ
غادرته في بعضهن مجندلاً وهو الحبيبْ

حكاية عن بعض الصالحين

حكي أن رجلاً من الصالحين رحمه الله حضر جنازة ، فلما وضعوها في قبرها وانصرف أهلها ، وقف على قبر صديقٌ له فناداه يا حبيب . يا فلان الصديق فلم يجبه أحد ، فأنشأ يقول :

أحبيبُ مالك لا تجيب منادياً أنسيت بعدي جملة الأحباب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل[٢] وترابِ
أكل الترابُ محاسني ونسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أحبابي
فعليكم مني السلام تقطعت مني ومنكم عقدةُ الأنسابِ

يا مسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم وأحبابكم وجيرانكم وأصحابكم فاعتبروا[٣] بهم وعظوا أنفسكم وأبكوا طول حياتكم ، أيام وحشتكم ، وبعد رقدتكم ، وطول غربتكم وإنفرادكم في قبوركم ووحدتكم ، فعسى الله مولاكم

(١) أقال العثرة : أفاق وقام من سقطته وكبوته .
(٢) جنادل : صخور .
(٣) اعتبروا بهم : من الإعتبار .

أن يرحمكم فيؤ نسكم فيها بأنس كرامته ، وينورها بنور مغفرته ، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة ، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة ، إنه المنان الكريم ، المتفضل الرحيم *

موعظة إبن عباس

روي عن إبن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إرحم ما يكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره ، وتفرق الناس وأهله ، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة . وما من يوم إلا والأرض تنادي بخمس كلمات ، يا ابنِ آدم تمشي على ظهري ومصيرك إلى بطني ، يا ابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكي في بطني ، يا ابن آدم تفرح على ظهري وسوف تحزن في بطني ، يا ابن آدم تذنب على ظهري وسوف تعذب في بطني ، يا ابن آدم تأكل الحرام على ظهري وسوف يأكلك الدود في بطني ، يا ابن آدم كم من محسود في حياته يود إذا نزل في حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لأعدائه وحساده . فكم من تارك لعياله ما يصلحهم لمعادهم ويكون هو في قبره أو في رمسه مثبوراً . وأنشدوا :

أخلق الموتُ جدَّتي ومحا حسني البلَى
صرت بين النعيم في منزل البعد والقِلَى[1]
وجفاني أحبتي حين غيبت في الفلاَ

يا أخي تفكر في تلك الأكفان . وتغير الروائح وصولة الديدان ، ونهش العقارب والحيات ، والكون تحت أطباق الثرى والظلمات . وأنظروا إلى أحبابكم في بسط الأرماس ، كيف عدموا الأناس والحرَّاس ، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الأنفاس وأنشدوا :

أتعمى عن الدنيا وأنت بصيرُ وتجهل ما فيها وأنت خبيرُ

(١) القلى : البغض والجفاء .

وتصبح تبنيها كأنك خالدٌ لقد كان فيما قد بلوت[1] نذيرُ
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن يخبرنا أن البقاءَ يسيرُ
فدونك فاصنع كلما أنت صانعٌ فإن بيوتَ المتقين قبورُ

حكاية عن الحسن البصري

يحكى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت في لحدها فقال : يا لها من موعظة بليغة لو صادفت قلوباً حية ، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذي نسب فرحاً . ثم أشار إلى امتداد القبور فبكى وقال : هؤلاء أهل محلة قد كفي من جلس إليهم شرهم ، وإن ترحم عبد عليهم وصل إليهم ما ترحم به . عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فإنما هم إخوانكم تقدموا وأنتم في الأثر . أيها المتخلف من بعد أخيه أنت الميت من بعده غداً والباقي بعدك هو الميت في أثرك ، الأول فالأول حتى يتوفوا جميعاً فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعاً في سكراته ، وحللتم جميعاً في القبور إلى يوم النشور . فالله الله تفكروا في طول البلاء في ظلمات بين أطباق الثرى . وأنشدوا :

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنك لا تظن الموت حقّاً
أيا إبن الذين فنوا وبادوا أما والله ما بادُوا وتبقَى
وما أحدٌ بزادك منك أحصَى وما أحدٌ بزادك منك أشقَيَ
ومـا للنفسِ عنـدك مستقـرٌ إذا مـا استكملت أجلاً ورزقـاً

تفكروا في الملوك العتاة ، والجبابرة والطغاة ، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها ، وسكنوا المشيد من قصورها ، كانوا أشد منكم قوة وآثاراً ، وأقوى أجساماً وأطول أعماراً خلفوا ما كسبوا للأهل والأحباب ، وعمر ديارهم من بعدهم الأصحاب ، وانصرم عنهم الليل والنهار ، ونزلوا على ما

---

(١) بلوت : من الإبتلاء أي اختبرت .

عملوا من الأوزار ، فلو أبصرتموهم بعد قليل في ظلماتِ القبور وقد تقطعت منهم الجلود ، وتمزقت الخدود ، وضيقت على أبدانهم اللحود ، واتخذ الخليل من بعدهم خليلاً ، وصارت أبدانهم للدود مقيلاً . فتفكر يا أخي وكن إلى التوبة مسرعاً عجولاً ، ولا تطع الشيطان إنه كان للإنسان خذولاً ، وكونوا أولياء الرحمن ولا تكونوا أولياء الشيطان ، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران ، ويدخلكم برحمته الجنان . وأنشدوا :

إعمل لمثواك في الضريح ... واندم على فعلك القبيحِ
ولا تقصر وفيك روحٌ ... فسوف تبقى بغير روحِ
واقرح[1] الخد من دموع ... بالجد من قلبك القريحِ
والتمس الصفح قبل يوم ... تنقل فيه إلى الصفيحِ[2]
يا نفس إنِّي غداً طريح ... والترب يحثى على الطريحِ
نوحي فلو قد حواك قبر ... لم تقدري فيه أن تنوحِي

أحبابي قوموا بنا إلى الحزن والبكاء وإلى طول الأسف والأسى ، لعل الله يرحمنا في ظلمات القبر وعسى ، فإن القبر ينادي في الصباح والمسا *

قيل وقف بعض الصالحين في المقابر وأنشأ يقول :

أغضاب أحبابنا أم رقود ... فإلى كم يكون هذا الصدودُ
إن تكونوا قوماً نياماً فهبوا ... كم تناموا عنَّا ونحنُ قعودُ
أو تكونوا هجرتمونا بذنب ... كان منَّا فإننا لا نعودُ

حكي عن بعضهم رضي الله عنه أنه قال : مات لي صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة ، فرأيته بعد موته في المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول :

---

(١) القرح : الجرح .
(٢) الصفيح : صخور القبور .

أنـا لكم إخـوتي نـذيـر   من هول ما ضمت القبورُ
عـاينت مـا لم تعـاينـوه   وإنـمـا يبتلي الـخـبـيـرُ
إنَّ الذي حلَّ بي جليل   جـداً فقد أُعـذِرَ النـذيـرُ
فـإنمـا أنت في غـرورٍ   فـلا يـغـرنَّـك الغـرورُ
فـإن قـدامـك المنـايـا   والقبـرُ والبعثُ والنشـورُ
إمـا إلـى جنـة وإمـا   إلى جحيم لهـا سعيـرُ

فالله الله يا معشر الإسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام ، فإن أمامكم وحشةَ القبور بعد سكرات هول الحمام ، فمن ضيع في البطالة ، والجهالة أيامه ، وكثرت في صحيفته أوزاره وآثامه فمقام الحسرة غداً في القبر مقامه . وأنشدوا :

أبصـر وتب يـا رجـلُ   قـد أزف الـتـنـقـلُ
إلـى محـل (ضيِّقٍ)[1]   تـذهـب فيـه الـحيـلُ
مـالـك فيـه مـؤنسٌ   إلا الـتـقـى والعـمـلُ
أي غـلامٍ قـام فـي   مـحـرابـه يبـتـهـلُ[2]
يـقـولُ في سـجـدتـه   ودمـعـه يـنـهـمـلُ
يـا ظاهـر يـا بـاطن   يـا مـالـك لا تعجـلُ
إغـفـر ذنـوبي كـلهـا   فـشـأنـك الـتـفـضـلُ
وتـب علـيَّ تـوبـة   فـهي الـمـنـى والأمـلُ

نبَّاش القبور

روي عن سعيد بن جبير[3] رضي الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس

---

(١) سقطت كلمة (ضيق) من الأصل وزادها عثمان خليل لاستقامة المعنى .
(٢) يبتهل : من الابتهال وهو التضرع والدعاء .
(٣) من السلف الصالح الذين قتلهم الحجاج بن يوسف الثقفي لعنه الله .

في مجلس ابن عباس رضي الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال : يا ابن عباس : ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى يا ابن عباس: ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل . قال ثم خرج . فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له : يا ابن عباس إن هذا الفتى نبَّاشٌ وإنما يتستر(١) بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم . قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وألمسه بكفي . فقال له الرجل إن شئت لأرينك ذلك . فقال قد شئت . فلما هجم الليل إذا الفتى قد أقبل وفي يده اليمنى قنديل وفي اليسرى غلٌّ حتى توسط المقابر ، ثم رمى بطرفه شاخصاً وقال : سلامٌ عليكم أهل مضايق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم ، وما أوحش طريقكم ، فليت شعري ما حالكم أرتهنتم بأعمالكم وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعري أندم الحياة حل بكم ، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم . سبقتمونا فلبيتم ، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون ، وللمنهل الذي وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه . ثم نزل في قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادي ، يا ويلتي إذا دخلت في قبري وحدي ونطقت الأرض من تحتي فتقول لي لا مرحباً ولا أهلاً ، ولا سعة ولا سهلاً بمن كنت أمقته وهو على ظهري ، فكيف وقد صرت اليوم في بطني لأضيقن (عليك)(٢) أرجائي ، ولأذيقنك مكروه بلائي . ويلي إذا خرجت من لحدي حاملاً وزري على ظهري وقد تبرأ مني أبي وأمي . بل ويل من طول كذبي إذا أسمعني منادي ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جيرتي ، وقد بدت إلى الناس سريرتي ، وقمت عرياناً ذليلاً ، وقاسيت كرباً طويلاً . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدي جبار السموات والأرض .

(١) في الأصل (يشتر) وهي تحريف .

(٢) (عليك) زيادة ، على الأصل لاستقامة المعنى .

ويلي إذا وقفت أمام ربي فقال لي عبدي استترت بمعصيتي عن المخلوقين ، وبارزتني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خرَّ مغشياً عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخري ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطويتي وسريرتي ، يا من عليه اعتمادي في حياتي ، ومن إليه ألجأ بعد مماتي ، لا تخذلني بعد الموت ، ولا توحشني في قبري يا سامع كلِّ صوت ، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر وجعل ينادي ، لبيك لبيك حبيبي ما أنبشك للذنوب والخطايا ، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا . ثم التفت إلى الذي سعى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش ، فأرشده إلى إبن عباس ، فما أحبه إليه وآثره لديه ؛ يا ليت كل النابشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكي طويلاً   ونداوي بالدمع داء جليلاَ
فعسى الدمعُ أن يبرد منا   بعض لوعاتِنا ويشفي الغليلاَ
وننادي الأحباب كيف وجدتم   سكرةَ الموتِ بعدنا والمقيلاَ
لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا   سكرةً تترك العزيزَ ذليلاَ
بدلوا بعد القصور قبوراً   ثم بعد اللباس ردماً ثقيلاَ

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل ، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الأجل ، واشعلوا في قلوبكم نيران الخوف والوجل ، وتزودوا للقبر بينما أنتم في فسحة ومهل ، فإن الموت آت ، والعمر فات ، والطريق طويل ، والزاد قليل ، وهول القبر هائل ثقيل . وأنشدوا :

تضرع(١) في دجى الليل   إلى مولاك يكفيكا
ولا تأمن هجوم المو   تِ إن الموتَ يأتيكا
كأنِّي بالذي يهوا   ك في القبر يدليكا

(١) في الأصل أضرع وهذا لا يستقيم معه الوزن .

وقد أفردت في لحدك فرداً بمساويكَا
وأسلمك الذي قد كا ن في الدنيا يصافيكَا
فيا سؤلي ويا ذخري وكل الخلق راجيكَا
ويا من ليس منا أحدُ يحصى أياديكَا
تجاوز عن مقال ثم حقق أملي فيكَا

يا أخي قم بين يدي مولاك إذا دخل الليل البهيم ، وأسأله لعله يكفيك في قبرك العذاب الأليم .

حكاية عن ابن الأسود

حكي عن الحجاج بن الأسود أنه قال : رأيت في المنام كأني دخلت في المقابر فإذا أهلها نيام في قبورهم وقد تشققت الأرض عنهم ، فمنهم النائم على التراب ، ومنهم النائم على القباطي ، ومنهم النائم على السندس ، ومنهم النائم على الإستبرق ، ومنهم النائم على الحرير ، ومنهم النائم على الديباج ، ومنهم النائم على الياسمين والريحان ، ومنهم النائم كالمتبسم في نومه ، ومنهم حائل اللون ، ومنهم من قد أشرق نوره ، ومنهم من قد اشتد كربه ، ومنهم من قد اغتم في ضيق القبر ووحشته . فبكيت في منامي مما رأيت ثم قلت : يا رب لو شئت لسويت بينهم في الكرامة ! فناداني مناد من بينهم يا حجاج هذا الذي تراه من تفاضل الأحوال إنما هي منازل الأعمال ، ولكل أمريء منهم ما قدم . فاستيقظت فزعاً مرعوباً . وأنشدوا :

تحرك إن قدرت وقم طويلاً فسوف يطول نومك في الترابِ
وحقق ما تقول فأنت عبدٌ تساءل ثم تطلب بالجوابِ
وكفر ما عملت وكن مُجِدّاً وتب لله تسعد بالمَتَابِ

عباد الله ليس لكم دواء من جميع أمراض الشهوات إلا التوبة ، والندم

على ما سلف وحسن الأوبة[1] لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر ، وما طويتم عليه خفيات السرائر ، وينور لكم في ظلمات الأجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر . وأنشدوا :

نعت نفسها الدنيا إلينا فأسمعت ... ونادت ألا جدوا الرحيل وودعتْ
وزمت[2] مطايانا إلى برزخِ البلى ... وساقت بنا سوقاً حثيثاً فأسرعتْ
سلامٌ على أهل القبور أحبتي ... لقد بليت أجسامهم وتقطعتْ
فما موَّت الأحياء إلا ليبعثوا ... يقيناً وتجزى كلُّ نفسٍ بما سعتْ

عباد الله ما لكم تدعون إلى الرجوع إلى الله فلا تجيبون ، والموت والقبر فلا تذكرون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب السامعون والواعظون . وبقي الجاهلون والغافلون . فلا سامع يعي ويسمع ، ولا واعظ يداوي وينفع . كل قد شغل بالأماني والغرور ، ونسي الرحيل إلى القبور . ووجد على قبر مكتوباً :

لا تثق بالحياة من بعد قبري ... كلُّ حي مصيره كمصيرِي
كنت في نعمة وفي خفض عيش ... فمضى وانقضى كيوم قصيرِ
ثم أفرِدْتُ في القبور وحيداً ... وجفاني الصديقُ فوق القبورِ

حديث في منكر ونكير

روي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام ليلة الإسراء : « كفى بالموت طامة »[3] فقال جبريل عليه السلام : ما بعد الموت أطم منه وأعظم . فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك يا جبريل ؟ » قال الملكان الأزرقان الأسودان يطآن في شعورهما ، ويخرقان الأرض بأنيابهما ، بيد كل واحد منهما عمودٌ لو

---

(١) الأوبة : من الإياب الرجوع .
(٢) زم البعير : خطمه .
(٣) طامة : كثيرة عظيمة غالبة .

ضرب به الجبال لقلعها من أصولها ، أعينهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، يبتلي بهما كل مؤمن وكافر ، فيأتيانه في قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله ، ويريانه مقعده من الجنة أو النار . فقال ﷺ : « أما الكافر لهما أن يروعانه[1] ويفعلان به ذلك ، وأما المؤمن فكيف ؟ » قال جبريل عليه السلام كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه في الدنيا فإذا خرج من قبره خرج مغفوراً له ثم لا يدري روعة بعدها أبداً ❊

غرور

ذكر أن بعض الملوك بنى قصراً وشيّده فأعجب بذلك وسرّ به ، فلما كان في بعض الليل سمع قائلاً يقول :

كأني بهذا القصر قد باد[2] أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيدُ القصر من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه تنادى بليل معولات حلائله[3]
فخذ عدةً للموتِ إنك ميتٌ وإنك مسئول فما أنت قائله ؟

فأجابه الملك وهو يقول :

أقولُ بأنَّ الله حقٌ شهدته فذلك قول ليس تخفي فضائله

فأجابه الهاتف وهو يقول :

(فوالله يا فدم)[4] إنك ميتٌ وقد أزف الأمر الذي أنت نازله

---

(١) يروعانه : من الروع الفزع .
(٢) (١) باد أهله : هلكوا .
(٣) حلائله : جمع حليلة أي زوجة .
(٤) هذه الزيادة لنا حتى يستقيم الوزن . (الجميلي) .

فأجابه الملك وهو يقول :

متى ذاك حدثني هديت فإنني سأفعل ما قدْ قلته وأعاجله ؟

فأجابه الهاتف وهو يقول :

تقيم ثلاثاً بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر وما أنت كامله

قال فلم يتم الشهر حتى مات . وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

تمنت نفسه قصراً مشيداً يلذ به ليعمره جديدا
فلما تم عاجله حمام فأخرجه إلى جدث فريدا
فقل لذوي الترجح في الأماني ولا يبغون في التقوى مزيدا
تهابوا الموت إن له مجالاً فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختطف الملوك ذوي المعالي ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

الملك الزاهد

حكي عن عباد المهلبي أنه قال : كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال إلى الدنيا وغرورها فبنى داراً وشيَّدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت ، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس إليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون إلى بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه ، فمكث بذلك زماناً حتى فرغ من أمر الناس[١] ثم أجلس نفراً من خاصة إخوانه فقال لهم . أترون سروري بداري هذه وقد حدثتني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقيموا عندي أياماً أستمتع بحديثكم ، فأقاموا عنده أياماً يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبني ، إذا سمعوا ذات ليلة هاتفاً يقول بصوت جهير :

يا أيها الرجلُ الناسي منيته لا تأمنن فإن الموت مكتوبُ

(١) أمر الناس : شئونهم وشواغلهم .

على الخلائق إن سروا وإن كرهوا فالموت حتم لذي الآمال منصوبُ
لا تبنين دياراً لست ساكنها وراجع النسك كيما يغفر الحوبُ[1]

قال فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا ، ثم قال لأصحابه : هل تجدون ما أجد ؟ قالوا وما تجد ؟ قال أجد مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت ، ثم أمر بالشراب فأهريق[2] وأمر بالملاهي فأخرجت ثم قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي ، نادم على ما فرطت في أيام مهلتي . ثم اشتد به الأمر فلم يزل يقول الموت حتى خرجت روحه ، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه . وأنشدوا :

يا عجباً للناس لو أبصروا وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهم معبرُ
والموعدُ الموتُ وما بعده حشرٌ فذاك الموعدُ الأكبرُ
عجبت للإنسان في فخره وهو غداً في وحشة يقبرَ
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخرهُ يفخرُ !؟
أصبح لا يملك تعجيل ما يرجو ولا تأخيرُ ما يحذرُ
وأصبح الأمر إلى ربِّه في كلِّ ما يقضي وما يقدرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى غداً إذا ضمهمُ المحشرُ

موعظة للبهلول

حكي عن بعض السادات أنه قال : نظر إليَّ بهلول وأنا أبني داراً فقال لمن هذا الدار ؟ ، فقلت لرجل من كبار أهل الكوفة ، فقال أرنيه فأريته إياه ، فناداه يا هذا لقد تعجلت الجناية قبل العناية ، إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على

---

(١) الحوب : الظلم .
(٢) أهريق الماء : صبه .

نفسه كتاباً وأشهد على عقد ضمائره شهوداً هـذا ما اشترى العبد الجافي من الرب الوافي اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع ، فما أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك . شهد على ذلك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ، ولهذا الدار حدود أربع ، فالحد الأول ينتهي إلى مبادىء الصفا ، والحد الثاني إلى ترك أخلاق الجفا ، والحد الثالث ينتهي إلى مدارج أهل الوفا ، والحد الرابع ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على العرش استوى ، ولهذه الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت بالولدان والخزام[١] ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام ، ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام . يا لها من دار لا ينقضي نعيمها ، ولا يبيد كريمها ، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود ، وجعل بلاطها من البهاء والنور ، وملىء خيامها من جوار بهن كمل السرور ، من العين الحور ، ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور ، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل البهلول ينادي خلفه ويقول :

يا ذا الذي طلب الجنانَ لنفسه ... لا تهربن فإنه يعطيكا

وأنشدوا :

طاب المقام وطاب فيه نعيمه ... في دار عدن والجليل يراه

فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور ، وتشييد القصور ، فعما قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا :

سلامٌ على أهل القبور الدوارس[٢] ... كأنهم لم يجلسوا في المجالِس
ولم يشربوا من باردِ الماء شربةً ... ولم يأكلوا من كلِّ رطب ويابسِ

---

(١) الخزام والخزامي : نبات طيب الرائحة .
(٢) الدوارس : جمع دراسة أي فانية .

فيـا معشر أهـل الدنيـا تفقدوا أهـل القبور بـالـدعـاء الحسن وتـلاوة القـرآنِ *

حديث في هدية أهل القبور

فإنه روي عن النبي ﷺ أنـه قال : « من دخـل المقابـر وقرأ قـل هو الله أحد عشر مـرات وأهدى ثـوابها للمـوتى ، غفر الله تعـالى للموتى وأدخـل في قبـورهم النور والسـرور ، ويكتب الله تعالى للقـارىء بكل ميت مـات من يوم أهبط الله آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة عشر حسنات *

الصدقة والدعاء للميت

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « أهدوا إلى موتـاكم » قيل ومـا نهدي يـا رسول الله إلى الموتى ؟ قـال : « الصدقـة والدعـاء » وما من أهـل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السـلام على طبق من نـور ، فيقف على شفير القبـر فيقول يـا صاحب القبـر هديـة أهداهـا إليك أهلك أقبلها، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيـرانه الـذين لا يهدى إليهم شيء[1] . فالله الله لا تغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة والدعاء فإنكم تدخلون عليهم بذلك السرور ، ويغتبطون بها في القبور *

رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء في الحديث أن الموتى يـرجون الأحيـاء من الأحباب إلى رأس أربعين سنـة ، فمن أيأسهم أيـأسـه الله رحمتـه ، ومن فـرحهم أكـرمـه تعـالى بتحيتـه . وفقنا الله وإيـاكم للأعمـال الصـالحـة ، وأعـاننـا وإيـاكم على طلب الرغائب والخيـرات آمين برحمتـه فإنـه مجيب الدعـوات وقاضي الحـاجات ، ومقيـل العثـرات[2] . وصلى الله على من أخـرجنـا من الـظلمـات إلى النـــور

(١) وقد ورد هذا في السنة الصحيحة وأجمع عليه سلف هذه الأمة .
(٢) مقيل العثرات: الناهض من الزلّات .

المطهر من الآفـات ، المجتني من أطيب الثمرات ، وعليـه منا أطيب السـلام والتحيـات ، ما دامت الأرض والسمـوات ، آمين آمين فهـو مجيب الـدعـوات وقاضي الحاجـات ، وغافـر الذنـوب والزلّات ، آنس الله وحشتي ووحشتكم في القبـور ، وآنس روعتي وروعتكم يوم النشـور وأحلنـا وإيـاكم بـرحمتـه دار السرور . آمين آمين *

١٣ - مجلس في فضل الصيام

قال الله تعالى ﴿ يا أيها الـذين آمنوا كتب عليكم الصيـام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ أيها الغافل عن الثواب الكثير ، والساهي عن الملك الكبيـر ، واللاَّهي عن لبـاس السندس والحـرير ، المتقـاعد عن اليـوم العبوس القمطرير ، النائم عما أتى به محمد البشير النذير ، الذي أنقذنا الله به من جهنم وحـر السعير . يـا غافـل يا سـاهي أتـاك شهـر رمضـان ، المتضمن للرحمـة والغفران ، وأنت مصـر على الـذنـوب والعصيـان ، مقيم على الآثـام والعـدوان متمادي في الجهـالة والـطغيان ، متكلم بـالغيبة والبهتـان ، متعرض لسخط الرحمن ، قد تمكن من قلبك الشيطان ، فـألقى فيه الغفلة والنسيـان ، فـأنساك نعيم الخلد والجنـان ، فظلت تعمـل أعمال أهـل النيران فـإن كنت يا مسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان ، والحلول في دار الخلد والأمان ، والخلاص من دار العقوبة والهوان . وأنت مـطعمك حـرام ، ولباسـك حرام ، ولسانك لا يفتر عن قبيح الكلام وبصرك حديد إلى مـا حرَّم من الحـرام عليك ذو الجلال والإكرام ، ويدك ممدودة إلى ما نهاك عنه الملك العلام ، وقـدمك تسعى إلى ما هو إثم وحرام ، وأنت في جميع أمورك وأفعالك مخالف للقـرآن والأحكـام ، تارك لسنـة محمد عليـه الصلاة والسـلام . فجسمـك من الجـوع متعـوب من الفجر إلى الغـروب ، ويلحقك النصب واللغـوب ، وصومـك عن

مولاك بالطرد محجوب وأخاف أن تَكون في النار على وجهك مكبوب ، لمخالفتك لعلام الغيوب . فخمص[1] ويحك بطنك عن أكل الربا والحرام ، وأحبس لسانك عن الوقوع في جماعة الإسلام ، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام ، وهو النظر إلى ما لا يحل لك من حرم الأنام ، وامتثل ما أمرك به أحكم الحكام ، وقم بين يديه في الليل البهيم إذا هجع النُّوامُ ، وتضرع إليه إذا أدهم الليل بداجي الظلام . وحينئذ يصح لك القبول لشهر رمضان ، وتفوز بالنعيم الأبدي في دار السلام ، وتنجو من الأهوال والعذاب الغرام . فليكن ـ ويحك ـ بصرك من النظر إلى المحارم معدولاً ، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولاً وبطنك من أكل الحرام محمولاً وقلبك بالفكرة في الحسنات والمعاد[2] مشغولاً ، وذكر مولاك وسيدك في لسانك مجعولاً ، ومالك في طاعة العزيز الجبار مبذولاً ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾[3] وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للإنسان خذولاً ، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوماً جهولاً .

وأنشدوا :

قل لأهل الذنوب والآثام ... قابلوا بالمتاب شهر الصيامِ

إنه في الشهور شهرٌ جليلٌ ... واجبٌ حقه وكيد الزمامِ

وأقلُّوا الكلامَ فيه نهاراً ... واقطعوا ليلَهُ بطول القيامِ

وأطلبوا العفو من إلهٍ عظيمٍ ... ليس يخفى عليه فعلُ الأنامِ

كم له فيه من إزاحة ذنب ... وخطايا من الذنوب عظامِ

كم له فيه من أيادٍ حسانٍ ... عند عبد يراهُ تحت الظلامِ

كم له فيه من عتيقٍ شهيدٍ ... آمنٍ في القيام خزي المقامِ

---

(١) خمص ، جاع .

(٢) المعاد : يوم القيامة .

(٣) الاسراء : ٣٦ .

إن دعـــاه مــذلـــل بخضـــوع وخشوع ودمعه (ذو سجامِ)[1]
أين من يحذر العذاب ويخشى أن يصلي الجحيم مأوى اللئامِ
أين من يشتهي التـذاذاً بحـورٍ في جنان الخلودِ بين الخيامِ[2]
إلتمس فيـه ليلة القـدر واتـرك إلتمـاسـاً لهـا لـذيـذَ المنـامِ
واجتهـد في عبادة الله واسـأل فـضله عـنـد غفـلةِ الـنُّـوامِ
يـا لهـا خيبـة لمن خـاب فيـه عن بلوغِ المنى بدار السلامِ
يـا لهـا حسـرة لمن كـان فيـه سـاتـراً شـره بثـوب الـظلامِ
يـا إلـه الجميـع أنت بحـالي عـالمٌ فاهـدني سبيـل القـوامِ
وأمتني على اعتقـاد جـميـل واتـبـاع لـمـلة الإسـلامِ

فضل رمضان

فـالله الله عباد الله اغتنمـوا شهر المتـاب ، وما وعـدكم فيـه من جـزيـل الثـواب ، ومن العفو عن الأوزار وعتق الـرقـاب . وهـو شهـر ليـاليـه أنـور من الأيام ، وأيامه مطهرة من دنس الآثام ، وصيامه أفضـل الصيام ، وقيـامه أجـل القيام . شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شهـر جعله الله مصباح العام ، وواسطة النظام ، وأشـرف قواعـد الإسلام ، المشـرف بنور الصلاة والصيام والقيام ، شهر أنزل الله فيه كتابه ، وفتح للتائبين فيـه أبوابـه ، فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا عمـل إلا مرفـوع ، ولا خير إلا مجمـوع ، ولا ضرر إلا مدفـوع شهر السيئـات فيه مغفـورة ، والأعمال الحسنـة فيه مـوفورة ، والتوبة فيه مقبولة ، والرحمة من الله لملتمسها مبـذولة ، والمسـاجد بـذكر الله فيه معمورة ، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة . وأنشدوا :

أيـن أهـــل الـقـيـــام لله دأبـاً بذلوا الجهـد في رضا الجبـارِ
أنتم الآن فـي ليـــالٍ عـــظامٍ قــدرُهـا زائــدُ على الأقــدارِ

---

(١) لو أنه قال (في انسجام) لكان أوفق .

(٣) (في الخيام) أصح من (بين الخيام) .

فاستزيدوا من العبادة فيها تأمنوا اليومَ من عذابِ النارِ
أين من يركب الذنوب اغتراراً لا يخافون سطوة القهارِ
قد أهل الهلالُ من رمضان شهر زلفى وتوبةٍ وادِّكارِ
فاذكروا الله فيه ذكراً كثيراً واستجيروه من عذاب النارِ
وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب صادقٍ واقلعوا عن الإصرارِ
رب من كان مسرفاً مستمراً في خطاياه مكثر الأوزارِ
ثم إن الإله تاب عليه فاقتضى حمده سبيل الخيارِ
فاعملوا أيها المسيئون وادعوا ربكم جهرة وفي الإسرارِ
واحذروا غفلة القنوط وداووا داءها بالرجوع للغفارِ
تجدوا الله في المعادِ كريماً ماحياً للذنوب والإصرارِ

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور ، ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور ، الذنب فيه مغفور ، والسعي فيه مشكور ، والمؤمن فيه محبور[1] والشيطان مبعد مثبور ، والوزر والإثم فيه مهجور ، وقلب المؤمن بذكر الله معمور ، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحلٌ عنكم ، شاهد لكم وعليكم ، مؤذن بشقاوة أو سعادة ، أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول ، من عند رب لا يحولُ ولا يزولُ ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول . فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام ، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام ، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام ، مع النظر إلى وجه ذي الجلال والإكرام ، ومرافقة النبي عليه الصلاة والسلام . وأنشدوا :

ألا داع إلى الله المجيب بقلب من معاصيه معيبِ
ألا باك لأيام تقضى بلا عمل ولا قول مصيبِ
ألا باك على أمد بعيد يؤديه إلى أجل قريبِ
فإن الموت يندبنا ويبغي نفوساً ليس تألم للذنوبِ

(١) محبور : مسرور .

تنادي للترحُّلِ كلَّ يومٍ ولا تصغي إلى الداعي القريبِ[1]
كأن يقيننا بالموت شك ونلغي الحق بالإفك المريبِ
وشهر الصوم شاهده علينا بأعمال القبائح والذنوبِ
فيا رباه عفواً منك وألطف بفضلك للمحيَّر والكئيبِ
وهذا الصومُ لا تجعله صوماً يصيرنا إلى نار اللهيبِ
سلامُ الله ما هبت عليه قبولٌ أو شمالٌ أو جنوبِ

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة ، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة . لأنه شهر عظيم ، زكي مبارك كريم ، من أطاع فيه الملك الجبار ، واتبع فيه السنة والآثار ، غفر الله له ما قد سلف من الذنوب والأوزار ؛ وخاصة برحمته من عذاب النار ، وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار ، مع مجاورة النبي محمد المختار ، صلى الله عليه وعلى آله السادة الأخيار ، ومن عصى فيه الملك القهار ، وخالف القرآن والآثار ، وعمل بأعمال الفجار ، ولم يوقر شهراً عظمه الإله الستار ، غضب عليه مقدر الأقدار ، ولعنه كل شيء تختلج بالليل والنهار ، هكذا روي عن الصادق المصدوق محمد المختار ، قال الله الملك الجبار ❊

تقسيم الصوم

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾[2] الصيام ينقسم على أحد عشر ضرباً ، صيام الفرض[3] وصيام الظهار[4] وصيام النقل[5] وصيام الوطء في رمضان[6] وصيام

(١) الداعي القريب : داعي الموت .
(٢) البقرة ١٨٣ .
(٣) صيام رمضان .
(٤) الظهار : قول الرجل لأمرأته : أنت عليَّ كظهر أمي .
(٥) النقل : الانتقال من دين إلى دين الإسلام .
(٦) وهو كفارة عن هذه الجريمة .

كفارة اليمين[١]؛ وصيام فدية الأذى[٢] وصيام التمتع والقران[٣] وصيام إفساد الحج[٤] وصيام كفارة قتل الصيد[٥] وصيام النوافل[٦] وصيام النذر[٧] .

والأيام المنهى عن صيامها ستة ، يوم الفطر ، ويوم الأضحية ، وثلاثة أيام بعد أيام التشريق ويوم الشك[٨]

الصوم اللغوي

﴿ يا أيها الذي آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ الصوم ضربان ، صوم لغوي ، وصوم شرعي ، فالصوم في اللغة هو الإمساك وكل ممسك عن شيء فهو صائمٌ . وذم أعرابي قوماً فقال : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفواحش . قال الله تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام ﴿ فقولي إنِّي نذرتُ للرحمن صوماً ﴾ يعني صمتاً . يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة . قال الشاعر :

خيلٌ صيامٌ وخيل غيرُ صائمةٍ   تحت العجاج وخيل تعلك اللُّجَمَا

أي خيل تصهل وخيل لا تصهل *

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع إلى اللغة لأن ما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمه الصوم في رمضان وفي غير رمضان ، فصوم اللسان ترك

---

(١) خاص للحاج إن ترك شيئاً من أعمال الحج .

(٢)صيام فدية الأذى ثلاثة أيام .

(٣)من استمتع بجاريته أو تزوج في الحج .

(٤)إفساد الحج لأي سبب كان .

(٥)قتل الصيد في مكة أيام الحج .

(٦) صوم النوافل مثل الستة البيض .

(٧) من نذره لشيء ما .

(٨) اليوم الذي يشك فيه هل من شعبان أم من رمضان .

الكلام إلا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سماعه ، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لأن النبي ﷺ قال : « من نظر إلى امرأة نظرة حراماً حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضي الله بين الخلق ثم يؤمر به إلى النار إلا أن يتوب » وعلى كل نظرة لفحةٌ من لفحات جهنم *

عقاب نظرةٍ في الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال : نظرت يوماً إلى امرأة فتابعت النظرة بأخرى ، فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق في صعيد واحد وجيء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لي جز يا عبدي فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهي فأثر فيه هذه اللمعة ، فقال الله تعالى يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك . هذا في المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ، ولم يغض البصر ؟ وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما إلا بما هو لله عز وجل رضى . وصيام البطن أن تخمصه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلماً . وصيام القدمين أن لا تسعى بهما في غير طاعة الله عز وجل لأنه قد قال رسول الله ﷺ : « من مشى في إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله في النار ، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر به إلى النار . وصيام الفرج القعود عن الفواحش لأن رسول الله ﷺ قال :

عقوبة الزنا

« من زنى بأمرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كائنة من كانت من النساء فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة باب من جهنم يخرج عليه منها حياتٌ وعقاربُ من نارِ جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معذب مما يلقى

من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ثم يؤمر به إلى النار وهو يؤذي أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب » وقال ﷺ : « من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » وقال ﷺ : « عفوا تعف نساؤكم » من فسد به ، وما من رجل زنى بأمرأة إلا جُلِدَ بين يدي الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطاً من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو في مشيئة الله عز وجل *

آفات الزنا

وقال ﷺ : « الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات - يعني في الدنيا وثلاث مؤخرات - يعني في الآخرة - فأما التي في الدنيا فإنها تذهب بالبهاء ، وتورث الفقر ، وتقصر العمر ، وأما التي في الآخرة فإنها توجب سخط الله ، وسوء الحساب ، والدخول في النار » .

وقال ﷺ : « مررت ليلة أسرى بي على أناس أمامهم موائدُ حسانٌ وعليها لحمٌ مشوي كأحسن ما يكون من الشواء ، وحولهم جيفٌ أنتن ما يكون من الجيف وهم يأكلون في الجيف ويتركون الشواء ، فقلت حبيبي جبريل من هؤلاء ، قال : الزناة من أمتك يا محمد تركوا ما أحلّ الله لهم ، وأقبلوا على ما حرَّم عليهم ، فاليوم يطعمون بما يكرهون ، ويحرمون ما يشتهون » ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحدَّ الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع ، ثم يؤمر به إلى النار ، فإذا دخل النار أمر به فأدخل في تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد في تلك المسامير ، فلو وضع ما على عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة ألف أمة لماتوا جميعاً ، وهو أشد من في النار عذاباً . ومن تاب ورجع في حياته فإن الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته . فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر في رمضان وفي غيره .

فـالله الله عباد الله صوِّموا جـوارحكم عن المنكـرات ، واستعملوهـا في الـطاعات تفـوزوا بنعيم الأبد في قـرار الجنات ، والتمتـع بالنـظر إلى[1] جبار الأرض والسموات .

الصوم الشرعي

والصوم الشرعي هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر ، ويجوز صوم رمضان بنية في أوله . فهذا حد الصيام في اللغة والشريعة .

قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ فيه أقوال كثيرة وأصحها . . . إن المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الأمم الماضية التي سلفت من قبلكم ، قال مجاهد : هم أهل الكتاب *

روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الأكل لم يطعم شيئاً إلى الليلة المقبلة ؛ وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة ، ورخص الله تعالى في ذلك لهذه الأمة *

وقيل إشارة الله تعالى بقوله : ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ إلى الأمم الخالية وهذه الآية مدح لأمةِ محمد ﷺ لأن ما من أمة ولا نبي إلا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان ، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم . وقيل إشارة الله تعالى بهذا إلى النصارى وكانوا قد فرض عليهم إذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتى بعث الله محمداً ﷺ رحمة لهذه الأمة وفرض عليهم شهر رمضان ، فبقي الأمر على تحريم الطعام والشراب بعد

(١) اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم في جنات النعيم .

النوم ، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع أربعون رجلاً في الأمر منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، جامعوا نساءهم بعد النوم *

حكاية الأنصاري

وجاء رجل من الأنصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بني النجار فصلى مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته : على رسلك[١] حتى أسخن طعاماً صنعته ، فذهبت ثم عادت إليه وقد نام من تعبه فقالت له : الخيبة الخيبة ، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاوياً[٢] ، وأصبح صائماً وعمل في أرضه فأصابه من التعب ما غشي عليه فرآه رسول الله ﷺ يهادي بين رجلين فقال له : « مالي أراك أبا قيس طليحاً ؟ » والطليح هو الضعيف ـ وفي لغة أخرى هو التمايل ـ فأخبره بخبره فرق له رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه ، وكانت قصة الأنصاري أولاً ، وكانت قصة عمر والأربعين رجلاً رضوان الله عليهم آخراً ، فأنزل الله تعالى في قصة عمر وبدأ بها لأن الجناح في الوطء هو أكثر منه في الأكل *

قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله في قصة عمر رضي الله عنه وفي الأربعين رجلاً الذين وقعوا في الوطء هذه الآية ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾[٣] إلى قوله ﴿ وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ وقال الله تعالى في قصة صرمة بن قيس ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾[٤] . وهذه رحمة من الله تعالى لأمة محمد ﷺ . وقيل إن

---

(١) على رسلك : بالكسر أي على مهلك .
(٢) طاوياً : جائعاً من الطوى وهو الجوع .
(٣) البقرة ١٨٧ .
(٤) البقرة ١٨٧ .

النصارى فرض عليهم صيامُ شهر رمضان في الإنجيل فكانوا يصومون شهراً فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة أيام ، فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام فكانوا يصومون أربعين يوماً ، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فأكل لحماً فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن برىء يزيد فيه سبعة أيام فبرأ فزادوا فيه ، ثم إنه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا اجعلوه في حين لا حر ولا قر فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم ، للإله الكريم الحكيم ، وجعلهم من أصحاب الجحيم ، وجعل ثوابهم لأمة النبي الرؤوف الرحيم *

الأعرابي المجتهد

روي عن النبي ﷺ أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس[(١)] يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات في اليوم والليلة » فقال هل علي غير هذا ؟ فقال : « لا إلا أن تطوع » قال رسول الله ﷺ : « وصيام شهر رمضان » قال هل علي غيره ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال له : هل علي غيرها قال « لا إلا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه . فقال النبي ﷺ « أفلح إن صدق »[(٢)] .

ثواب الصيام

وروي عنه ﷺ أنه قال : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » فارغبوا رحمكم الله في هذا الثواب العظيم ، والملك الجسيم ، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم ، فإنه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

---

(١) ثائر الرأس : أشعث أغبر .

(٢) وفي رواية أخرى (أفلح الأعرابيُّ إن صدق) .

فأرغبوا في فضله ، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولي العقول والألباب ؛ ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا .

فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله ﷺ : « أخبرني جبريل عليه السلام قال : يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعده الله . فقال النبي ﷺ آمين ؛ ثم قال جبريل عليه السلام : من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله ، فقال رسول الله ﷺ آمين ، ثم قال جبريل يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فأبعده الله فقال رسول الله ﷺ آمين » . فالله إياكم والموت أن يفجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون *

صيام الدهر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » . وفقنا الله وإياكم لأعمال البر برحمته . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ﴾[1] سماهم باسمه ورسمهم برسمه ، وشرفهم حين عرفهم فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ سهل عليكم بذلك موارد الخطاب . فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين ، وأجل صفات العارفين ، وأعلا مقام المحبين ، فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ ثم زاد بياناً فقال ﴿ أياماً ﴾ ثم زاد بياناً فقال ﴿ معدودات ﴾ ثم زاد بياناً فقال ﴿ شهر ﴾ ثم بين أي شهر فقال ﴿ شهر رمضان ﴾ ثم بين ورقق ويسر فقال ﴿ كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط

---

(١) البقرة ١٨٣ .

الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ ثم بين تمامه فقال ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ فكأنه سبحانه قال كتبت عليكم الصيام أياماً في السنة ووعدتكم عليها المقام في الجنة ، كتبت عليكم الصيام شهراً ، ووعدتكم الثواب دهراً . كتب الله الصيام على عبيده وكتب الرحمة على نفسه ، كتب الصيام أياماً معدودات ، وكتب لكم على نفسه الحصول في الدرجات ، كتب عليكم أن تصوموا شهراً وكتب لكم بالحسنة عشراً *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان في إنصات وسكون ، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والأذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش إلا فرسخ أو ميل » شك عطاء بن يسار في هذا الحديث *

وروي عنه ﷺ أنه قال : « لو أذن الله عز وجل للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » الاشارة في قوله تعالى ﴿ أياماً معدودات ﴾ كأنه سبحانه يقول فريضتي عليكم معدودة ، وعطيتي لكم (غير) محدودة ، عبادتكم لي بارة ونعمتي عليكم بارة طاعتكم من الحين إلى الحين ، وثوابي لكم أبد الآبدين . صيامكم لي من العام إلى العام ، وإباحتي لكم من الجنة أحسن المقام . اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام ، وشرفكم بملة الإسلام ، وجعلكم من خير أمة أخرجت للأنام ، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فلا تدنسوا شهركم بالإفك والزور ، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور ، تفوزوا في الجنان[1] بالولدان والحور *

التوبة في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا

(١) الجنان : الجنة .

باب التوبة فإن الله تعالى قد وكل به ملائكة لا يغلقونه ما دام الصائمون يصومون *

أحاديث عدة في فضل رمضان

وروي عنه ﷺ أنه قال : « للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحدٌ » *

وروي عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت[1] الشياطين ونادى منادٍ يا باغي الخير هلم[2] ، ويا باغي الشر أقصر » *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لله ملكاً رأسه تحت العرش - عرش رب العالمين - ورجلاه في تخوم الأرضين ، له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء ، والآخر من زبرجدة خضراء ينادي كل ليلة من شهر رمضان ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته .

يا طالب الخير أبشر ، ويا طالب الشر أقصر وأبصر » . فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم ، وهذا الثواب العظيم ، من عند الإله الكريم !؟ ثم اجتهدوا في هذا الشهر تسعدوا في باقي الدهر ، واجتهدوا في هذه الأيام القليلة ، تفوزوا بالنعم الجزيلة ، والراحة الدائمة الطويلة . اجتهدوا في شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم[3] الله فيه بالرحمة ، ويغفر فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ،

(١) صفدت : قيدت من التصفيد وهو التقييد .
(٢) هلم : أسلوب نداء أي أقبل ، وينادى بها الواحد والجمع والمؤنث .
(٣) يغشيكم : يشملكم .

وينظر فيه إلى تنافسكم ، ويباهي بكم الملائكة ، فأدوا فيه أنفسكم خيراً فإن الشقيَّ كل الشقي من حرم فيه رحمة اللهِ تعالى » . فالله الله عباد الله إياكم والحرمان ، والتمادي في العصيان ، ولا ترضوا في أديانكم بالنقصان ، في الشهر الفاضل شهر رمضان .

عظيم فضل رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لو يعلم الناس مالهم في شهر رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » فقالوا يا رسول الله حدثنا به فقال . « إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فإذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق الجنان وخلق المصارح فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين ، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن يا رضوان ما هذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية[1] يا خيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ، ويقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد ﷺ ولا تغلقها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فإذا كان اليوم الثاني أوحى الله تعالى إلى مالك خازن النار يا مالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فإذا كان في اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن أهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلهم في الأغلال ثم أقذف بهم في لجج البحار كي لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم ، فإذا غلقت في شهركم أبواب النيران ، وفتحت أبواب الجنان ، وصفد فيه الملعون الشيطان ، فأولى أن لا يسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان ، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان ، كما فضلنا بشهر

(١) التلبية : قول لبيك اللهم لبيك ، وهنا يلبي الحور العين أي يقول لهن لبيك ومعناها إقامته على طاعتهن .

التجاوز والغفران ، وهو الكريم المتفضل المنان *

الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفِّعني فيه ، ويقول القرآن رب عبدك منعته النوم بالليل وتلانى وحرم النوم من أجلي فشفِّعني فيه فيشفعان » .

ويا أخي إذا كان شهر رمضان في القيامة شفيعاً فكن لمولاك فيه عبداً سامعاً مطيعاً ، وليكن قلبك عن معصيته رفيعاً[1] .

الصيام باب العبادة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل شيء بابٌ وباب العبادة الصيام »[2] وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن بابا فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجابا . أين من يدل على طريق السعادة ! عسى أصل بعد النقصان الى الزيادة ، وألزم نفسي الإجتهاد في العبادة وأنشدوا :

الا خيرا لمقترح النواحِ ... أطير إليه منشور الجناحِ
فأسأله وألطفه عساه ... سيسلى ما بقلبي من جراحِ
ويجلو مادجا من ليل جهلي ... بنور هدى كمنسلخ الصباحِ
سأصرف همتي بالكل عما ... نهاني الله من أمرِ المزاحِ
إلى شهر الخضوع مع الخشوع ... إلى شهر العفاف مع الصلاحِ

---

(١) رفيعا : سامياً راقيا .
(٢) لقوله تعالى في الحديث القدسي : ـ ﴿ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ﴾ فالصوم لله سبحانه وتعالى وهو يجزي به عبده ، لأن الصوم هو العبادة الوحيدة الفريدة التي لا يمكن ان يشوبها الرياء ولا الشرك الخفي ، فهي بين العبد وربه وهو يجازي عبده بها وعليها .

يجازي الصائمون إذا استقاموا | بدار الخلد والحور الملاحِ
وبالغفران من رب عظيم | وبالملك الكبير بلا براحِ
فيا أحبابنا اجتهدوا وجدوا | لهذا الشهر من قبل الرَّواحِ
عسى الرحمنُ أن يمحو ذنوبي | ويغفر زلتي قبل افتضاحي

فضل السحور

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن الله يحب المتسحرين والملائكة تصلي على المتسحرين وتستغفر لهم » .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » .

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن إذا قام في رمضان الى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة ، فإذا فرغ ودعا أمنوا على دعائه ، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات ، ويرفع له في الجنة بعددهم درجات ، ويمحو عنه بعددهم سيئات ، ثم لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة » فالله الله اغتنموا في هذا الشهر المكرم هذا الثواب المعظم ، ولا تقطعوا نهاره بالغيبة وقبح الكلام ، وتغفلوا في ليله عن طول القيام ، وتفطروا فيه على السحت والحرام . وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام » فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام . وأنشدوا :

أتعصي بعد شيب الرأسِ جهلاً | كما قد كنت تعصيه غلامَا
أراك من التهاون لا تبالي | ولا ترعي الصلاة ولا الصيامَا
وتفرح بالفطورِ ولا تبالي | حلالاً كان كسبك أم حرامَا

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم ، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذي بلغنا الله اليه في صحة من الأجسام ، وسلامة من عوارض الأسقام ، فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها ، وفضل هذه

الأيام التي بلغها ، أن يحفظها من التخليط والإلتباس ، وأن يكف أذاه عن جميع الناس ، وأن يحذر لغو الكلام ، ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام .

شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « من سرق في رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراماً أو شرب خمراً أو تعدى ظلماً لم يتقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول » . فكل من يؤذي في رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم . فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام ، دائب على القيام مؤذٍ للأنام ، فهو من لسانه وفعله موزور[1] وعلى صيامه وقيامه غير مأجور . أين من زاغ عن الهدى ، ودالٍ على سبيل الردى ، بل أين من رانت الذنوب على قلبه ، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه ، ولم يخف من عذاب ربه ، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وأنظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين ، وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور . إلى أي وقت تعانق حوبتك[2] ، ولأي يوم تؤخر توبتك ، إلى حول حائل أو إلى عام قابل ، كلا والله ما إليك الأقدارِ ، ولا بيدك المقدار ، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم ، لم يبق من عمرك إلا يوم يا هذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها[3] ، بطنك من الحرام ، ولسانك من قبح الكلام ، وبصرك ويدك وسمعك من الإجرام ، واكتساب الآثام .

كفُّ الجوارح عن الشرور

عباد الله ينبغي لمن أصبح صائماً أن يقول للسانه إنك اليوم صائمٌ من

---

(١) موزور : محمل بالأوزار والآثام ، غير مأجور على صيامه لأن الله سبحانه وتعالى لم يتقبل منه .

(٢) الحوبة : النفس ، وشهواتها .

(٣) وهذا ما لا يحدث عند أكثر الناس مما يفسد صيامهم .

الكذب والنميمة ، وقول الزور والباطل والغيبة ، ولعينيه إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلى ما لا يحل لكما ، وللأذنين إنكما اليوم صائمتان من الإستماع إلى ما يكره ربكما ، ولليدين إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم عليكما من الغش في البيع والشراء والأخذ والعطاء ، وللبطن إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظري على ماذا تفطري وتجنبي المطعم الخبيث الذي تدعين إليه فإن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب ، وللقدمين إنكما اليوم صائمتان من السعي إلى ما يكتب عليكما وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه . ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه ﷺ . ومخاطبة ابن آدم لجوارحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها ما دام حياً ، وهكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لإستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه . فالله الله عباد الله امتثلوا في هذا الشهر المكرم وفي غيره لأوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه *

أصل رمضان في اللغة

قال الله تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾[1] فما جعله هدى فلا يكون ضلالة ؛ وما جعله بياناً فلا يكون جهالة ، وما ضعف فيه الأجر فلا تجعلوه بطالة *

شهر رمضان ، قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه[2] ، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والإعتبار بأمر الآخرة . قال الخليل : الرمضاء الحجارة الحارة ، ورمض الإنسان إذا مشى على الرمضاء ، فسمي رمضان بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها ، وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلاً ، ويطهر القلوب تطهيراً . وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف . وقيل رمض ورفض بمعنى

(١) البقرة ١٨٥ .

(٢) وقيل أرض رمضاء أي شديدة الإلتهاب لشدة حرارتها .

واحد وهو من الحروف المتعاقبة ، يرفض قوماً إلى محل القربة والزلفى[1] ، ويرفض آخرين إلى محل البعد والسخطة . وقيل سمي شهراً لشهرته . وهو شهر الإيقان ، وشهر القرآن ، وشهر الإحسان ، وشهر الرضوان ، وشهر الغفران ، وشهر إغاثة اللهفان ، وشهر التوسعة على الضيفان ، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان ، ويصفد[2] فيه كل شيطان ، وهو شهر الأمان والضمان . شهر يخفف فيه عن المملوك . تزهر فيه القناديل ، وينزل فيه بالرحمة جبريل ، ويتلى فيه التنزيل ، ويسمح فيه للمسافر والعليل ، شهر رمضان للعباد مثل الحرم في أم البلاد[3] الحرم يمنع منه الدجال اللعين ، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين . شهر رمضان في الدنيا ، مثل الجنان في العقبي ، سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وملكه خلود ، متصل ليس يبيد ، وفي رمضان بذل المجهود ، ورضي طلب المعبود ، وحفظ الحدود ، وإظهار الكرم والجود . أقبل الصوم يا مسكين ، وكلنا مساكين ، وأنت عاكف على ما يسخط الجبار ، مصر على الآثام والأوزار ، عامل بأعمال أهل النار ، متشبه بالنساك والأخيار ، وأنت في جملة الفساق والفجار ، وقد أطلع على سرك وضميرك عالم الضمائر والأسرار . وشهر الصوم شاهد عليك ، والملائكة تلعنك والله لا ينظر إليك ، وهو جل جلاله بإعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك ، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور . والله سبحانه ينظر من عبده إذا لم ير أثراً لشهر رمضان من ملكه لجوارحه ، يقول جل جلاله هذا عبدي لا يعرف لشهري هذا فضلاً ، وأنا لا أعلم الآن له عندي فضلاً *

عظة بليغة

أفق يـا ذا الغي والمحـال ، واستيقظ يـاذا السهـو والإغفال، وانتبـه من

(١) الزلفى : القربى والتقرب .
(٢) يصفد : يقيد ومنه التصفيد أي التقييد .
(٣) أم البلاد : ويقال أم القرى وهي مكة .

السكرات الطوال . أترضى يا مسكين أن يرد صومك في وجهك من غير قبول من الله ؟ أتستحسن أن تكون جائعاً عطشان وليس لك جاه عند الله ؟ أين النية المجردة ، أين التوبة المجددة ، أين الندامة المؤكدة ، أين الحلال من الطعام ، أين اجتناب الطعمة الحرام ، أين حجر الأوزار والآثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والأيتام ، أين الإخلاص للملك العلام ، أين التزام شريعة الإسلام ، أين الأسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟؟ أنظر يا مسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع ، وأحييت ليلك بطول السجود والركوع ، إنك فيما تظن صائم ، وأنت في جهالتك جازم ، وفي صلاتك دائم ، وفي بحار سكراتك هائم . أين أنت من التواضع والخشوع ، أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع ، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين في شهر رمضان ؟؟ كلاَّ والله حتى تخلص النية وتجردها ، وتطهر الطوية وتجودها ، وتجتنب الأعمال الدنية ولا تردها ، وتكثر البكاء والحسرة ، وتسيل الدموع والعبرة ، وتلزم الفكرة والعبرة ، وتسأل مولاك إقالة العثرة ، فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء ، ومن العيوب سترة وجلباباً . أين الصائمون ، أين القائمون ، أين الطائعون ، أين العاملون ، أين السابقون ، أين الخاشعون ، أين الذاكرون ، أين القانتون ، أين الصادقون ، أين الصابرون ، أين المتصدقون ، أين الآمرون بالمعروف ، أين المغيثون الملهوف ، أين الناهون عن المنكر ، أين المستشعرون للفكر ، أين السامعون للعبر ، بادوا والله مع الصالحين ، وانقلبوا مع المؤمنين ، ونزلوا مع النبيين ، وسكنوا مع الصديقين ، وبقينا والله مع الجاهلين ، وسكنا مع الفاسقين وتأسَّينا بالغافلين ، وأصطلحنا على معصية رب العالمين . فصيامك يا مسكين في وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود ، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود ، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود ، وأعمالك بالفسق موصولة ، وجوارحك للعصيان مبذولة ، وألفاظك في الغيبة مجعولة ، وعزيمتك للطاعة محلولة ، وعبادتك في هذا الشهر غير مقبولة ، وفرائض مولاك بالمعاصي مهمولة . وأنشدوا :

الصـومُ جنـةُ أقـوامٍ مـن النـارِ ... والصـومُ حصنٌ لمن يخشى من النارِ
والصـومُ ستر لأهـل الخيـر كلهم ... الخـائـفيـن مـن الأوزارِ والعـارِ
والشهـرُ شهـر آلـه العـرش من به ... (ربُّ)[1] رحيمٌ لثقـل الـوزر ستـارِ
فصـام فيـه رجـالٌ يـربحـون بـه ... ثـوابهم من عـظيم الشـأن غفـارِ
فـأصبحوا في جنـان الخلد قد نـزلوا ... مـن بيـن حـورٍ وأشجـارٍ وأنـهـارِ

فهنيئاً لمن أطاع الملك الرحمن ، في شهر الرحمة شهـر رمضان ، لقـد فـاز بالحـور والولـدان في دار السلام[2] والـرضوان . صبـروا الأيـام القليلة ، فأعقبهم الراحة الطويلة ، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وما تعمل في هذا الشهر ، جوزيت إلى آخر العمر ، فإن الخير عادة ؛ والشـر لجاجـة . أين أنت يا صائم يا قائم ، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم . تاجر مـولاك فإنـك تربح وعامله فإنك تفلح ، واعتذر إليه فإنه يقبل عـذرك ، واستغفره فـإنه يغفـر ذنبك ، وارغب إليه فإنه يكشف كربك ، وإسألهُ من فضله فإنه يوسع رزقك ، وتب إليه فإنه يعظم حظك يا أخي هذا شهر تستر فيه القبائح والعيـوب ، وتلين فيه النفوس والقلوب ، وتغفـر فيه الأوزار والـذنوب ، وينفس الله عن الحـزين المكروب ، يقول المولى جل جلاله لملائكته يـا ملائكتي أنـظروا إلى الألسن اليـابسة كيف تبتـل بذكـرى ، أنظروا إلى الأحـداق[3] الصلبة كيف تـدمع من خـوفي ، أنظروا إلى الأقـدام المنعمة تنصب في المحـاريب ابتغـاء وجهي يـا أخي متى أطعمت في هــذا الشهــر لله رب الأرض والسمــوات رفعـت إلى الدرجات العالية في قرار الجنات ، وحصلت مـع مولاك مكسيـاً من الحسنات عريانـاً من السيئات *

تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة ، صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة

(١) كلمة (ربُّ) زادها عثمان خليل لتقويم الوزن .
(٢) دار السلام : من أسماء الجنة .
(٣) الأصداق : جمع صدقة ، وهي سواد العين وإسمها أيضاً (إنسان العين) .

الهوى . وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع . يا أخي من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة وعبادة ، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضي ، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقي ، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ، ومن صام عن المنكر والإغيار وأفطر على الفكرة والإعتبار فهو صائم سعيد ، ومن صام عن الرياء والإنتقاص وأفطر على التواضع والإخلاص فهو سالم ، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم ، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر علي تقصير آماله فهو صائم مشاهد ، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد . قال الله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيامٍ أُخر ﴾(1) يا أخي هذه رحمة مولاك رضي أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك . رخَّص لك أن تفطر الأيام الطوال بالعذر ، ورخَّص لك أن تفطر متتابعاً ، وتقضي إن شئت متفرقاً ليسهل عليك ، وتصوم الأيام القصار عوضاً عن الأيام الطوال ، وهذا الرفق *

تمثيل الشهور كأخوة يوسف

قيل الشهور الإثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام . وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علَّام الغيوب *

نكتٌ في ذلك

نكتة حسنة لأمة محمد ﷺ ، إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما

---

(1) البقرة ١٨٤ .

غمر[1] جفاهم حين قال ﴿ لا تثريب[2] عليكم اليوم ﴾[3] فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات ، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور ، وما اكتسبنا فيه من الآثام والأوزار *

نكتة حسنة ، الإشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل . فأحسن لهم الإنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلَّغهم غاية الآمال ، وأطعمهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجوع ، وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها ، فسد الواحد خلل أحد عشر . كذلك شهر رمضان واحد والشهور أحد عشر وفي أعمالنا خلل وأي خلل ، وتقصير وأي تقصير ، وتفريط في طاعة العليم الخبير . ونحن نرجو أن نتلافى (في) شهر رمضان ما فرطنا فيه في سائر الشهور ، ونصلح فيه فاسد الأمور ، ويختمه علينا بالفرح والسرور ، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور . إن شاء الله تعالى بمنه وإحسانه ، وعفوه وغفرانه ، إنه سميع بصير ، وهو نعم اولى ونعم النصير *

أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى ، كان ليعقوب أحد عشر ولداً ذكوراً وبين يديه حاضرين ينظر إليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم ، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم ، وارتد بقميص يوسف بصيراً ، وصار بصره منيراً ، وصار قوياً بعد الضعف ، بصيراً بعد العمى فكذلك المذنب العاصي إذا شم روائح رمضان ، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن ، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان ، وترك الغيبة وقول البهتان ، يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً ، وقريباً بعد ما كان قاصياً ، ينظر بقلبه بعد العمى ، ويسعد بقربه بعد

(١) غمر : الغمر الكثير .
(٢) لا تثريب : لا لوم .
(٣) يوسف ٩٢ .

الشقا ، ويقابل بالرحمة بعد السخط ، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب ، ويوفق طول حياته ، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة ، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء ، ويحظى في الجنان بدرجات الإلتقاء .

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة ، في هذه الأيام القليلة ، تعقبكم النعمة الجزيلة[1] ، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله . هذه والله الراحة الوافرة ، والمنزلة السائرة ، والحالة الرضية ، والجنة السرية ، والنعمة الهنية ، والعيشة الرضية ، لا تنال إلا بالوقار ، لهذا الشهر الذي عظَّمه الجبار ، وفُضِّل به محمد المختار ، ومن لا يوقره كان مصيره إلى النار *

رمضان في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال بمنى : « إذا كان يوم القيامة بينما أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتي والملائكة يضربونه وجهاً ودبراً ، فيتعلق بي ويقول يا محمد المستغاث المستغاث بك ، فأقول يا ملائكة ربي ما ذنبه ؟ فيقولون أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة ، فأقول هل قرأت القرآن ؟ فيقول تعلمته و نسيته ، فأقول بئس الشاب بئس الشاب أنت ، فلا هو يتركني ولا الملائكة يتركونه ، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول إلهي شاب من أمتي ، فيقول الله تعالى إن له خصماً قوياً يا أحمد ، فأقول ومن خصمه يا رب حتى أرضيه ؟ فيقول الله تعالى خصمه شهر رمضان ، فأقول أنا بريء ممن خصَّمه شهرُ رمضان ، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان ؟ فيقول الله تعالى وأنا بريء ممن أنت بريء منه ، فينطلق به إلى النار » فالله الله عباد الله لا تُهوِّنوا شهراً عظَّم اللهُ حرمته وأوجب حقه وقد فضلكم به عن سائر الأمم ، وهو هديةٌ من الله تعالى إليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم ، ويستر عن النار عيوبكم ، ويغشيكم منه

(١) الجزيلة : الكثيرة ، يقال أجزل له العطاء أي أكثر في عطائه .

الرحمة ، ويرفع عنكم فيه النقمة . ويفضلكم بجزيل النعمة ، ويشرح صدوركم بنور الحكمة *

خسران العاصي في رمضان

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « سمعت جبريل يقول سمعت الله عز وجل يقول يؤتى بشاب يوم القيامة باكياً حزيناً والملائكة تسوقه بمقامع من حديد ومن نار وهو يقول : الأمان الأمان ألف سنة ولا أمان له ، ثم يساق فيوقف بين يدي الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه إلى النار ، قلت يا جبريل من هو ؟ قال شاب من أمتك ؟ قلت وما ذنبه ؟ قال أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب إليه كي يغفر الله فأخذه الله بغتة »[1] فالله الله عباد الله اسمعوا بآذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم ، ويغفر العظيم من ذنوبكم . هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم ، يكرمه الله بجنات النعيم ، والمستخف بحقه عند الله لئيم ، مأواه في قرار الجحيم ، مع الشيطان الرجيم *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بشهر رمضان والناس في الموقف فيقولون من هذا ؟ نبي أم رسول أم ملك ؟ ما رأينا مثل هذا ولا مثل جماله وحسنه !! فيقوم بين يدي الجبار جل جلاله فيقول : من كان له قبلي حق فليقم ، فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا رمضان ، قال النبي ﷺ فتقوم أمتي إليه وبيده قضبان من نور تضيء ما بين المشرق والمغرب ، فمنهم من يعطي قضيباً يضيء له مسيرة شهر ، وآخر يضيء له مسيرة جمعة ، وآخر مسيرة يوم ، وآخر مسيرة ساعة ، وآخر موضع قدميه ، فمن شاء فليوقره ومن لا يوقره فيُسامُ عذاباً يصيبه عند الأنوار من الحسرة والندامة » فيا معشر أهل رمضان وقِّروا شهراً تنعموا فيه دهراً ، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك

(١) بغتة : فجأة .

الكبير ، ووقروا الأيام القلائل تصيروا إلى الكرامة والفضائل ، وقرّوا اليسير من الأيام تنظرون إلى وجه ذي الجلال والإكرام *

موعظة للحسن البصري

روي أن الحسن البصري مرّ بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال . إن الله تعالى قد جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخا العجب للضاحك اللاَّعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون ، وخاب لباطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه ، والمس ماءته . فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولا تكونوا من الخائبين ، في شهر شرفه رب العالمين . فالله الله أصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة ، وأحرصوا فيه على طلب طريق الإستقامة ، إلى أن يقضي بكم إلى دار الكرامة ، والخلد والمقامة ، وسرمد[1] العز والكرامة ، وينجيكم من هول يوم الطَّامة[2] *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان ينام من الليل نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » *

الصيام باب العبادة

روي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال : ليس في العبادات أفضل من الصيام لأنه باب العبادة . وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب العظيم وليس في الذنوب إلاَّ عظيم ، لأننا إنما نعصي بها الرب العظيم . وقد قالوا لا تنظر إلى صغير ذنبك ولكن أنظر من عصيت !

---

(١) السرمد : الدائم .

(٢) يوم الطامة : يوم القيامة .

تـاب الله علينا حتى لا نعصيـه . فالله الله عبـاد الله غضُّـوا أبصـارَكم في هـذا الشهـر العظيم وفي غيـره عن النظر إلى المحـظورات ، واحبسوا ألسنتكم عن أخـذ أعـراض المسلمين والمسلمـات ، وأكثـروا فيـه من الصـدقـة على أهـل المسكنـة من ذوي الحـاجـات ، وقـومـوا في ليـاليكم فيـه بكثـرة الصلوات ، واسكبوا من أعينكم وأكف العبرات (١) ، وتضرعوا إلى الله في إقالة العثرات . عساه يبدِّل سيئاتكم بالحسنات *

فإن قيل ما الحكمة في فرض شهر رمضان ؟ ففيه أقوال ، أحدها أن الله تعالى أمرنـا أن نصوم فيـه ونجوع لأن الجـوعَ ملاكُ السـلامة في بـاب الأديان والأبدان عند الأطبـاء والحكماء . وقيـل ما مـلأ ابن آدم وعاء شـر من بطنـه ؛ والحكمة ملك لا يسكن إلاّ في بيت خال *

فضل الجوع

روي عن يحيى بن معـاذ رضي الله عنه أنـه قال : من شبـع من الطعـام عجـز عن القيام ، ومن عجـز عن القيـام افتضـح بين الخـدام ، وإذا امتـلأت المعـدة رقدت الأعضـاء عن الـطاعـات ، وقعـدت الجـوارح عن العبـادات . وأنشدوا :

تجـوَّع فـإن الجـوع يـورث أهله ... عـواقب خيرٍ عمّهـا الـدهـر دائم
ولا تـك ذا بـطن رغيب وشـهـوة ... فتصبـح في الـدنيـا وقلبـك هـائم

وروي عن ذي النـون المصري رحمـه الله تعالى عليـه أنه قـال : تجوَّع بالنهار وقم بالأسحار تر عجباً من الملك الجبار *

وروي عن يحيى بن معاذ رضي الله عنه أنـه قال : لـو كان الجـوع يباع في السوق لكان المريد محقوقاً إذا دخـل السوق إن لا يشتـري شيئاً غيـره ،

---

(١) العبرات : الدموع .

والله تعالى قد فضلكم بدين الإسلام ، ومنَّ عليكم بشهر الصيام ، والله أعلم . وأنشدوا :

وربك لو أبصرت يوماً تتابعت ... عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدَا
لأبصرتم قد حاربوا النوم وارتدوا ... بأردية السُّهاد واستعملوا الكدَّا
وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا ... على بلغ الأقوات[1] واستقربوا البعدَا
أولئك قومٌ حسَّن الله فعلهم ... وأورثهم من حسن فعلهم الخلدَا

قيل أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لأنه ليس على أهل النار شيءٌ أشدَّ من الجوع وذلك أن الله تعالى يلقي عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع . فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصةٍ وعذاباً أليماً ﴾[2] فيعبر في حلوقهم فيقولون إنا كنا نبتلع الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون المهل كما قال تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يغاثو بماء كالمهل ﴾ الآية . فأمر الله تعالى أمة محمد ﷺ بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع ، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الأمم ، فآمنت به هذه الأمة وكفرت به سائر الأمم ، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد ﷺ . وأنشدوا :

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم يعص قلباً غاوياً حيث يممَا
قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت ... إذا ذكرت أمثاله تملأ الفمَا

وقيل فرض عليهم صيامَ شهر رمضان لأن الزهد زهدان ، زهدٌ في الحلال وزهدٌ في الحرام وأشرفها الزهد في الحلال ، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام . وقيل أراد الله تعالى بذلك إنتباه الأغنياء ليعلموا حال الفقراء فيصوموا معهم وقيل حتى يذكروا بشدة

---

(١) ما بلغ الأقوات : ما يسد الرمق إلى حد الكفاف .
(٢) المزمل : ١٣ .
(٣) المهل : هو النحاس المذاب .

الصوم شدَّةَ القيامة لأنه ليس على أهل القيامة أشـد من الجوع ، وليعلمـوا أنه إذا كانت في طاعة الله تعالى شدة ، فإن الجوع في النار أعظم شدة . فالله الله عباد الله اجتهدوا في حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لـرب العالمين ، يوم يفوز فيه الصائم ، ويحشر فيه المتأني المتهاون الظالم ، إذا عرضت عليـه الأوزار والجرائم ، وانتهاك المحذورات والمحارم *

سبب فريضة الصيام

فإن قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوماً ؟ فالجواب ، إنه قيـل إن الوقـوف على الصـراط ثلاثين سنـة فإذا صمت ثـلاثين يومـاً أعانـك الله في الموقف بالعافية والسلامة ، والسعادة والكرامة ثـلاثين سنة . فـالله الله جدوا واجتهـدوا في هذا الشهر بلا إفراط ، وخـذوا لأنفسكم بالإحتيـاط ، وأحذروا من المكث الطويل على الصراط(١) *

رمضان رسول من الله

قيل مثل هـذا الشهر كمثـل رسول أرسله سلطان إلى قـوم ، فإن أكـرموا شأنه ، وعظَّموا مكانه ، وشرَّفوا منزلته ، وعـرفوا فضيلتـه ، رجع الـرسول إلى السلطان شـاكراً لأفعـالهم ، مـادحـاً لأحـوالهم ، راضيـاً لأعمـالهم ، فيحبهم السلطان على ذلـك فيحسن إليهم كـلَّ الإحسـان . وإن استخفـوا بـرعـايتـه ، وهونوا لعنايته ، ولم ينـزلوه منـزلته من الإكـرام ، وفعلوا به فعـل اللئام فيـرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعـالهم ، وسيء أعمالهم ، فيغضب السلطان لغضبه . كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحـرمة شهـر رمضان . فيـا أيهـا الإنسـان هـذا شهـر رمضـان ، شهـر التـوبـة

---

(١) ومصيبة الناس ، التي تبعدهم عن منهج الله سبحانه وتعالى هي أنهم لا يستحضرون الجزاء ولا العقوبة أثناء أداء التكليفات فلو أنهم استحضروا (جنات النعيم) أثناء العبادة لأتقنوها وتضافوا فيها .

والغفـران ، وهو رسـول من عنـد الملك الـديـان ، فمن أكـرمـه منكم حقيقـة الإكرام ، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام ، وبـطنه من أكـل الربـا والحرام ، وأموال الأرامل والأيتام ، غفر له الملك العلام ، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام *

أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من مؤمن يصبح صائماً إلا فتحت لـه الجنة ، واستغفر لـه أهل السمـاء الدنيـا حتى يتوارى بـالحجاب[1] فـإن صلى ركعتين تطوعاً أضاءت له السمـوات نوراً ، وإن سبَّـح وهلَّل تلقاه سبعـون ألف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتـوارى بالحجـاب . فالله الله عبـاد الله ، يا أهـل الـذنوب ، يـا أهل المعـاصي والعيوب ، يـا من عصى مولاه عـلام الغيوب ، اعملوا في بقية شهركم ليوم وفاتكم وفقركم ، إذا وقفتم بين يدي ربكم *

روي أن النبي ﷺ كـان يقول إذا دخـل شهر رمضـان : « إن الله فـرض عليكم شهر رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وأقـامه إيمـاناً واحتسـاباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه » وقال في حديث آخر : « ومن صـامه وأقـامه إيماناً وإحتسـاباً وجبت لـه الجنة » فـالله الله ارغبوا فيمـا رغبكم فيه نبيكم ومـا عـرفكم بـه من ثـواب ربكم ورحمتـه عسى أن يغفـر لكم ربكم ويتقبـل منكم سعيكم *

وروي أن النبي ﷺ كـان يقول إذا دخـل رمضان : « مـرحباً بـالمطهـر » قالوا يا رسول الله وما المطهر ؟ قال : « مطهر من الذنوب والخـطايا »[2] اللهم أكتب لنا فيه براء من النار ، وشريعة من الإيمان . فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول في جـوار ربكم ، واحفـظوا العهـود في صيـام شهـركم فـأدُّوا زكـاة فطركم *

---

(١) أي حتى يجن الليل وتغيب الشمس في الأفق .

(٢) الخطايا : جمع خطيئة وهي الذنوب والآثام .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان صيامه معلقاً بين السماء والأرض حتى يؤديها » فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبي الرسول ، وأطيعوا رباً ولا يحول ولا يزول ، ولا تغيره الأيام ولا الدهور ، لا إله إلا الله هو العزيز الغفور *

١٤ - مجلس في تحريم الخمر وما جاء فيها

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله : ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر في كتابه في ثلاث آيات فذمَّها في الإثنتين وحرَّمها في الثالثة . فالإثنتان الأولتان منسوختان ، والثالثة الناسخة ، وذلك أنها كانت تشرب في أول الإسلام حتى نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة ، فالناسخة قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾[1] فهذا تحريم ، وكذلك نهى الله في كتابه كله تحريم في كل ما نهى عنه ، كما كل ما أمر به فرض مفترض ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالأنصاب وهي الأصنام التي كانت تعبد من دون الله ، وقد قال تعالى في آية أخرى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾[2] فقد قرن في نهيه بين الخمر والأصنام التي كانت تعبد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمها بعث رسول الله ﷺ مناد ينادي في المدينة إلا أن الله قد أنزل تحريم الخمر ، إن الله ورسوله يحرمان الخمر . فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه حين سمعوا المنادي . يقول اسكتوا حتى تسمعوا ما يقول هذا المنادي ، فلمَّا تبينوا منه قوله قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فكفوا

(١) المائدة ٩٠ .

(٢) الحج ٣٠ .

عنها وأهريقوا ما بقي عندهم منها ، ثم ندموا على ما شربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم ، فأنزل الله سبحانه ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناحٌ فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾[1] الآية *

تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل في قوله سبحانه ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً ﴾[2] قال الشيخ :[3] وهذا ظاهره تعداد النعمة ، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ ، يقول الله تعالى : رزقتكم ثمرات النخيل والأعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن . فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم ، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً ﴾ فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكراً ، وبدلتم الطيب يالخبيث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصي الله تعالى ، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى في الخمر ، امتنع ناس من شربها وبقى على شربها الأكثرون حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة *

حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقيه رجل من الأنصار وبيده ناضح له ، والأنصارى يتمثل ببيتين من شعر

---

(١) المائدة ٩٣ .

(٢) النحل ٦٧ .

(٣) يقصد به الشيخ عبد الملك بن حبيب من الصالحين الأتقياء .

لكعب بن مالك في مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما :

جمعنـا مع الإيـواء نصـراً وهجـرةً ... فلم يـرجُ (حيٌّ)[1] مثلنا في المعـاشرِ
فـأحياؤ نـا من خيـر أحيـاء من مضى ... وأمـواتنـا من خيـر أهـل المقـابـرِ

عمر بن الخطاب والخمر

فقال حمزة رضي الله عنه : أولئك المهاجرون ، فقـال الأنصاري : بـل نحن الأنصـار ، فتنازعـا فجرد حمـزة سيفـه وعـداً على الأنصـاري فلم يمكن الأنصاري أن يقوم به فانهزم وترك ناضحه فقصد حمزة إلى النـاضح[2] فضـربه بالسيف فقطَّعه ، ومضى الأنصاري مستعـدياً إلى رسـول الله ﷺ فأخبـره بخبر حمزة وفعاله بالناضح ، فأعطي النبي ﷺ الأنصاري ناضحاً .

عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أما ترى مـا نلقي من أمر الخمـر يا رسول الله ؟! إنهـا مذهبـةٌ للعقل متلفـةٌ للمال ، فـأنزل الله تعـالى بالمـدينة ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ﴾[3] وقـرىء كثير والمعنيـان متقاربان (ومنافعُ للنـاس) وعلى هذا معـارضة لقـائل أن يقـول أين المنفعة ؟ وقـد قال رسـول الله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفـاء أمتي فيمـا حـرَّم عليهـا » فالجواب عن ذلك ، أنهم كانوا يتبايعـونها من الشـام بالثمن اليسيـر ويبيعونهـا بالحجاز بالثمن الكثير ، وكـانت المنافـع التي فيها من الأربـاح . وكذلـك قال الله سبحـانه ﴿ قـل فيهما إثم كبيـر ﴾ فانتهى عن شـربها قـوم وبقي قـوم على شـربها حتى دعـا محمد بن عبـد الرحمن بن عـوف الزهـري قـومـاً فـأطعمهم

---

(١) زاد عثمان خليل كلمته (حي) لتقويم الوزن .
(٢) الناضح : الذي يستقي عليه البعير الماء .
(٣) البقرة ٢١٩ .

وسقاهم الخمر حتى سكروا فلما حضر وقت الصلاة قدموا رجلاً منهم يصلي بهم .

ابن أبي جعونة والخمر

وكان أكثرهم قرآناً رجل يقال له أبو بكر بن أبي جعونة وكان حليف الأنصار، فقرأ فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ، وخلط أول السورة بخاتمتها حتى ختم السورة على ذلك ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ذلك . فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾(١) فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون ، ثم يقومون عند صلاة الفجر فيصحون منها ، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لا يشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة .

سعد بن أبي وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبي وقاص الزهري رجلاً لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناساً من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا ، فعمد رجل من الأنصار إلى أحد لحيي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره(٢) فجاء مستعدياً إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسرُ والأنصابُ والأزلام رُجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلَّكم تفلحون ﴾(٣) الآية فاختلف العلماء من أهل التفسير في موضع التحريم هل وقع في قوله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أو في غير هذا الموضع . وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع في قوله تعالى

---

(١) النساء ٤٣ .
(٢) فزر الثوب : تهتك وتقطع .
(٣) المائدة ٩٠ .

﴿ فاجتنبوه ﴾ وقال الأكثرون منهم بل وقع في قوله تعالى ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى في سورة الفرقان في قوله ﴿ أتصبرون ﴾ والمعنى أصبروا ، وكذلك في الشعراء ﴿ قوم فرعون ألا يتقون ﴾ والمعنى اتقوا . وكذلك في سورة يوسف ﷺ وعلى نبينا محمد وسلم قوله ﴿ تزرعون سبع سنين دأباً ﴾ والمعنى إزرعوا . وفي سورة الواقعة قوله ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها ﴾ يعني الروح والمعنى ارجعوها ، وكذلك قوله في الخمر ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ والمعنى انتهوا فقالوا عند ذلك انتهينا انتهينا يا رسول الله ، وهذه من الأخبار التي معناها الأمر . وقال بعض أهل العلم : إن تحريم الخمر في الآية التي في الأعراف قوله تعالى ﴿ إنما حرَّم رَبي الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن والإثم ﴾[1] والإثم هي الخمر ، قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضلَّ عقلي كذاك الإثم يذهب بالعقولِ

وقال آخر :

نشرب الإثم بالكؤوس جهاراً نترك الهتك بيننا مستعارا

والهتك الأترنج . فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله في مواطنه ، وأما تحريمها في الأنعام في قوله تعالى : ﴿ قل إنما أوحى إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾[2] فإنه رجس والدم رجس ، والميتة رجس ، والخمر رجس ، بل الخمر أكثر رجساً ، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لأحد ، والخمر ما خامر العقل فغطاه وإذا غاب العقل حضر الجهل ، وإذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالي . وأما قول الله تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3] .

---

(١) الأعراف ٣٣ .
(٢) الأنعام : ١٤٥ .
(٣) الحشر ٧ .

أحاديث في تحريم الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كلُّ مسكرٍ حرام » وما أسكر كثيره من جميع الأشربة فقليله حرام *

وفي حديث آخر قال ﷺ : « كل شراب أسكر فهو حرام » واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر ، فإذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصده عن الإيمان وعن طاعة الرحمن ، وأغلق في وجهه أبواب الخير كله . وأنشدوا :

الخمرُ داعيةٌ إلى العصيان   والخمر قائدة إلى النيرانِ
والخمرُ شاربها يصدُّ عن الهدى[1]   ويبدل الطاعاتِ بالعصيانِ
والخمرُ شاربها حليفُ ضلالةٍ   ويبدل الإيمان بالكفرانِ
شرب المدامةِ للإله عداوةٌ   ومحبةٌ للماردِ الشيطانِ
فبادروا التوبة يا أهل الزنا   وتقربوا للواحد الديانِ
وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى   ومغالق الخيرات في الإيمانِ
فهي المحرمةُ التي تحريمها   في محكمِ الآياتِ والقرآنِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الخمر جماع الإثم » وهذا الحديث يخرج منه قول النبي ﷺ « ليس بين العبد والكفر إلا ترك الصلاة » وشارب الخمر لا يقبل منه صلاة ، فإذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام ، فهي جامعة للآثام ، فائدة إلى الحرام ، قاطعة عن طاعة الملك العلام *

الخمر شرٌّ كلُّه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر » فهنا قد قال رسول الله ﷺ

(١) وردت في الأصل (الهوى) ولا يستقيم المعنى بها .

« الخمر مفتاح كل شر » وما كان مفتاحاً للشر كله ، كان مغلاقاً للخير كله . فإذا شربتم القهوات ، وعصيتم رب الأرضين والسموات ، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات ، وانفتحت لكم أبواب المنكرات ، وحلت بكم عظائم المصيبات ، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات[1] ، عاقبكم بأشد العقوبات ، في دار المصائب[2] والحسرات ، ومحل العذاب والبليات . وأنشدوا :

أهل الخمورِ من الرحمن قد بعدوا ... وفي العذاب على الخسران قد وردُوا
بشربهم من إله العرش قد بعدوا ... وفي الصدور مع الشيطان قد قعدُوا
دع المدامة[3] لا تسلك طريقتها ... فأهلها لنعيم الرب قد جحدُوا
وقد تواعدهم رب السماء على ... شرب الخمور بنار جمرها يقدُ
غداً ترى أهل شرب الخمر كلّهم ... بدار ويل على النيران قد وردُوا

قول ابن عباس في السكران

روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : من بات سكراناً بات للشيطان عروساً ، وللعروس حبيباً ، فإذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدوٌّ الرحمن ، وإذا كنت عدوَّ الرحمن فأنت من أهل الهوان ، في سموم النيران . عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره ، ونهاكم بنهيه ، ومن عليكم برفقه ، ووسع عليكم من سعة رزقه . وجعلكم من خير الأمم ، وأسبل عليكم جزيل النعم ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه ، فإنه ذو إنتقام وعذاب ، ورحمة وثواب ، فأطيعوا مولاكم في جميع الأمور ، ولا تهتكوا أستاركم بشرب الخمور ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

(١) سيد السادات : الله سبحانه وتعالى .
(٢) دار المصائب : الدنيا .
(٣) المدامة : الخمر .

يا شاربَ الخمرِ ترجو أن تنالَ بِهِ عفوَ الإلهِ وأنت اليـوم مطرودُ
وأنت تشرب طولَ الدهر[1] منهمكاً وأنت عن طاعةِ الرحمنِ مفقودُ

شربتم الخمور ، وعصيتم الرب الغفور ، وهتكتم الستور ، وركبتم الفواحش والفجور ، وتهاونتم بصعاب الأمور ، ولم تفكروا في العرض والنشور[2]، والوقوف بين يدي من يعلم ما تخفي الصدور *

ثمن الخمر خسارة

ذكر في بعض الأخبار ، ما من عبد أنفق درهماً في الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهماً ، وجعل الله كل درهم ينفقه في الخمر سلسلة في عنقه من نار جهنم ، وجعله ثعباناً يأكله في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلا يفارقه حتى يلقيه في نار جهنم ، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لا يكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولا ينظر الله إليه ، وإنما يكتب له صاحبُ الشمال ، لأن رأس العبادات هي الصلاة ولا يقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته ، وصاحب الخمر لا تقبل صلاته فإذا تاب تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كلَّ ذنب عمله في حال شربه ، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى وإذا مات من ساعته مات ولا ذنب عليه ، ويكون أفضل ممن لم يشربها في الدنيا وأنشدوا :

لا تشرب الخمر يا مغرور إنّ لها وزراً عظيماً لدى الرحمن في الحشرِ
الخمر تبعد عن حق الإله وعن شرعِ الرسول الذي في محكم الذكرِ
إن الذي قطع الأيـام يشربهـا له عذابٌ شديدٌ كاشفُ السترِ

روي أن النبي ﷺ أعار علياً بعيرين ليأتي عليهما بأذخر[3] يستعين به

(١) في الأصل (وأنت تشرب دهر الله منهمكاً) وقد صوبها عثمان خليل .
(٢) النشور : البعث .
(٣) الإذخر : نبت يكثر في الجزيرة العربية .

على زفـاف فـاطمـة رضي الله عنهـا ، فجـاز بهمـا علي رضي الله عنـه فأناخهما عند باب حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستأجر يهودياً ليخرج معه ، ويأتي بالأذخر وكان حمزة يشرب ، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الإبل ، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل بأكبادهما ، فجاء علي رضي الله عنه فوجد البعيرين نحيرين[1] فمضى إلى النبي ﷺ فشكا إليه ، فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبي ﷺ *

كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضي الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال : ألستم عبيدي ؟! فتأخر رسول الله ﷺ وقال « لست بعبد لأبيك » فقال عمر رضي الله عنه : اللهم إن الخمر مفسدة للعقد مذهبة للمال ، فأنزل اللهم لنا في الخمر بياناً ، فأنزل الله سبحانه ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناس ﴾[2] إثم أي في تناولها ، ومنافع للناس في ترك تناولها فإذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف *

قراءة السكران

فقال قوم نشربها لما فيها من المنفعة ، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وختم السورة على هذا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فشق عليه ، فقال عمر رضي الله عنه : اللهم أنزل علينا بياناً في الخمر ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾[3] فكانوا يشربونها في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبي وقاص ما كان مع الأنصاري

---

(١) نحيرين : أي مذبوحين .
(٢) البقرة ٢١٩ .
(٣) النساء ٤٣ .

وقد تقدم ذكره فقال عمر رضي الله عنه : اللهم أنزل علينا في الخمر بياناً ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان ﴾[١] إلى آخر الآيتين إلى قوله ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ فقالوا بأجمعهم : انتهينا يا رسول الله انتهينا ، فعند ذلك بعث النبي ﷺ منادياً ينادي في المدينة ؛ إلا أن الخمر قد حُرِّمت . قال أنس بن مالك : فسمعت النداء وأنا أسقي طلحة في رهط من الأنصار الفضيخ والبسر والرطب[٢] فوالله ما انتظروا حتى قالوا يا أنس أخرجها عنا فأهريقت في الحين فانتهوا . فإذا فعل هذا أصحاب رسول الله ﷺ وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم ﷺ فمالكم لا تتأسوا بأفعالهم ، وتقتدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم ، وتسمعون أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعساه يجعل الجنة مأواكم ويكرم في الآخرة مثواكم ؟؟ فراقبوه فإنه يراكم ويعلم سركم ونجواكم والله أعلم .
وأنشدوا :

لا يشرب الخمرَ إلا فاجرٌ بطرٌ[٣] ... قد خالف الله والقرآن والرسلَا
بئس الشراب وبئس الشاربون لها ... لا يسلكون إلى دنياهم سبلَا
هي الدليل إلى دار الجحيم غداً ... بئس الدليل ولا يرجى لهم حولَا
إلا يتوب عسى الرحمنُ يقبله ... فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلَا

من مات يدمن الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها في الآخرة » وهي والله من ألذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى ﴿ وأنهار من خمر لذة للشاربين ﴾[٤] يا عدو نفسه يا مسكين حرمت نفسك اللذات ، في

---

(١) المائدة ٩٠ .
(٢) أطوار البلح هي : الطلع ، الخلال ، البلح ، البسر ثم الرطب ثم التمر .
(٣) البطر : شدة المرح .
(٤) محمد ١٥ .

قرار الجنات ، وعصيت رب الأرضين والسموات ، بشربك القهوات المحرمات ، في محم الآيات ، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات وأنشدوا :

أكثرت الخمر من عيوبي وزاد حزني مع الكروبِ
جلَّ مصابي وضاق ذرعي واسودَّ قلبي من الذنوبِ
يا ليتني تبت باجتهاد لعالم الجهر والغيوبِ
الخمر مفتاح كل شر لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة[1] خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذباً أو مغفوراً له ، ولا يدعها عبد من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس » فيا معشر الإسلام ، أطيعوا مولاكم الملكَ العلاَّمَ ، ولا تخالفوا القرآن والأحكام ، وأقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام وأنشدوا :

إلى الله أشكو ضيق صدري من الضرِّ وعظم خطايا كالجبال وكالقطرِ
لعلَّ إلهي أن يجودَ بعفوه وينقذ عبداً عام في غمرة السكرِ
ظلوماً غشوماً لا يفارق محرماً ولا يستفيق الدَّهرَ من فتنة الخمرِ
فيا طول حزني ثم يا طول حسرتي لئن لم يجد لِي عالِمُ السرِّ والجهرِ

شارب الخمر في القيامة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « والذي بعثني بالحق إن شارب الخمر يأتي يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته خذوه ، فيبتدرون له

(١) جرعة خمر : حسوة منها .

سبعون ألف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقى فيه طعام مثل رؤوس الشياطين ولا يكاد يسيغه فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع في بطنه فهي تجري فيه مثل الوحوش في البرية » أيها المصرون على الجراع والآثام ، المسرفون في شراب المسكر الحرام ، أفنيتم أعماركم في الكذب والزور ، وضيعتم أيامكم في الجهل والغرور ، وقطعتم أوقاتكم في الفسق والفجور ، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمور ، أما علمتم أن الخمر متلفةٌ للمال ، مذهبة للبهاء والجمال ، عاقبتها إلي وبال ، ويؤول شاربها إلى شر مآل[1] الخمر أولها لهو ومزاح ، وآخرها بكاء ونياح ، أمرأة شارب الخمر في كل وقت مطلقة وثيابه في كل حين ممزقة . شارب الخمر خليل الشيطان ، شارب الخمر عدو الرحمن ، شارب الخمر بعيد من الإيمان ، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران ، شارب الخمر في بحار السخط عائم ، شارب الخمر على عذاب النار حائم ، شارب الخمر مخالف للتنزيل ، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل ، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين ، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين . أما علمت يا من بعد من الإحسان ، وتقرب من الفسوق والعصيان ، وحل في سخط المهيمن الديان ، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق ، قاطعة للخير والأرزاق ، قائدة إلى أليم العذاب يوم التلاق . أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد ، وتلقيه في الضلال والفساد ، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد ، وتقود إلى العذاب الشديد يوم التناد . وأنشدوا :

الخمر ولَّادةٌ للشر أجمعه ... ومن ولادتها العصيان والكفرُ
تعصى الإله إذا ما عشت تشربها ... وتبعد الخير والإحسان والشكرُ
العبد يشربها واللعن تابعه ... والخزي شامله والويل والعسرُ

---

(١) شر مآل : سوء المصير .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لعن الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمول إليه وآكل ثمنها والدال عليه » يا أخي قد لعن الله كل من نسب إلى الخمر واللعنة هواناً للعبد ، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه[1] عذابه وحر ناره ، فبادر يا شاربها إلى المتاب ، فإن الله قد حرمها في الكتاب ، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب . وأنشدوا :

يا من يبيت على شرب الخمور ولا يخشى الإله ولا يخشى من النارِ
تعصى الإله ولا تقضي فرائضه عارٌ عليك وما في التوب من عارِ
فتب من الخمر للرحمن خالقنا وكل ذنب قديم العهد أوتارِ[2]

الخمر جريمة عظيمة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوماً فإن تاب تاب الله عليه ، والذي بعثني بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوماً ، وكان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من الخبال » قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : هو صديد أهل النار وقيحهم . وفي بعض الأخبار لو أن قطرة من الخبال ألقيت من السماء السابعة لأخرقت إلى الأرض السابعة ولمات أهل السموات والأرض من النتن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون على من شرب الخمور ، وهتك الستور ، وعصى الملك الغفور ، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور ، وغره بالله عدوه الغرور . وأنشدوا :

تعصى الإله وتأتي الخمر تشربها وترتجي من إله العرش غفرانَا
وأنت تحوي فعال الخير أجمعها وقد جمعت من العصيان ألوانَا
فتب ولا تتمادى في الضلال عسى تلقى إلَهاً كثير العفـو رحمانَـا

---

(١) أصلاه : رماه كما في قوله تعالى « سيصلى ناراً ذات لهب » .
(٢) أوتار ليس لها معنى وفي الغالب أنه أتى بها لاستكمال البيت حشواً .

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الأمهات ، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات ، وهداكم بفضله إلى الصوم والصلوات ، ووعد من أطاعه بالخيرات في الجنات العاليات ، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات . أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات ، ومفتاح الكبائر والخطيات ، وباب المصائب والرزيات ؛ وموجبة لغضب رب الأرضين والسموات ، ومخربة الديار بوقوع الشتات . فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فإنها أم الكبائر والآثام ، ومن شربها فقد خالف القرآن والأحكام ، وحل في سخط الملك العلام ؛ أما تستحي يا مطرود من باب الله ، يا مخالفاً لحدود الله ، يا مؤالفاً لأعداء الله ، من رب من عليك بنعمة الإسلام ، وجعلك من خير أمة أخرجت للأنام ، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعصيت يا مغرور مولاك ، واتبعت غيك وهواك ، ونسيت النعم التي أولاك ، ولم تنته عمّا عنه نهاك . أهذا جزاء من أحسن إليك ، وسترك وأنعم عليك ؟ بئس ما صنعت يا من ظل في المعاصي سراً وجهراً ، يا من بدل نعمة الله كفراً ، يا من هتك بعصيانه حجاباً وستراً ، يا من حرم بذنبه توفيقاً ويسراً ، يا من أورثه العصيان شراً وعسراً . أما تستحي يا مطرود يا من هو عن باب مولاه مردود ، يا من خالف الأحكام والحدود ، من رب أخرج لك من العدم إلى الوجود ، عنباً حلالاً أخرجه من العود ، تعصر منه خمراً تعصى به الملك المعبود؟ ما أجهلك بطريق المتقين ، ما أبعدك عن سيرة خير المرسلين ، يا قليل الدين ، يا ضعيف الإيمان واليقين ، يا خليل الشيطان اللعين ، ستعلم غداً إذا وقفت بين يدي أسرع الحاسبين ، وأمر بك إلى العذاب المهين ، فحينئذ تقول بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، اللهم تب علينا حتى لا نعصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

١٥ - مجلس في فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه

وفي صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الأمة بفضائل خص بها أمة محمد ﷺ من سائر الأمم . الحكمة في ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الأمم أعماراً[١] جعل لهم هذه الفضائل وهذه الدرجات ، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل في الجنة وهي كالأيام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير . فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيراً ، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجراً كبيراً . فيوم عاشوراء يوم تغفر فيه الذنوب والخطيات ، ويتقرب فيه بالصدقات ، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات . وصومه سنة مستحبة لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال *

ثواب صيامه

« من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف شهيد ، وثواب كل حاج ومعتمر في ذلك العام ، وثواب تسبيح

---

(١) والإنسان من أطول الحيوانات أعماراً على صفحة الطبيعة .

ملائكة السبع سموات ومن فيهن » *

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها ، وقيام لياليها ، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة » . فالله الله عباد الله تقربوا إلى الله في يوم عاشوراء أيما استطعتم من نوافل الخير وسبل البرفان يوم عاشوراء يوم يوصل فيه الرحم ، ويضاعف الأجر للمؤمن السخي[1] الكريم ، ويجزي الله جل جلاله معطي الزكاة جنات النعيم ، ويبذل فيه السخط على الشقي اللئيم ، الذي يمنع الزكاة المفروضة في القرآن الحكيم . فالله الله معشم المؤمنين ، وجماعة الموحدين[2] ارغبوا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة ، التي ليس لها زوال ولا انقطاع ، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أفطر عنده مؤمن في يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ﷺ وأشبع بطونهم، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة في الجنة ، ومن كسا فيه مسكيناً فكأنما كسا مساكين أمة محمد ﷺ وكساه الله سبعين حلةٍ من حلل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا عمر خلق الله السموات والأرض في يوم عاشوراء ، وخلق الشمس والقمر في يوم عاشوراء ، والنجوم كمثله ، وخلق العرش والكرسي في يوم عاشوراء ، وخلق القلم في يوم عاشوراء ؛ واللوح كمثله ، وخلق جبريل في يوم عاشوراء ، وملائكته كمثله ، وخلق آدم في يوم عاشوراء ، وحواء كمثله ، وخلق الجنة في يوم عاشوراء ، وأسكن آدم الجنة في يوم عاشوراء ، وولد إبراهيم عليه السلام في يوم عاشوراء ونجاه الله من النار في يوم

---

(١) السخي : الجواد الكريم المعطاء .

(٢) الموحدين : الذين يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له بصدق .

عاشوراء ؛ وهداه الله في يوم عاشوراء ، وأغرق الله فرعون في يوم عاشوراء ، ورفع عيسى في يوم عاشوراء ، ورفع الله ادريس في يوم عاشوراء ، وولد عيسى بن مريم في يوم عاشوراء ، وتاب الله على آدم في يوم عاشوراء ، وغفر ذنبه في يوم عاشوراء ، واستوت سفينة نوح على الجودي في يوم عاشوراء ، وأخرج يوسف من السجن في يوم عاشوراء ، وتاب الله على قوم يونس في يوم عاشوراء ، وأعطى سليمان الملك يوم عاشوراء ، ويوم القيامة يوم عاشوراء » * ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء *

الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالأثمد[1] يوم عاشوراء لم ترمد عيناه في تلك السنة كلها ، ومن عاد مريضاً يوم عاشوراء ، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الأنبياء الكرام ، ومن سقى مؤمناً شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقي جميع ذرية آدم وكانوا عطاشا ، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاماً ماضياً وخمسين عاماً مقبلاً ، وبنى له الله ألف منبر من نور الله » عباد الله ارغبوا في فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب ، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب *

روي أن موسى عليه السلام قال : مكتوب في التوراة من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله ، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلاً إلا أعطاه ، ومن كسا فيه عرياناً فكأنما كسا جميع خلق الله ، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحلى والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد

---

(١) الإثمد : حجر يكتحل به يجلو البصر مال للزرقة .

فيه ضالاً دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نوراً ، ومن كظم فيه غيظاً كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى ، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات في الجنة ، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها ، ومن اغتسل في يوم عاشوراء كان عند الله طاهراً ، ومن قرأ آية في كتاب الله في ليلة عاشوراء أو في يومها أعطي من الثواب مثل ما أعطي لإدريس عليه السلام ، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين ، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أو فاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيباً في عباده الخائفين ، ومن أتى عالماً في يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة في دينه وما ينفعه لآخرته أعطي مثل ثواب المهاجرين والأنصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذي يأتي ،ومن صام يوم عاشوراء محتسباً عالماً بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة ألف ملك يدعون له إلى يوم القيامة ، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آكلاً وهو لا يعلم فليمسك عن الأكل في بقيته وله فضله كاملاً إن شاء الله تعالى *

النفقة على العيال

وتستحب النفقة في ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء رجاء فضل الله وطلباً لمرضاته ولوجوب البركة فيه ، فإنه روي « أن من أنفق فيه درهماً أخلف الله له سبعمائة . وكل درهم ينفقه فيه في طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والأرضين السبع » *

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أكثروا خير بيوتكم في ليلة

---

(١) فلنسارع جميعاً بصيام هذا ليوم ، وقيام ليله عسى أن تعمنا نفحاته وبركاته .

عاشوراء ويـومه ووسعـوا فيه على أهـاليكم فيما يحـل ويجمل ، فمن لـه يجد فليوسع خلقه ـ أظنه مع قرابته ـ وليعفُ عمَّن ظلمه .

بنو اسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو اسرائيل ويعظمونه ، وكانت قريش تصـومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فـرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد ﷺ . فيـوم عاشـوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات ، وتـرفع فيـه الدرجـات المرتفعـات ، وتخلف فيه النفقات ، وتكثر فيه البركـات . ويفرح فيـه أهل الفـاقة[1] والحـاجات . يـوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال ؛ ويوسع فيه على العيال ، وتزكـوا فيه الأفعـال والأقوال ، ويرحم فيه عبيده ذو إلا كرام والجلال . يوم عاشوراء يوم توصل فيه الأرحـام ، وتـربـح فيـه الكـرام ، وتخسـر فيــه اللئـام ، لمخــالفتهم القـرآن والأحكـام ، وعصيـانهم الملك العـلام . يـوم عـاشـوراء تفـرح فيـه الأرامــل والأيتـام ، ويرحم فيـه ذو الجود والإنعـام ، ويغفـر فيـه السيئـات والإجـرام ، ويـوجب لمن أطاعـه دار الخلد والسـلام فـالله الله عبـاد الله إيـاكم أن يضـرب الشيطان على قلوبكم الأقفال ، ويصدكم عن سبيل الكـريم المتعال ، ويفتـح في قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكـاة من أموالكم ويؤ ول بكم ـ إن أطعتمـوه شـر مآل ، يـا أخي البخيل صـاحب الشيطان الـذليل ، يمنـع الزكـاة ، ويقـل النفقـات ، ويفوت نفسـه جميع الخيـرات . فعيشـه في الـدنيـا عيش الفقـراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء فيا معشر المؤمنين كونـوا كرامـاً ولا تكونـوا لئاماً فـإن الكرام في جنة الخلد والنعيم ، واللئـام في عذاب الجحيم فتقـربوا إلى الله في هـذا اليوم بـأداء الزكـاة ، وتطوَّعـوا فيه بـالنـوافـل من الصلوات . فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والسيئات *

(١) أهل الفاقة : الفقراء .

صيامهم له

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى افترض على بني إسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسِّعوا فيه على عيالكم وأهليكم » فمن وسَّع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أجد أحيا ليلة عاشوراء أو أصبح صائماً إلا مات ولم يذق طعم الموت ، يا أخي إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت في هذا اليوم من الطاعات لتبقى بركتها عليك ليوم القيامة ، وما من عبد مؤمن أنفق في يوم عاشوراء درهماً أو مثقالاً إلا أخلف الله تعالى عليه في دنياه سبعين ضعفاً مثل ما أنفق ، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله عباد الله اصنعوا في هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف ، يغيثكم الرب الرحيم الرؤوف *

كل معروف صدقة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كل معروف صدقة ، والمعروف يقي سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء » والمعروف والمنكر منصوبان للناس في المحشر يوم القيامة ، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة ، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى النار . أعاذنا الله وإياكم من النار . فالله الله أحرصوا أن تكونوا من أهل الجنان ، ولا تكونوا من أهل النيران ، واجتهدوا في الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان *

أهل المعروف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ، ووجَّه طلاب

المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما يسر الغيث إلى الأرض المجدبة ليحييها ويحيي أهلها ، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغّض إليهم المعروف وبغّض إليهم فعاله ، وحظر على طلاب المعروف الطلب إليهم وحظر عليهم إعطاءه كما حظر الغيث عن الأرض المجدبة ليهلكها ويهلك أهلها ، وما يغفر الله عز وجل أكثر فالله الله يا أولياء الله يا أهل المعروف . فكونوا من أهل المعروف ، وأعينوا الفقير وأغيثوا الملهوف ، فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث إنه رحيم رؤوف *

إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات ، واعلموا أنه لما عظّم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه إخراج الزكاة ، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى في يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذي معه رغبة في فضل يوم عاشوراء إلا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطى مالاً حلالاً يزكى(١) عليه . فإياكم يا معشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين ، لأنه قد جاء في الخبر أن العبد إذا هم بإخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان في قلبه سبعين باباً من الفقر حتى يحول بينه وبين إخراجه ، فإن مَنَّ اللَّهُ تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكراً من المشركين وقتلهم . ويدل على صحة هذا القول أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم على إخراجها لبس درعه وتقلد بسيفه وأخذ رمحه وركب فرسه فتقول الصحابة رضي الله عنهم مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك ؟ فيقول أنا خارج إلى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكاة فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر ، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك إلى فقر نفسك ، ويصدك

(١) يزكى : أي ينمو ويزيد بأن يجعل الله فيه بركة وقد قال ﷺ : (ما نقص مال من صدقة) .

عما وعدك ربك جل جلاله حيث قال عز وجل ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسعٌ عليم ﴾(١) والله واسع العطاء لأنه جل وتعالى لا ينقص من ملكه ما يخلف على العبد المؤمن الذي يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله . وقوله تعالى ﴿ عليم ﴾ أي عليم بما يفعله العباد من الخير والشر ، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى ، يقول المولى جل جلاله ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾(٢) فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله في الخلف(٣) ولا تطيعوا الشيطان الذي يعدكم الفقر والتلف *

اللعنة على مانع الزكاة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينزل من السماء في كل يوم إثنان وسبعون لعنة على مانعي الزكاة من هذه الأمة وقد سمَّاهم الجليل جل جلاله كفاراً في قوله تعالى ﴿ وويل للمشركين(٤) الذين لا يأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾(٥) وقد ذكر بعض العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الأغنياء من أهل البدو والحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضي وحقوقي ، ثم قال عز وجل للفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) في أموال الأغنياء وقال لهم عز وجل هذه أرزاق الفقراء من عبادي وديعة في أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبي

---

(١) البقرة ٢٦٨ .

(٢) سبأ ٣٩ .

(٣) في الأصل وردت (في الخلق) وهذا لا يصح .

(٤) ووصف عباد المال بأنهم مشركون لأنهم عبدوه من دون الله .

(٥) فصلت ٧ .

وسخطي فإني قد ائتمنتكم عليها *

وقال رسول الله ﷺ « ما من يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش المال مال الله والعباد عباد الله فإن جاع الفقراء عذب الله الأغنياء . فالله الله عباد الله أوفوا لديه بالعهود ، وارغبوا في دار النعيم والخلود ، ومجاورة الملك المعبود *

من شبع وجاع جاره

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائعاً » وقد جاء في الحديث « إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة ويقول : يا رب سل هذا الغني لم منعني معروفه ؟ وسدَّ بابه دوني ؟ » وفي حديث آخر أنه يقول « يا رب سل هذا لم بأت طاعماً وبت إلى جنبه طاوياً ؟ » .

ومما يصدق هذا أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد في وصيته « يا أسامة إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فإنه يقول ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره طاوياً إلى جنبه » *

وقال رسول الله ﷺ « أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعاً وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد بريء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله ﷺ » فيا لها من خسارة لم نتدبرها بعقولنا ، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف ، وزمن[١] لا يمتلكون قيمة رغيف ، فالله الله لا تغتروا بالعز والمال ، وتضيعوا للفقراء وأهل الاقلال ، فإن غاية كل شيء الإنقلاب والإنتقال ، والنفاد والزوال . وقد ذكر في تفسير هذه الآية ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة ﴾[٢] قيل يحرص العبد على جمع الحطام ، والسحت

---

(١) الزمن : الذي أنحي عليه المرض ولم يجد شفاء لعلته .
(٢) البقرة ٦١ .

والحرام ، وكل من أدي زكاة ماله فهو كريم ، قد بريء من وعد الشيطان الرجيم ، ووثق بوعد العزيز الرحيم ، ونجا من العذاب الأليم *

حديث في ذم الشح

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . وأنشدوا :

صافي الكريم فخير من صافيته ... من كان ذا كرم وكان عفيفاً
إنَّ الكريم وإن تضعضع[1] حالُه ... فالفعلُ منه لا يزالُ شريفاً

روي عن النبي ﷺ أنه كان يطوف بالبيت فإذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي . فقال رسول الله ﷺ « ما ذنبك ؟ صفه لي » فقال الرجل هو أعظم من أن أصفه لك يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : « ذنبك أعظم أم الأرضون » ؟ قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال بلى ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال بل ذنبي يا رسول الله ، قال رسول الله ﷺ « ذنبك أعظم أم الله ؟ » قال بل الله أعظم وأجل ، فقال رسول الله ﷺ « ويحك فصف لي ذنبك » قال يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألي شيئاً فكأنما يستقبلني بشعلة من نار[2] قال رسول الله ﷺ « إليك عني لا تحرقني بنارك ، والذي بعثني بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام ، ثم صليت ألف عام وألف عام ، حتى تجري من دموعك الأنهار ، وتسقي بها الأشجار ، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر والكفر في النار ، وويحك أما علمت

---

(١) تضعضع حاله : ساء حاله .

(٢) هذه جبلته وسجيته ، وما أصعب ما تتمكن الصفات من الغرائز فتصبح لصيقة بكيان الإنسان ، ومن مشاهد حياتنا اليومية أن بعض الناس بلغ بهم البخل درجة كبيرة حتى أنهم لا يطيقون أن يروا إنساناً يتصدق بشيء من المال .

أن الله تعالى قال ﴿ ومن يوق شح نفسه فأؤلئك هم المفلحون ﴾[1] وأنشدوا :

إن البخيل إذا ما مات يتبعه سوء الثناء ويحوي الوارث الإبلَا
يرى البخيل سبيلَ المالِ واحدةً إنَّ الجواد يرى في ماله سُبُلَا

عظة في الحض على الزكاة

فالله الله يا معشر المؤمنين كونوا من الأسخياء الصالحين ، ولا تكونوا من البخلاء الفاسقين ، فالبخيل هو شريك الشيطان اللعين ، قال الله تعالى ﴿ وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾[2] فكل مال لا تؤدي زكاته فصاحبه خازن الشيطان[3] ، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان ، حبيب الرحمن ، وامل بالسنة والقرآن ، وناج من عذاب النيران ، وداخل في نعيم الجنان . فكل من مات وترك مالاً قد أدى زكاته فإن صاحبه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة ، وكل من مات وترك مالاً لم يؤد زكاته فلا يزال وزره يجري عليه إلى يوم القيامة ، وإن وصله وقع المال عند من يزكيه ، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه إلا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقاً من نور الجنة يضيء لأهل الجمع من المؤمنين حتى يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة ، وما من عبد لا يؤدي زكاة ماله إلا طوَّقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم لو أن ذلك الطوق وضع في الدنيا لاحترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها وجفت بحارها . فوالله لو

---

(١) الحشر ٩ .

(٢) الإسراء ٦٤ .

(٣) وبعض العلماء يكفرون البخيل والذي لا يؤدي الزكاة إذ أنه عادة من تتوفر فيه هذه الخصلة الذميمة يعزي حرصه على المال إلى خوفه من الأيام وهو بذلك لا يتوكل علي فيكون قد خرج عن الملة ، وقد قال تعالى : ـ ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ .
ولا يتعلق بالمال والدنيا إلا أحمق مأفون ، لا يعرف ولا يقدر العواقب والعاقبة للتقوى .

لم يكن فخر الكريم السخي إلا ذكر الله تعالى له في كتابه لكفي في قوله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام ، وتفضح فيه اللئام . وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وهو يوم النفقة في الله فيه مخلوفة ، والنفقة فيه في غير الله متلوفة . فإذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات ، فأولى أن تغفر فيه الخطيئات ، وتتضاعف فيه الحسنات وينجي الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وتظهر فيه السرائر والخفيات . وأنشدوا :

يا جامعَ المالِ يرجو أن يدوم له ... كل ما استطعت وقدم للموازين
ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت ... وفاته ثلثُ مالي للمساكينِ

روي أن النبي ﷺ سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » *

من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلاً مات بالمدينة من أهل اليمن وخلَّف مالاً كثيراً فأخبر بخبره رسول الله ﷺ فقال : « هل من وارث ؟ » فقالوا لا يا رسول الله ، فقال ﷺ : « من لا وارث له فماله لبيت مال المسلمين » فأمر رسول الله ﷺ أن يحضر المال ، فجيء بالمال إلى المسجد فوضع حتى غاب رسول الله ﷺ من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر من حلى وذهب وورق وثياب . فقال رسول الله ﷺ : « ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين » فرفع كما أمر رسول الله ﷺ ، فالتفت عبد الله بن عمر رضي الله عنه في المسجد فوجد فرصة من ذهب فيها قيراط فقال : يا رسول الله هذه من ذلك المال ، فأخذها رسول الله ﷺ ووضعها في كفه وجعل يقلبها في يده ثم قال ﷺ « لو تصدق بها في حياته حين كان صحيحاً شحيحاً يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحبَّ إليه

من هـذا المال كله يعـطى من بعده في سبيـل الله » فالله الله عبـاد الله اسمعوا صواب المقال ، وبـادروا إلى حسن الفعال ، ولا تغتـروا بالعـز والمال . فـإن المال يذهب ، والدنيا تخرب ، ونفسك تموت ، والمرد غداً إلى الحي الدائم الباقي الذي لا يموت . وأعلم يا أخي أنك مرتهن بـالذنـوب ، وأنت محاسب مطلوب ، مسئول بين يدي علاّم الغيوب ، فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجـدال ، في يوم تشيب فيه الرؤوس ، وتضيق من فظاعة هولة النفوس ، ذلك يوم هائل عبوس . يوم تضع فيه الحوامل أحمـالها ، وتـزلزل الأرض زلـزالها ، وتخـرج بـأمـر الله بعـد ذلـك أثقـالهـا . يـا مغـرور يـا مسكين ، ظلمت الفقـراء والمساكين[١] ، وتركت مالك للوارثين ، ولم تخف من عقوبة رب العـالمين ، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين . وأنشدوا :

ولا تكن كالذي قـد قال إذ حضـرت ... وفـاتـه ثـلثُ مـالي لـلمسـاكيـنِ

روي أن النبي ﷺ سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقـال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهـل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » *

يـا جـامـعَ المـالِ لأولاده ... يخشى عليهم شمت حسـادِهِ
ولا يبـالي كيْف كان الـغنـي ... يـغـتـر بـالله وإيـعـادِهِ
اسمع مقالاً سـوف تحظى بـه ... إن أنت لم تعمـل بـأضـدادِهِ
بـنـوك إن لاذوا بـمـولاهـم ... وتـابـعـوا منهـاج إرشـادِهِ
فـالله يـكفـيهـم ويحـميـهـم ... والله لا خـلف لـمـيـعـادِهِ
وإن يحيدوا عن سبيل الهـدى ... وقـابـلوا الـدين بـإفسـادِهِ

---

(١) وما يجوع فقير أو مسكين إلا بقدر ما يشبع ويطعم ويتخم غني ، ذلك لأن رزق الفقيـر والمسكين في مال هذا أو ذاك البخيل الغني في الدنيا المفلس في الآخرة ، لأنه قد حبس عن هذا الفقير أو المسكين رزقـه . ولذلـك فقد جعـل الله سبحـانـه وتعـالى المـال فتنـة لابتـلاء النـاس فيـه ولابتلائهم به قال تعالى : ـ ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ .

فقد يكن مالك عوناً لهم	في طاعة اللهو وأجنادِهِ

قبل وقف رجل في حلقة منصور بن عمار في يوم عاشوراء فقال : أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل ، وأنفق[1] من كفاف ، وآثر في فاقة . فقال لهم منصور : معشر الناس ما ترك منكم أحداً . فلم يكن أحد في المجلس إلا واساه ، قال منصور بن عمار : اللهم عجِّل لهم بالخلف في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة ، قال منصور فلقد افتقدت أهل مجلسي كلهم واحداً بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال : أخلف الله على سبعين ضعفاً مما أعطيت . قال منصور فأخذتني عيناي فنمت فرأيت قائلاً يقول : أبشر يا منصور قد غفر الله لجميع من كان في ذلك المجلس فأخبرهم بذلك ، وقد غفرت لك فأنت الذي دللتهم على الخير فالله الله يا عباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه *

تحذير من البخل

ذكر في بعض الأخبار أن ملكاً ينادي كل يوم تحت العرش ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر[2] . وأنشدوا :

لا تؤثرن بما جمعت سواكَا	الموت لا تدري متى يغشاكَا
إن البنين مع البنات رأيتهم	يتطلعون ويشتهون فناكَا
من كان يعلم أن مالك ماله	بعد الممات فلا يحب بقاكَا

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا في ثواب يوم فضله الرحمن[3] ،

---

(١) في الأصل (وأمسك) وهو تحريف .

(٢) وفي مسرح الحياة نرى الحياة لا تهون إلا على الفقراء فغالباً ما نراهم حريصين إلى أداء الزكاة المفروضة عليهم وبصدر رحب ونفس راضية ، بينما نرى الأغنياء لا يخرجون منها إلا النذر اليسير قليلاً يخرجون من كثير مفروض عليهم وحسابهم على الله يوم التناد .

(٣) ويقول أحد الفلاسفة : - (لم أجد أكثر الناس عطاءً من البخلاء ، لأنهم ما حرموا الناس بعض =

ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان ، وأناب مؤدي الزكاة إخلاص الإيمان ، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان ، وبين ذلك في القرآن . وأنشدوا :

يا جامعَ المالِ في الدنيا لوارثه ... هل أنت بالمال بعد الموت تنتفعُ
قدِّم لنفسك قبل الموت في مهلٍ ... فإن حظَّك بعد الموتِ ينقطعُ

من أقرض الله فضاعفه له

ذكر أن رجلاً دخل بعض الأسواق في يوم عاشوراء فسمع سائلاً يقول : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم)[1] قال فقام إليه رجل من التجار فأعطاه عشرة دنانير ، فلما كان العام القابل إذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة ؛ فقال الرجل الذي رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير . يا أخي أقسمت عليك أما أنت الذي أعطاك فلان التاجر العشرة دنانير عام أول في يوم عاشوراء ؟ قال نعم ، قال قلت ألم تك فقيراً ذلك اليوم ؟ قال بلى ! قال قلت له فما أغناك ؟ قال لما علم الله صدق نيتي وأني ما أخذت الصدقة إلا وأنا محتاج ، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق بإعطائها بارك لي في تلك العشرة دنانير وأنماها لي حتى وجبت على اليوم عشرة دنانير زكاة في مالي قال فلما سمعت منه ذلك مضيت إلى الرجل الذي كان تصدق عليه بالعشرة دنانير فقلت صف لي قصتك في العام الماضي في يوم عاشوراء إذ جاء الرجل الذي قال . ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ ، فقال الرجل المتصدق إنه لما قرأ هذه الآية وقع في نفسي إن الله سبحانه سيخلف علي في

= الذي منعوا حتى يعطونهم في لحظة كل الذي جمعوا) .
والكريم بسخائه ينفع نفسه وينفع غيره ، ولكن البخيل يؤذي نفسه وينفع غيره .

(١) الحديد ١١ .

الدنيا ويوفيني في الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربي جل جلاله في منامي وهو يقول يا عبدي قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة *

يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس(١) لقتل الحسين رضي الله عنه فيه ، وهذه غاية السخافة في الجهالة وفي معاندة الأخبار عن رسول الله ﷺ ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة في قوله بفضائل يوم عاشوراء ، ولولا البغي والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضي الله عنه إذا استشهد في مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب في ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله ، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين . هذا ورسول الله ﷺ أخبره جبريل عليه السلام بقتله *

الحسين وجده

قالت أم سلمة رضي الله عنها(٢) كان رسول الله ﷺ مع الحسين في منزلي إذ دخلت عليهما فطالعتهما من الباب فإذا الحسين على صدر رسول الله ﷺ يلعب وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من طين ودموعه تجري على خديه ، فلما خرج الحسين دخلت إليه وقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أطلعت عليك وفي يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكي ؟! فقال لها النبي ﷺ إني لما فرحت به وهو على صدري يلعب إذ أتاني جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التي يقتل عليها الحسين ، فلذلك بكيت » *

---

(١) وما ذنب يوم عاشوراء في قتل الحسين ؟ إن في يوم مولد رسول الله ﷺ ولد آلاف المشركين ، فهل ينفعهم ذلك بشيء ؟؟

(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ .

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضي الله عنه في منامه يوم قتل الحسين ، رسول الله ﷺ وبيده قارورة وهو يلتقط شيئاً من الأرض قال فقلت له ما هذا يا رسول الله ، قال قتل ولدي الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه في القارورة وأرفعه إلى الله تعالى . فكان كما رأى رضي الله عنه(١)
وقيل لما خرج الحسين إلى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول :

سأمضي فما في الموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وحارب مجرِمَا
وواسى الرجالَ الصالحين بنفسه ... وخالف مثبورا(٢) ووافق مسلمَا
وجاهد في الرحمن حق جهاده ... كفى بك ذلاً أن تعيش فتغرَمَا

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين : ما وراءك يا أبا فراس ؟ قال أصدقك أم لا ؟ قال الصدق أريد ، قال أما القلوب فمعك ، وأما السيوف فمع بني أمية عليك . قال له الحسين . ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد المال ، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ما ردت به معائشهم ، فإذا تحولوا للإبتلاء قل الديانون . ثم التفت إلى أصحابه وقال . على الخبير سقطنا .

آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن : لم نر هذه الحمرة في السماء إلا حين قتل الحسين .
ووجد على حائط قسطنطين :

أترجو أمةٌ قتلت حسينا ... شفاعةَ جدِّهِ يومَ الحساب *

---

(١) أي مات في اليوم الذي رآه فيه ابن عباس .
(٢) المثبور : الهالك .

ويقال ناحت الجن على قتل الحسين سبعةَ أيـام حتى سمعت من تحت السبع أرضين ، وأبكت الملائكة أجمعين *

حكاية غريبة

وقـال الحذاء بن ربـاح القاضي : رأيت رجـلاً مكفـوفـاً قـد شهـد قتـل الحسين وكان الناس يـأتونـه ويسألـونه عن ذهـاب بصره ؟ قـال فكان يقـول . شهـدت قتـل الحسين ولكني لم أضـرب بسيف ولم أرم بسهم ، فلمـا قتـل الحسين رجعت إلى المنـزل وصليت العشاء الأخيـرة ونمت ، فـأتـاني آت في منـامي فقال لي أجب رسـول الله ﷺ ، فقلت ما لي ولـه ؟ فأخـذني وجـذبني جذبة شديدة وانطلق بي إليه ، فإذا رسول الله ﷺ جـالساً في المحـراب مغتماً حاسراً عن ذراعيه[1] آخذاً بخده وبين يديه نطع[2] وملك قائم بين يديه ، وبين يدي الملك سيف من نار وكان لي تسعة من الأصحاب فقتل أصحـابي التسعة كلما ضرب الملك أحـداً التهبت نفسه نـاراً ، فكلما قـام الملك صاروا أحيـاء فقتلهم مرة بعد أخرى حتى قتلهم سبع مرات ، فدنـوت من النبي ﷺ وحبوت إليه فقلت السلام عليك يا رسول الله ، والله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، فقال لي صدقت ولكن كثرت السواد ، أدن مني فدنوت منه فـإذا طشت مملوء دمـاً من دمـاء الحسين ، فكحلني من ذلـك الـدم فـانتبهت أعمى لا أبصر شيئاً .

حكاية عن قتلة الحسين

وقال الفضل بن الزبير : كنت قاعداً عند السدى فجاءه رجل فجلس إليه فإذا منه ريح قطران ، فقال له السدى : أتبيع قطراناً ؟[3] فقال لا . قال له ما هذه

---

(١) حاسراً عن ذراعيه : كاشفاً عنها .

(٢) النطع : جلد عليه غبار ورماد كثير .

(٣) القطران : الزفت .

الرائحة ؟ قال شهدت عسكر عمر بن سعد[1] فكنت أبيع منهم الأوتاد الحديد ، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله ﷺ في النوم والحسين وعلي معهم وهو يسقي الماء من قتل من أصحاب الحسين ، فاستسقيته فأبى أن يسقيني ، قال : فقال لي : ألست ممن أعان علينا ؟ فقلت بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد ، قال : فقال لعلي أسقه قطراناً[2]، قال فناولني قدحاً فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران ، ثم ذهب ذلك عني وبقيت هذه الرائحة علي . قال فقال له السدي : كل خبز البر وكل من كل النبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعاين الجنة ولا محمد أبداً » *

من استخف بالحسين

حكي أن رجلاً ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال ـ وعلى وجهه الإستخفاف ـ : ما أكثر ما يكذب أهل العراق ويقولون : إنه لم يشهد قتل الحسين أحد إلا أصيب ببلاء ، وإني حضرت يوم قتله ولم يصبني بلاء ولا شيء ، قال وكان ضيفاً عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل ناراً ومات على المكان *

بر سليمان بن عبد الملك للحسين

وحكي عن الحسن البصري أنه قال : رأى سليمان بن عبد الملك في النوم أنه يبره ويلاطفه ، فسأل الحسن عن ذلك فقال لعلك فعلت إلى أهل بيته معروفاً ؟ قال نعم ؟ إني وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمساً من الدِّيباج وصليتُ عليه في جماعة من أصحابي وقبَّرته . فقال

---

(١) عمر بن سعد كان هو واللعين شمر بن ذي الجوشن الذي ذبح الحسين من أشد الناس عداوة لأهل بيت رسول الله فرأى فيهما يزيد بن معاوية إخلاصاً غريباً له فجعلهما يتصديان للحسين رضي الله عنه ، فلم تأخذهما به شفقة ولا رحمة .

(٢) والقطران هو غذاء وشراب أهل النار .

الحسن : إن رسول الله ﷺ قد رضي عنك بسبب ذلك ، فأحسن إلى الحسن البصري وأمر له بالجوائز . فعليكم بحفظ مقام الأشراف ولو كانوا في غاية الإسراف .

في قتل الحسين

ورأيت في كتاب التعازي والعزاء من وضع أبي محمد عبد الله بن محمد البللوري أن الحسين رضوان الله عليه استسقي ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو عطشان ، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة ، وذبح[1] ذبحاً وسبيت[2] حرمه وحملن مكشفات الرؤوس على الأكف بغير وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح ، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حارس بسوطه ، ووقف أهل الذمة لهن في سوق دمشق يبصقون في وجوههن حتى وقفن بباب يزيد ، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحرس وقال : إذا بكت منهن باكية فالطموها . فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وإن أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت يا جداه - تريد رسول الله ﷺ - هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت ، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها ، وشلت يده مكانه وفي هذا يقول الأزدي :

لقد ضلَّ قومٌ أصبحوا في تلدِدِ ... سباياهم في الحرب آلُ محمدِ
كما ضل سعي الناكبين بعجلهم ... فأعقبهم لعناً بدين التهودِ
وموسى وعيسى بُشِّرا بمحمد ... عليه سلامُ الله من متهجدِ
أيا أمة الإسلام يا أمةَ الذي ... هدى الله منا بالنبي كل مهتدِ
وثوب لأبناء النبي فلو ترى ... بنو اللعن إذعنوا لهم بالتهددِ[3]

---

(1) ذبحه المجرم اللعين شمر بن ذي الجوشن .

(2) سبيت حرمه : أُسِرن وأخذن إماءً .

(3) بنو اللعن : هم اليهود المغضوب عليهم .

بسوق دمشق يبصقون وجوههم	فداء لها نفسي وما ملكت يدِي
فما جرى دمعي يا حبيبي بناضب	ولا زند ودي للحسين بمصلدِ(١)

عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوماً فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين يديه إثنا عشر ألف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائدٌ من حشمه تحت يده ألف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال في نفسه : يا ليتني وقت قتل الحسين بن على مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسي ومالي وحشمي ، فرأى بعض الصالحين في منامه رسول الله ﷺ ، فقال له قل لعمرو بن الليث : أطلعنا على ما خطر بقلبك وقبلنا منك ، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل . فجاءه فأخبره فبكى بكاء شديداً *

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ما ذكره وهب بن منبه ، قال وهب بن منبه : أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء ، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال يا آدم هذا خاتم عهدي فإذا نسيت عهدي يا آدم أخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائي من لا ينسى عهدي وأورثه خلافتك ، ففزع آدم وقال يا ربي من هذا الذي تورثه خلافتي ؟ قال الله تعالى ولدك سليمان ، أسلمه من الكبر وأجعله مثلاً للمردة من ولدك الذين يفسدون في أطراف الأرض ويسمون أنفسهم ملوكاً في أكنافها . فأخذه آدم عليه السلام فتختم به فكان يضيء لنوره أشجار الجنة ، وتضحك حور الجنان ، وتميل الخزنة لرؤ يته عجباً منه ومن حسنه وجماله فسبحان من أكرمه واصطفاه ﷺ حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيراناً فزعاً

(١) هذه الأبيات قوية التعبير تدل على عاطفة جياشة قوية ووزنها مستقيم .

مذعوراً حتى استجار بركن من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال : إلهي وسيدي هذا آدم قد رفضني وأنت قد طهرتني به وجعلتني لأهل الطهارة ، فقال الله جل جلاله استقر فلك الأمان ، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لا يملكك أحد بعده أبداً ، فلما اصطفى الله سبحانه سليمان عليه السلام[1] بالخلافة والولاية وأحب أن يرى عباده قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام في ذلك الخاتم وأنزله الله سبحانه إليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة ، وسليمان قائم في محرابه وخلفه إثني عشر سبطاً في كل سبط إثني عشر ألفاً من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم فبينما سليمان عليه السلام في قراءة الزبور إذ ناداه جبريل عليه السلام *

خاتم سليمان

وقال له السلام عليك يا سليمان هذه هدية الله إليك ، خذ هذا الخاتم فتختم به ، فسجد سليمان لله رب العالمين شكراً وسجد من خلفه من أول النهار إلى آخره تعظيماً لله عز وجل وتحميداً له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع إليهم الخاتم فلمع في يده كالبرق الخاطف فقال لهم : هذا خاتم جمع الله لي فيه سلطاني وعزتي وفضلني به على العالمين ، وهو خاتم الطاعة لا يمسه إلا عزيز تقي نقي قالوا له : قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقي النقي الأمين ، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الأول ؛ أنا الله لم أزل وعلى الثاني ، أنا الله الحي القيوم ، وعلى الثالث ، أنا الله العزيز لا عزيز غيري وعزيز من ألبسته إياه ، وعلى الرابع آية الكرسي ، محيط به لا إله إلا الله محمد رسول الله خاتم الأنبياء . فهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام *

---

(١) وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى سليمان وداود واختصهما بالملك والنبوة معاً ، وكانا مع هذا الملك العظيم في غاية القرب من الله سبحانه وتعالى ، تأمل قول سليمان عليه السلام : -
(ذلك من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) .

كيف نجا اسير

وحكى أن أسيراً كان بأيدي الكفار وكانوا يعذبونه ، فلما كان في يوم عاشوراء قال اللهم بحرمة هذا اليوم عليك إلا ما فرجت عني ، قال فلطف الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وأفرجوا عنه ، وقيل خرج أسير في يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه ، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي بحرمة هذا اليوم أسألك أن تنجيني وتحفظني منهم ، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئاً يفطر عليه عند الليل فنام وأطعم وسقى في النوم لفضل يوم عاشوراء . فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب . وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء[1] فاعرفوا حقه وارغبوا في فضله ، لا حرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ما أسلفنا من الأوزار والذنوب ، وستر علينا ما أتينا من القبائح والعيوب *

دعوات صالحة

اللهم كما تبت على آدم في يوم عاشوراء فتب علينا ، وكما نجيت عيسى من الأعداء فنجنا . وكما رفعت إدريس مكاناً عالياً فارفعنا ، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم إرزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل[2] واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل *

---

(١) عباد الله ، هذا يوم مبارك محمود فتحلوا فيه بجميل الخصال وجليل المكارم وصوموا يومه وقوموا ليله واضرعوا إلى الله سبحانه وتعالى وأسألوه من فضله العظيم وخيره العميم أن يشملنا برحمته ورضوانه . آمين .

(٢) هابيل : أحد ولدي آدم وقد كان صالحاً اعتدى عليه أخوه فقتله لأن هابيل قدم قرباناً فتقبل منه ولم يتقبل من أخيه قابيل ، فنفس عليه وحقد على كرامته عند الله .

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم ، وأهلك أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى في اليم(١) *

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى ، وأنزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا *

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمى(٢) .

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما فات منا من طيبات التقى *

اللهم أغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر وما أعلنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم يا عماد من لا عماد له ويا ذخر من لا ذخر له ويا حرز من لا حرز له ويا ناصر من لا ناصر له يا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عثرة العاثرين ويا أرحم الراحمين أجب دعاءنا ولا تحرمنا خير ما عندك بشر ما عندنا .

اللهم إجعلنا ممن شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك وعلى ما سلف(٣) من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الإحسان من نفسك ياذا الجلال والإكرام *

اللهم يا سيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ووجدناك كريماً فدعوناك ولقيناك رحيماً فسألناك *

---

(١) اليم : البحر .

(٢) يقصد بذلك سيدنا يعقوب ، مع أن ما أصاب سيدنا يعقوب كان (عمى هستيري) من جراء حزنه على فراق يوسف .

(٣) ما سلف : ما سبق .

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافية في حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة في حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم في هذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت صرعتنا وآنس في اللحود وحشتنا ، وارحم بين يديك ذل موقفنا ، واغفر لنا ما خفي على الناس من أعمالنا *

اللهم أنظر إلينا النظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزي والعلل *

اللهم لا تجعلنا ممن صرفت عنه وجهك ، ومحوت عنه عفوك ، وأغلقت عنه باب التوبة ، وقطعت من يديه أسباب العصمة(١) وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه ، ووكلته إلى نفسه ، إنك على كل شيء قدير *

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *

اللهم يا ربنا وسيدنا ومولانا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا ما رزقتنا وبارك لنا فيما أعطيتنا ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سلطاناً ولا سبيلاً يا أرحم الراحمين *

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا للعسرى *

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطياك رزقاً طيباً مباركاً فيه *

اللهم إهدنا للهدى وقنا بالتقوى واغفر لنا مغفرة واقية في الدنيا والأخرى *

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلاَّ غفرته ، ولا ديناً إلاَّ قضيته ، ولا همَّاً إلاَّ فرجته ، ولا مريضاً إلا شفيته ، ولا غائباً إلا أدنيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها .

اللهم أدِّ دين المدينين ، وفرج عن المهمومين والمكروبين ، وأكتب سلامة المسافرين في البر والبحر أجمعين ، وجاز اللهم خير المحسنين *

---

(١) العصمة : الحفظ والسلام ، قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ (والله يعصمك من الناس) .

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم منقلبنا ومثوانا وسرنا ونجوانا إليك مردنا ومصيرنا أنت فوق العباد بعزتك ؛ أنت الخالق ونحن المخلوقون ، وأنت المالك ونحن المملوكون أنت الرب ونحن العبيد ، أنت الغني ونحن الفقراء إسمع دعاءنا ولا تقطع منا في كل ما سألناك ورغبنا إليك رجاءنا فإن ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[1] *

---

(١) النور ٣٥ .

١٦ - مجلس في قوله تعالى
﴿الله نور السموات والأرض﴾

قلب المؤمن

مثل ضربه الله المولى البصير السميع ، لقلب العبد المؤمن المطيع ، وما أودعه من الإيمان ، والمعرفة في القرآن ، من نور الملك الرحمن . فقال خالق الطول والعرض ، الذي عبد بالنوافل والفرض ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾[١] أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السموات والأرض . ثم قال تبارك وتعالى ﴿ مثل نوره ﴾ يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن ، وهذا قول جمهور المفسرين ﴿ كمشكاة ﴾ يعني قلب المؤمن ، والمشكاة هي الكوة غير نافذة ، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج ، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجدله منفذاً فتكون الكوة أكثر نوراً مما لو كانت نافذة ، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروباً مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السموات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى ، فإذا كان العبد كذلك

---

(١) النور ٣٥.

تمكن من قلبه الخوف فعنـد ذلك يتبع القرآن والأحكـام ، ويتجنب الفواحش والآثام ، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام . فهذا الصنف الذي أثنى عليـه الله في كتابـه العـزيـز . فقـال الله تعـالى ﴿ إن في خلق السمـوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾[1] ثم نعتهم[2] المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قيامـاً وقعوداً وعلى جنـوبهم ويتفكـرون في خلق السموات والأرض ﴾[3] إلى قـوله ﴿ عـذاب النار ﴾ فلمـا جعـل الله تبارك وتعـالى نور الإيمـان في قلوبهم أيقنوا أن الله عـز وجـل خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهـدي إنما خلق الله ذلـك ليطاع ولا يعصي ، وعلمـوا أن الجنة جـزاء لمن أطاعـه والنار جـزاء لمن عصاه . فاستعملوا قلوبهم بالفكرة ، وجالت أبصارهم في مصنـوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئاً من المنكـرات ، ولا يضيع شيئـاً من الطاعات *

النور هو الهدى

قال بعض أهل العلم : أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى ، وليس المـراد بـه نـور شعـاع ولا ضيـاء لأن الله تبـارك وتعـالى لا يـوصف بلون من الألـوان ، ولا يشبـه بملك ولا إنسـان ، ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصيـر[4] وقـال بعض العلمـاء : هـذا ثـل ضـربـه الله بـارك وتعـالى في وصف نـور محمـد ﷺ الـذي هـدى بـه المؤمنيـن ، واستنقـذهـم به من موارد الهـالكين ، لأن الله تعالى رحم بمحمـد ﷺ العباد ، وأنقـذهم به من جهنم وبئس المهاد . وأوجب لهم الإقتداء بنـور الجنة ، وأعـظم عليهم به

(١) آل عمران ١٩٠ .

(٢) نعتهم : وصفهم .

(٣) آل عمران ١٩١ .

(٤) أسمع به وأبصر ، فالله يسمع ويبصر ولكن ليس كسمعنا أو إبصارنا حاشا لله .

المنة . ثم قال تعالى ﴿ فيها مصباح ﴾ يعني سراجاً ، ﴿ المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾[1] الآية . فشبه الله تعالى القنديل في شدة بياضه وتلألؤه بكوكب دري ، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية ، أي لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها ، ولا غربية أي ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل النهار ، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار ، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأنور لزيتها . ثم قال تعالى ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ﴾ أي ولو لم يسرج به من شدة صفائه . تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى فقال ﴿ نور على نور ﴾ يعني نور المصباح على نور الزجاجة وصفاء الزيت . وهذا مثل ضربه الملك الجبار ، لقلوب المؤمنين الأبرار ، قال سبحانه وتعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه ﴾[2] فنور الهدى إذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الأسباب المانعةعنه الضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالأعمال الموجبة لدار القرار ، والمنجية من سخط الملك الجبار ، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فإذا صلح صلح جميع الجسد ، وإذا فسد فسد جميع الجسد ، وصلاحه إنما هو بنور الإيمان ، وبنظر الملك الرحمن ، وفساده إنما هو بظلمة العصيان ، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر « إن في ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذ فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب » *

شجرة الزيتون

وقال الله تعالى ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين ﴾[3] وقال عز

(١) الشورى ١١ .

(٢) الزمر ٢٢ .

(٣) المائدة ١٥ .

وجل ﴿ وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾[١] وقال سبحانه ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴾ لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها ، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها ، وهي أفضل ما يكون من الشجر . وهذا مثل ضربه الله تعالى في وصف نبيه محمد ﷺ ، والنور الذي أنزل عليه هو القرآن . فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان ، ولا زيادة ولا نقصان ، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة قال الله تعالى ﴿ بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾[٣] ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ﴾[٤] وقال سبحانه ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم . ثم يقولون هذا من عند الله ﴾[٥] فأخبرنا الملك الرحمن في محكم القرآن ، أنهم أوقعوا في كتبهم الزيادة والنقصان ، والتحريف والبهتان . وخبَّرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[٦] وما حفظ الملك الديان فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا بهتان . فكتابنا قد حفظه الملك الجليل ، فسلم من التحريف والتبديل ، وكذلك حفظ نبيه محمداً ﷺ وعصمه وهداه فقال تعالى في عصمته لنبيه حبيبه وصفيه ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾[٧] وقال تبارك وتعالى في هدايته لنبيه ﴿ ويهديك

---

(١) النساء ١٧٤ .
(٢) الشورى ٥٢ .
(٣) المائدة ٤٤ .
(٤) المائدة ١٣ .
(٥) البقرة ٧٩ .
(٦) الحجر ٩ .
(٧) المائدة ٦٧ .

صراطاً مستقيماً ﴾(١) فاخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم ، وأعاذه من الشيطان الرجيم ، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران ، والعوج والبهتان ، فقال له الديان في محكم القرآن ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾(٢) فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه ما لم يكن يعلم من دقائق العلوم ؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم ، ولا مفرط ولا ملوم ، فأخبرنا الحي القيوم ، عن النبي الصادق المرحوم ، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم ، وقال له ﴿ فتول عنهم وما أنت بملوم ﴾(٣) وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾(٤) فأمره تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ . وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الأبرار ، فقوله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾(٥) فصار المؤمن في عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه ، لما دخل نور الهدى في قلبه . فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم ، المنان المتفضل الكريم ، لنبيه الصادق الأمين ، ولكتابة النور المبين . ثم قال تعالى ﴿ ويضرب الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ﴾(٦) فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون ، أن لو كان كيف كان يكون . ثم إن الله تبارك وتعالى أثني على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين الله في المساجد في جميع الآناء(٧) والأوقات ، الخائفين من عقوبة رب الأرضين

---

(١) الفتح ٢ .
(٢) الأنعام ١٦١ .
(٣) الذاريات ٥٤ .
(٤) المائدة ٦٧ .
(٥) الإسراء ٦٥ .
(٦) النور ٣٥ (ويضرب الله . .) .
(٧) آناء الليل : ساعاته .

والسموات ، فقال رب الأرباب وسيد السادات في محكم الكتاب ﴿ بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها ﴾[1] الآية . أي يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسني وصفاته العلي ، لا يذكر فيها زور ولا بهتان ، ولا غيبة ولا عصيان ، ولا نميمة على اللسان ، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن ، وعبادة الملك الديان ، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم ، لأنها إنما جعلت لأداء فرض العزيز الحكيم *

المساجد لذكر الله

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا سمعتم الأصوات قد علت في المساجد في غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة » *

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا علت الأصوات في المساجد في ذكر الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم اسكتوا يا أولياء الله ، اسكتوا يا أعداء الله ، اسكتوا عليكم لعنة الله » وقوله ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير في كتابه المبين ، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير . قال الله مولانا الذي بيده ضلالنا وهدانا ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[2] وقد نهانا محمد ﷺ عن فضول الكلام في كل مكان . فإذا كان فضول الكلام وبالاً على العباد في غير المساجد ، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام في غير ذكر الله في المساجد *

كلمة السوء

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » * فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على

---

(١) النور ٣٦ .

(٢) الحشر ٧ .

عمـار المسـاجـد المؤمنين . وقـد أثنى عليهم الملك الـرحمن في محكم القرآن ، حيث أوجب لهم الإيمان ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾(1) *

وجاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يقـول الجبار تبارك وتعالى أين جيراني ؟ فتقول الملائكـة مولانـا ومن ينبغي أن يكون جارك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتي أين عمار المساجـد في الدنيـا » .
وأنشد يحيي بن معاذ بعرفات :

إليـك جئنـا وأنـت جئـت بـنـا ... ولـيس شـيء سـواك يـغـنـيـنـا
فـنـاك رحـب وأنـت ذو كـرمٍ ... تـدعـو إلى بـابـك المسـاكـينـا

قال الله تعالى : ﴿ يخافون يوماً تتقلب فيـه القلوبُ والأبصار ﴾(2) يـريد أن القلوب يـوم القيامـة تعرف أمـره يقيناً فتتقلب ، ومـا كانت عليـه من الكفـر والشك في الحساب ، والبعث والثـواب والعقاب ، والنعيم والعـذاب ، فترى الأبصار يومئذ ما كـان عنها مغـطى بقولـه تعالى ﴿ لقـد كنت في غفلة من هذا فكشفنـا عنـك غـطاءك فبصـرك اليـوم حـديـد ﴾(3) وقيـل تتقلب الأبصـار من الكحولة إلى الزرقة ، ومن البصر إلى العمى ، ومن بياض الوجه إلى السواد ، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين ، ومن الأمن إلى الخوف ، ثم لم يـوقنوا بـالبعث حتى عاينـوه ، ولم يصدقـوا بالعـذاب حتى شاهـدوه . ثم ضـرب الله تبارك وتعالى مثلاً للكافـرين فقال تعـالى : ﴿ والذين كفـروا أعمالهم كسـراب بقيعـة يحسبـه الـظمـآنُ مـاء ﴾(4) يـراه من البعـد ﴿ حتى إذا جـاءه لم يجـده شيئاً ﴾(5) كذلك الكافر بحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاء

---

(1) التوبة ١٨ .
(2) النور ٣٧ .
(3) ق ٢٢ .
(4) النور ٣٩ .
(5) النور ٤٠ .

وحسرة عليه لأن الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر ، لأنه عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى ، ولا ينفع من الأعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصاً ، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الإيمان ، ومن زوال النعمة بعد الإحسان ، ومن القطيعة والحرمان ، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان ، ومن ترك العز واتباع الهوان ، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان .

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى : ﴿ يسبح له فيها ﴾ يعني المساجد ﴿ بالغدو والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله ﴾[1] فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء[2] ما بلغنا جزءاً واحداً من فناء الإعداد من حق الملك الجواد الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، خير نبي وأكرم إمام ، شاهداً علينا في جميع الإحكام ، وجعل هذه الأمة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام . فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله ؟ ! وتجارتهم مع الله رابحة ، ومحاسنهم لذوي الألباب لائحة . ثناؤهم عطر الأنام ، فهم بين الناس كالأعلام ، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب ، وفي جملتهم يحشر السعيد والنجيب ومن فاخرهم يخب ، ومن حار بهم نكب ، ومن أقلع إليهم بغير ريح عطب ، بدعائهم يستمطر الغمام ، فهو دواء الآلام وشفاء الأسقام وبهم يستنقذ المغلوب ، وبهم يفرج الله عن المكروب ، كروبهم كشف العمى عن القلوب ، وبهم تغفر الخطايا والذنوب ، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب ، وأقلع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب ، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب . وأنشدوا :

---

(١) النور ٣٧ .

(٢) الرمضاء : الشديدة الحرارة ، من لفح الشمس لرمال الأرض .

وربك لو أبصرتَ يوماً تتابعت ... عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوماً جانبوا النوم وارتدوا ... بأردية التسهاد[1] واستقربوا البعدا
وصاموا نهاراً دائماً ثم أفطروا ... على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم حَسَّنَ الله فعلهم ... وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

رجال جالت قلوبهم في الملكوت ، رجال تفكروا في العظمة والجبروت ، رجال استقاموا على عبادة الحي الذي لا يموت ، رجال خطرت على قلوبهم الأشجان ، وأتعبوا النفوس والأبدان ، وتسربلوا الخوف والأحزان ، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن . شربوا بكأس الزلال مع اليمين ، وتأسوا بسيد المرسلين ، وعملوا أعمال الصالحين ، وأتبعوا سيرة المؤمنين واستقاموا على طريق الهدى والدين . رجال شربوا بكأس الوداد والحب ، فكشف لهم حجب الغيب ، وغفر لهم ما عملوا من ذنب ، فأشعلوا في قلوبهم نيران خوف الملك الرب . رجال أقلقهم خوف الوعيد ، وأنحل أجسامهم التفكر الشديد ، رجال تجنبوا الفواحش والآثام ولذيذ الشراب والطعام ، رجال ليلهم قيام ، ونهارهم صيام ، يطلبون رضا ذي الجلال والإكرام . وأنشدوا :

سُقوا كأس المحبة فاطمأنت ... قلوبهم وهيجها اليقين
إلى ملك تحن إليه شوقاً ... وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلا ... كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وغضوها عمّا لا يحل من النظر ، وشغلوا خواطرهم بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، رجال أزعجوا أنفسهم عن الأوطان ، ولزموا مساجد الملك الرحمن ، وجالت قلوبهم في علوم القرآن ، وما واعدهم وتواعدهم به الماجد الديان . وأنشدوا :

---

(١) التسهاد : من السهاد وهو عدم النوم .

اختصم الطرف[1] مع فؤادي ... فـيَّ وصارا إلى عنادِ
فقال طرفي أنا ابتليت ... بطول ليلي وبالسهادِ
وقال قلبي أنا المقلا ... بالكُرَب الصعبة الشدادِ
فقال جسمي : قتلتماني ... أنا الذي ذبت في الجهادِ

الزهاد

رجال قد نحلت منهم الأبدان ، وتغيرت منهم المحاسن والألوان ، وخوف العذاب والنيران وشوقاً إلى نعيم الجنان . رجال صحبوا القرآن بحسن العمل ، ولم يغتروا بطول الأمل ، ونصبوا لأعينهم تقريب الأجل ، وسمت هممهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل ، فلو رأيتهم لرأيت قوماً يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وعقول زائلة ، وخواطر في عظمته جل جلاله جائلة . وأنشدوا :

لله قوم شروا لله أنفسهم ... فأتعبوها بزجر الله أزماناَ
أما النهار فقد وافوا صيامهم ... وفي الظلام تراهم فيه رهباناَ
أبدانهم أتعبت في الله أنفسهم ... وأنفس أتعبت في الله أبداناَ
ذابت لحومهم خوفَ العذابِ غداً ... وقطَّعوا الليلَ تسبيحاً وقرآناَ

رجالٌ إذا نظروا اعتبروا ، وإذا سكتوا تفكروا ، وإذا ابتلوا استرجعوا ، وإذا جهل عليهم حلموا ، وإذا علموا تواضعوا ، وإذا عملوا رفقوا ، وإذا سئلوا بذلوا عوناً للوارد ، وتفضيلاً للقاصد ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق[2] قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة والصواب ، وحاسبوا أنفسهم قبل يوم الحساب ، وخافوا من عقوبة رب الأرباب . رجال لزموا البكاء والعويل ،

---

(١) الطرف : النظر ، أي خاصمت عيني فؤادي .
(٢) الودق : المطر .

ورضوا من الدنيا بالقليل ، فأزمعوا إلى الآخرة التحويل ، ورغبوا في ثواب الملك الجليل ، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل ، وتمسكوا بالسنة والتنزيل ، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل ، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل ، الهائل المنظر الطويل . وأنشدوا :

لله قوم لدارِ الخلد أخلصهم ... وخصَّهم بجزيل الملك مولاناَ
فلو تراهم غداً في دارِ ملكهم ... قد توجوا من حلي الكونِ تيجاناَ
وقد دعاهم إلى الفردوس سيدهم ... إلى الزيارة والتسليم ركباناَ
على نجائب دركى تطير بهم ... والخيل[1] من جوهر والسرج مرجاناً
حتى إذا جاوزوا دار السلام[2] وقد ... أبدى لهم وجهه الرحمن سبحاناَ
خرُّوا سجوداً فناداهم بعزته ... إني رضيت بكم قربا وجيراناَ
إني خلقت لكم دار النعيم فلا ... ترون بؤساً ولا تخشون أحزاناَ
هذا النعيمُ الذي لا ينقضي أبداً ... ولا تغيره الأزمان ألوانا
وهو الجزاء لكم مني على عملٍ ... أخلصتموه وكنتم فيَّ إخواناَ

رجال ركبوا فلك السلامةِ ، وجروا بريح الإستقامة ، فقطعوا بحار العطب والندامة ، ونجوا من الأهوال يوم القيامة ، فحظوا في دار المقامة[3] ، وأرسوا في سرمد الكرامة *

خيار الأمة

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خيار أمتي الملأ الأعلى في الدرجات العلى » قوم ضحكوا جهراً من سعة رحمة الله ، وبكوا سراً من خوف عذاب الله .. هم بالغداة والعشي في بيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغباً ورهباً ، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً ، ويشتاقون إليه بقلوبهم غدواً وعشياً .

---

(١) في الأصل هكذا ولعلها محرفة عن الخبل .
(٢) دار السلام : الجنة .
(٣) دار المقامة : من أسماء الجنة أيضاً .

مؤنتهم على الناس قليلة ، وعلى أنفسهم ثقيلة ، يدبون على الأرض حفاة أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ، ولا ميل ولا ترح . يمشون بالسكينة والوقار ، ويتقربون بالوسيلة إلى الملك الجبار . يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن ، ويتلون القرآن ، ويشفقون من عذاب النيران ، ويخافون يوماً يكثر فيه الويل والأحزان ، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان ، ولم يأمنوا مكر الملك الديَّان ، رجالٌ تعوقوا ريب المنون ، وجزعوا من السابقة في الغيب المكنون ، فحال بينهم وبين ما يشتهون ، ينتظرون الخاتمة كيف تكون ، أولئك أولياء الله الصالحون ﴿ أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون ﴾[1] رجال المساجد مأواهم ، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم ، تركوا المعاصي خوفاً من الحساب والسؤال ، وبادروا إلى الطاعة وحسن الأعمال ، وتنزهوا عن الغي واللهو والمحال ، وحادوا عن طريق كل مطرود بَطَّال ، وأشفقوا من عقوبة ذي المجد والجلال ، وعملوا ليوم لا بيعٌ فيه ولا خلالٌ . وأنشدوا :

لله قوم أخلصوا في حبه ... اختصهم ورضى بهم خُدَّاماَ
قومٌ إذا هجم الظلام عليهم ... قاموا فكانوا سُجَّداً وقياماَ
يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياماَ
خمص البطونِ من الحرامِ أعفةٌ ... لا يعرفون سوى الحلالِ طعاماَ
فسيفرحون بوردِ حوضِ محمدٍ ... وسيسكنون من الجنان خياماَ

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلاً ، وبدلوها تبديلاً ، ولم يشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً ، وعلموا أن وراءهم يوماً عبوساً هائلاً ثقيلاً ، وأن أمامهم من الموت خطباً جليلاً ، وبدَّلت عيونهم وقلوبهم بكاءً ونوحاً وعويلاً ، حين سمعوا مولاهم يقول ﴿ كان وعده مفعولاً ﴾[2] رجال قطعوا الأيام والليالي بالتفكير ، وخافوا من هول يومٍ عبوس قمطرير ، وجالت قلوبهم خوفَ العلي الكبير ،

---

(١) المجادلة ٢٢ .

(٢) المزمل ١٨ .

فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ، ويجاورون السيد النذير البشير ، في جنة ليس فيها شمسٌ ولا زمهرير ، رجال اطمأنت قلوبهم بِذكر الرحمنْ ، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان ، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان ، واتبعوا السنة وأحكام القرآن ، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان ، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان ، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان ، ومتعهم بالحور الغنجات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فأخبرنا الجليل جل جلاله في محكم القرآن ، عما أتاهم به من الجود والإمتنان ، فقال تعالى ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾(١) ؟ فالإحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله ، والإحسان من الله في الآخرة الجنة . فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ، ونهاية العطاء .

صفة المؤمنين

روي أن النبي ﷺ قال لطائفة من المؤمنين : « ما أنتم ؟ » قالوا : نحن المؤمنون ، فقال « ما علامة إيمانكم ؟ » قالوا : نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرجاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال « مؤمنون ورب الكعبة » وقيل أحسن الأشياء أن يكون العبد رقيباً على باطنه وظاهره لأن الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾(٢) فتكون أنت أيها العبد تراقبه في سرائرك وعلانيتك ، وظاهرك وباطنك ، وحركاتك وسكناتك ، وتعلم أنه رقيب عليك ، وتستحي ممن هو معك ولا تستحي ممن هو أقرب إليك من حبل الوريد . وقيل : المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب ، وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقاً . والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل وشركاؤنا فيها اليهود والنصارى والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم . فيدعوك الرب جل جلاله

---

(١) الرحمن ٦٠ .

(٢) الرعد ٣٣ .

وهو قوله تعالى ﴿ والله يدعو إلى دارِ السلام ﴾ الآية . وتأبى أنت عليه فيقول الله سبحانه يا عبدي لا تذنب في الدنيا ، رأفة منه لعبده ، فيقول العبد : لا بد لي من الذنوب ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فتب إلى أقبلك على ما كان منك ، فيقول العبد لا أفعل لأنني مبتلي بالأهل والبطن والفرج ، فيقول الرب جل جلاله عبدي فكن مكانك حتى أوتيك فيقول العبد ربي أي شيء تؤتين ؟ فيقول الله عز وجل الجوع والفقر والعرى والمرض ، فيقول العبد لا حاجة لي في هذا . ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك . قال فتقول الملائكة عند ذلك يا رب أما تستجيب لعبدك هذا أما ترحمه ؟ فيقول الله عز وجل سوف يحمدني عبدي إذا أدخلته الجنة . قال فإذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنة . فيقول العبد ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾[1] الآية . فيقول الرب جل جلاله الآن يحمدني عبدي وكان في دار الدنيا يلومني ، ويشكو إلى نظري إليه وكان أصلح له مما كان يريده لنفسه . فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته مني ووصلته جنتي فادن مني يا عبدي بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتي له والنظر إلى وجهي . لا أحرمنا الله النظر إلى وجهه الكريم ، وأدخلنا برحمته جنات النعيم *

---

(١) الأعراف ٤٣ .

١٧ - مجلس في قوله تعالى
﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبيِّ يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليما﴾

إعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين ، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين ، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفاً وتكريماً ، وصلت عليه ملائكته تفضيلاً وتعظيماً ، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاماً كريماً ، فقال من لم يزل سميعاً عليماً عليّاً عظيماً ﴿ إنَّ الله وملائكته يصلُّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾(١) فاجتهدوا بنا يا معاشر الإسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام فعسى ، أن يشفعه فينا يوم تشقق السَّماء بالغمام *

ذكر في بعض الأخبار أن ما من ملك ولا نبي ولا ولي ولا صفي ولا صديق ولا شهيد ولا تقي ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيامة : بحرمة محمد أن تنجيني من عذابك ، وما من عبد ﷺ وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضي الله عنه إلا قضى الله تعالى حاجته ، وصرف عنه عند صلاته على محمد ﷺ سبعين نوعاً من البلاء في بدنه وفي دينه وفي ماله وفي أهله . ورفع له سبعين

---

(١) الأحزاب ٥٦ .

درجة في الجنة . اللهم صل على النبي محمد المختار ، وسيد الأنبياء والأبرار ، وزين المرسلين الأخيار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار ، أبي القاسم الأوَّاب المختار . وأنشدوا :

صلَّى الإله وكلُّ عبدٍ صالحٍ والطيبون على السراج الواضحِ
المصطفى خيرُ الأنامِ محمد الطاهرُ العلمِ الضياءِ اللائحِ
زينُ الأنامِ المرتضى علمِ الهدى الصادق البر الوفي الناصِح
صلّى عليه اللهُ ما هبَّت صبا[1] وتجاوبت ورقُ الحمامِ النائِحِ

وذكر في بعض الأخبار أن ما من بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد ﷺ إلا تصير روضة من رياض الجنة ، وحصناً وحجاباً بين المصلين وبين حجاب النار . فاجتهدوا في الصلاة على محمد يا معشر المؤمنين والمؤمنات ، وتحصنوا بها من العذاب الشديد *

الصلاة على النبي وشفاعته

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة علي فإني أشفع لكم على قدر ذلك » . وأنشدوا :

صلى الإله على قدر الحبيب ومن وسط المدينة يعلو فوقه النورُ
رفعت قريش (هنالك) نعش سيدها فثم ثكل التقي والبر مقبورُ
وثم خير عباد الله كلهم وثم أكرم خلق الله محبورُ[2]

---

(١) الصبا : هي ريح ، ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ، ومقابلتها الدَّبور .

(٢) المحبور : المسرور .

عباد الله تحصنوا من العذاب والويل ، بإكثار الصلاة على نبينا محمد في النهار والليل *

ذكر في بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوباً من اشتاق إلى رحمتي رحمته ، ومن سألني أعطيته ، ومن لم يسألني لم أنسه ، ومن تقرب إليَّ بقدر محمد ﷺ غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . فالله الله يا أمة محمد ويا أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع في شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد ﷺ فإن قدره عند الله عظيم . فأكثروا عباد الله الكريم ، يا معشر من آمن بالله العظيم ، الصلاة على محمد الكريم والنبي السيد الرؤوف الرحيم ، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم ، ويدخلكم جنات الخلد والنعيم ، إنه هو الحكيم العليم *

الصلاة عليه في يوم الجمعة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي في يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة »(١) . فالله الله يا معشر المؤمنين والمؤمنات ، أكثروا من الصلاة على حبيبكم محمد في جميع الأيام والأوقات ، والأحايين والساعات ، عسى الله أن يخلصكم من الأهوال والآفات ، والعذاب والعقوبات ، ويدخلكم الجنات العاليات ، يوم تبدل الأرض والسموات . وأنشدوا :

صلُّوا على المصطفى زلفى(٢) تقربكم ... إنَّ الصلاةَ عليه خير ما اكتسبَا
أعلا الأنام على في جلالته ... وأشرف الخلق منسوباً إذا انتسبَا

(١) هذا الحديث موضع نظر ، من ناحيتنا حيث أنه أدعى للإستفهام هل الصلاة على النبي مائة مرة يوم الجمعة تكفر خطايا الإنسان ثمانين سنة أي خطايا العمر على افتراض أنه سيعمر ثمانين عاماً ؟؟؟

هذا ومع عرفاننا ويقيننا بأن الصلاة على النبي ﷺ ، هي من أعظم القربات وأجل العبادات .

(٢) الزلفى : القربى .

وأسرع الناس يومَ العرض مغفرةً إذا العقاب بدا للخلق وانتصبا

حكي عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله ؟ فقال : يا شبلي مرت بي أهوالٌ عظام ، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لساني عند السؤال منه جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب ، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجهاً فحال بيني وبينهما ، فقلت له من أنت ؟ - من بعد ما لقنني حجتي - فقال : أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد ، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد ﷺ لأخلصنك بإذن الله من جميع الأحزان ، ومن عذاب النيران ، ولا أبارحك[1] حتى أدخلك الجنة برحمة الله . فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد ﷺ زين العبَّاد ، الذي خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

من كان يكثر بالصلا ة مؤملاً فضل النبي
أعطاه ربُّ محمدٍ عوناً من اللطف الخفِي

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى ﷺ ، يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك ، ومن نور بصرك إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك ، فأكثر من الصلاة على حبيبي محمد ﷺ . وأنشدوا :

صلى الآله على النبي محمد خير الأنام وجاءه التنزيلُ
وبفضله نطق الكتابُ وبيَّنت بصفاته التوراة والإنجيلُ
ذاك النبي الهاشمي المصطفى قد جاءه الترفيع[2] والتفضيلُ
أسرى به المولى إلى أفق السما فوقَ البراقِ وعندهُ جبريلُ

---

(١) لا أبارحك : لا أفارقك .

(٢) الترفيع : من الترفع .

عجيبة

روي عن محمد بن النعمان رضي الله عنه أنه قال : كنا عند النبي ﷺ فجاءه فتى من الأنصار في حاجة فوسع له رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست هذا الفتى بيني وبينك ؟ » فقال أبو بكر رضي الله عنه . أي والله يا رسول الله إنه ليشق عليَّ أن يكون بيني وبينك أحد *

فضل المصلي وأبو بكر

فقال رسول الله ﷺ : « يا أبا بكر إن هذا الفتى يصلي عليَّ صلاة ، ما يصليها عليَّ أحد من أمتي » فقال أبو بكر رضي الله عنه : كيف يقول يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يقول اللهم صل على محمد عدد من صلَّى عليه ، وصل على محمد عدد من لم يصلِّ عليه ، وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه ، وصل على محمد كما ينبغي أن يصلى عليه » واعلم يا أخي علماً يقيناً لا شك فيه أنه ليس أحد أحظي عند نبينا محمد ﷺ ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة ، لكن خص النبي ﷺ الفتى بإقعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ما حن مشتاق إليه *

حكاية الشافعي عن مؤمني الجن

فما يقوي ما ذكرناه من فضل الأركان الأربعة رضوان الله عليهم

أجمعين ، ما روي عن محمد بن إدريس[1] قال : رأيت بمكة أسقفاً[2] وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذي رغب بك عن دين آبائك ؟ فقال . تبدلت خيراً منه ، فقلت كيف ذلك ؟ قال ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب ، فعلوت لوحاً فلم تزل الأمواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله علي ذلك وقلت آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتيني الله بالفرج ، فلما ذهب النهار خفت علىٍ نفسي من الدواب فعلوت شجرة من تلك الأشجار فنمت على غصن منها ، فلما كان في جوف الليل فإذا بداية على وجه الماء تسبح الله وتقول لا إله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه في الغار ، عمر الفاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل في الدار ، على سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضيهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار . فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (إذا) طلع الفجر ، قالت لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد الهادي الرشيد ، أبو بكر الصديق الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان القتيل الشهيد ، علي ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد د فلما وصلت البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت على نفسي الهلكة فهربت بنفسي أمامها فوقفت فقالت : ما دينك ؟ قلت النصرانية ، فقالت ويلك ارجع إلى الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مؤمني الجن لا ينجو منهم إلا من كان مسلماً ، قلت وكيف الإسلام ؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فقلتها فقالت أتم سلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين . قلت ومن أتاكم بذلك ؟ فقالت قومنا حضروا عند رسول الله ﷺ فسمعوه يقول « إذا

---

(١) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه صاحب المذهب الشافعي .

(٢) الأسقف رتبة من رتب الكنيسة .

كـان يوم القيـامة تـأتي الجنة فتنـادي بلسان طلق يـا إلهي قد وعـدت أن تشـد أركاني ، فيقول الجليل جل جلاله قد شددت أركانك بأبي بكر وعمـر وعثمان وعلي ، وزينتك بالحسن والحسين ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت لها الرجـوع ، فقال أصبـر حتى تجتاز مـركب ، وإذا مركب تجري فأشرت إليهم فدفعـوا إلي زورقاً ، فلمـا علوت معهم فإذا في المـركب إثني عشر رجلاً كلهم نصارى ، فأخبرتهم خبري فأسلموا عن آخرهم .

فالله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الإسلام ، وعلى هدايتكم لسنـة محمد ﷺ عليه أفضل الصلاة والسـلام ، ومحبتكم لأصحابـه البررة الكـرام ، فقـد فضلكم على جميـع الأنـام ، قـال الله ذو الجـلال والإكـرام ، والـطول والإنعام ﴿ إن الدينَ عند اللهِ الإسلام ﴾[1] ونـرجع إلى مـا كنا فيـه من الصلاة على خير الأنام ، محمد رسول الملك العلام . وأنشدوا :

لهجت بـذكـرك مهجتي ولسـاني ... وحـللت من قـلبي بـكـل مـكـانِ
فـأنـا بـذكـرك في البـريـة كلهـا ... عـلمٌ وحبـك آخـذٌ بـعـنـانِـي
سلطان حبِّك في الهوى عينُ الهـوى ... وبـه تـعـزَّزَ في الـهـوى سلطانِـي
أنـت النبيُّ الـهـاشـميُّ مـحـمـد ... صلَّى الإلـهُ عليـك في الـقـرآنِ
أنت الحبيـبُّ لأهـل دينـك كـلهم ... يـومَ المعـادِ ومـوقفِ الخسـرانِ
أنت الشفيـعُ لمن عصى ربِّ العـلا ... أنت الـدليـلُ لـجنـةِ الـرضـوانِ
فـلأذكـرنـك مـا بقيت معمـراً ... حتى الممـات ولا يـمـل لسـانِـي
فـصـلاةُ ربي مـاجـدٌ ومـهـيـمـنٌ ... تتـرى عليـك تعـاقب الـملوانِ[2]

أوتاد المجالس

روي عن رسـول الله ﷺ أنـه قـال : « إن للمجـالس أوتـاداً جلسـاؤ هم

(١) آل عمران ١٩ .
(٢) الملوان : الليل والنهار .

الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ، ﷺ يقولون أكثروا رحمكم الله ، فإذا استفتحوا في الذكر فتحت لهم أبوابُ الجنة ، واستجيب لهم الدعاء ، وتطلع عليهم الحور العين ، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم ، ما لم يخوضوا في حديث غيره ويتفرقوا » وأنشدوا :

إذا طيَّب النـاسُ المجالسَ بينهم ... مداماً وريحاناً فذكرك طيبنَا
ولو كانت الدنيا نصيباً لأهلها ... فحبك من كلِّ الأماني نصيبنَا
وإن كان حب الخلق بعضاً لبعضهم ... فأنت من الخلقِ الجميعِ حبيبنَا

إخواننا طوبى لمن رزق لساناً رطباً بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله ، طوبي لمن رزقه مولانا لساناً مشغولاً بذكر الإله الكريم . وبالصلاة على الرؤوف الرحيم *

صيغة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال لرجل من أصحابه : « ما قلت البارحة من قول الخير ؟ » قال الرجل : يا رسول الله صلى الله عليك ، قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلوات شيءٌ ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء . فقال رسول الله ﷺ . « لذلك رأيت البارحة الملائكةَ يحفُّون بأزقة المدينة » فأكثروا من الصلاة على سيد الأنبياء ، وأفضل الأحباء وأكرم الأصفياء ، وأجلِّ من ولدت النساء ، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ، وفي الآخرة والأولى . وأنشدوا :

صلى الإله على خير الأنام ومن ... نرجو النجاة به في موضع العطبِ
فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته ... عند الحساب وعند الهم والكربِ

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أولى الناس بي أكثرَهم عليَّ صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يا معشر الإسلام ، وتحصنوا بها من العذاب الغرام[1] وأطلبوا بها رضا الملك العلام ، وأنشدوا :

يا خيرَ مولودٍ تعاظم فخره وأتي بأشرفِ ملةٍ وكتابِ
صلَّى الإلّه عليك يا خير الورى ما أنهل في الآفاق قطرُ سحابِ
يا خيرَ مبعوثٍ إلى خيرِ أمة وأكرم من يدعو لسُبلِ صَوابِ

ثلاثة تحت ظل العرش

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لا ظل إلَّا ظله » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « من فرَّج عن مكروبِ أمتي ، ومن أحيا سنتي ومن أكثر الصلاةَ عليَّ » فاجتهدوا رحمكم الله في التفريج لهموم المكروبين ، وفي إحياء سنة خاتم النبيين ، وفي الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين . وأنشدوا :

صلُّوا على خير الأنام كرامةً وجلالة يا معشر الإسلامِ
فهو النبي المصطفى علمُ الهدى وأدل من يدعو لسُبل قوامِ
نطق الكتابُ بفضلِهِ وجلالِهِ وبفضله ننجو من الأسقامِ
صلُّوا على خيرِ البرية كلِّها ما لاح بدرٌ تحت جُنحِ ظَلاَمِ
فهو السبيلُ لدارِ كلِّ كرامةٍ وهو الدليلُ لجنةٍ وسلامِ
وهو الشفيعُ لمن يدين بدينِهِ ولمن يلوذُ بملةِ الإسلامِ

للصلاة رائحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أنهم قالوا : ما من مجلس يصلي فيه على النبي ﷺ إلا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان

(١) الغرام : الشر والعذاب .

السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبي محمد ﷺ *

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلى عليه . ﷺ وأنشدوا :

تتعـطر الأنفاس مـا ذكـرت ... أخبـاره في المجلس العـطرِ
سبحـان بـاريـه وخـالـقـه ... نـوراً تصوَّر أجمـل الصـورِ
المسـكُ منحـدرٌ ببـردتـة ... والـوجهُ منـه طلعـةُ القمـرِ
يـا صادقـاً فيمـا يخبـرنـا ... بشهـادةِ الأسمـاعِ والنـظرِ
سبحـانَ من أنشـاكَ من بشـرٍ ... يـا سيـداً للخلق والبشـرِ
الـقـولُ تتبعـه شـواهـده ... والخيـرُ مقـرونٌ مـع الخبـرِ
أنـت النـبي بـلا مـدافـعـة ... والمصطفى من خيرة البـدرِ[١]

الإمام الشافعي

روي عن أبي جعفر الطحاوي أنه قال : قال عبدالله بن عبد الحكم رأيت الشافعي رضي الله عنه في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها ، فقلت له ما الذي بلغك هذه المنزلة ؟ قال لي بما في آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد ﷺ ؛ فقلت له وكيف ذلك ؟ فقال لي ، وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . قال فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الأمر كما ذكر . وأنشدوا :

صلُّوا على خيـر الأنـام ومن بـه ... تنجـو العبـادَ بمـوقف الأهـوالِ
إنَّ الصـلاةَ على النبيِّ حبيبنـا ... من أفضـل الأفعـال والأعمـالِ
فهـو النبيُّ المصطفىَ علمُ الهـدى ... الـطيـبُ الأقـوالِ والأفـعـالِ

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار ، وخففوا عن ظهوركم ثقل

(١) هذا جمع على غير قياس فإن جمع البدر هو (بدور) وليس بدر .

الأوزار ، بكثرة الصلاة على النبي المختار *

أبخل الناس

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ » أعوذ بالله من اللئيم البخيل . الذي يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل ، الذي خصّه الله بالكرامة والتفضيل ، وائتمنه على الإيضاح عن بيان التأويل في جميع التنزيل . وأنشدوا :

صلُّوا على القمر المنير إذا بدا ... في موكب من حسنه وجمالهِ
لم يخلق الرحمنُ خلقاً مثله ... في فضله وبهائه وكمالهِ
ختم النبوة طيبه فختامُهُ ... مسكٌ تكوَّن من نسيمِ جلالهِ
صلُّوا على العلم الذي من أمَّهُ[1] ... نال المنى وجري السرور ببالهِ
صلوا على بدرِ التمامِ محبةً ... وكرامةً وجلالةً لجلالهِ
إنَّ الصلاةَ على النبي سلامةٌ ... وتفضُّلٌ وتوسلٌ بجمالهِ
وتوددٌ وتحننٌ وتشوقٌ ... وتوسلٌ وتقربٌ لنوالهِ

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة ، فهو الشفيع لنا يوم القيامة *

أنجاكم أكثركم صلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم عليَّ صلاة » عباد الله الملك الديان ، يا أهل الإسلام والإيمان ، صلُّوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن ، لعله يخلصنا من عذاب النيران . وأنشدوا :

---

(١) أمَّه : قصده .

صلُّوا على ماجد جلَّت مآثره[1] وأكثر الخلقِ إفضالاً وإحساناَ
أتى العبادَ وقد ضلَّت مسالكهم فأوضح الحقَّ تبياناً وبرهاناَ
وبيَّن الدينَ بالتذكيرِ مجتهداً وأظهرَ الشرعَ أحكاماً وقرآناَ
وأنقذَ الخلقَ من نارِ السمومِ لظى[2] وأوردَ الناسَ جناتٍ ورضْوَاناَ
لا تبغ طيباً إذا ما كنت ذاكره ولا ترد بعده روحاً وريحاناَ
فيه الجنانُ وفيه الحسنُ مجتمعٌ والنبلُ والظرفُ أشكالاً وألواناَ
فالحمد لله إذ كنا له تبعاً لقد تفضلَ بالخيراتِ مولاناَ

ثمرة الصلاة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى عليَّ صلاة تعظيماً لحقي خلق الله تعالى من ذلك القول ملكاً جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الأرض السابعة السفلى وعنقه ملوي تحت العرش يقول الله تعالى له صل على عبدي كما صلى على نبيي محمد فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة » أحبابي تحصنوا من أليم العذاب ، وارغبوا في جزيل الثواب ، بالصلاة على النبي الصادق الأواب[3] .

اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمداً ﷺ حبيباً أقسم بحياته فقال تعالى ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[4] فهذه غاية المحبة . ولما أحب الله تعالى أن يصلي العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب ، ثم ثنى بملائكته البعيد منهم والقريب ، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلي على محمد هو وملائكته ، ثم أمر بالصلاة

---

(١) مآثره : فضائله .
(٢) اللظى : اللهيب .
(٣) الأواب : التائب .
(٤) يعمهون : الذين يتحيرون .

عليه أهل الايمان ، لينجيهم بها من عذاب النيران ، فقال الملك الرحمن ، في محكم القرآن ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً ﴾ فكأنه قال جل وتعالى عبدي قد أعلمتك أني أصلي على محمد حبيبي وملائكتي تصلي عليه ، فمن أكثر الصلاة علي محمد الحبيب ، جعلت له من الجنة أوفرَ نصيب ، وكان رفيقاً وجاراً لأبي القاسم الحبيب . وأنشدوا :

صلَّى الإلهُ بعظمهِ وجلالهِ ثم الملائكةُ الكرامُ على النبيِ
فهو الحبيبُ لربناَ ربِّ العلا وهو الدليلُ لجنةٍ لا تختبيِ[1]

الملائكة تستغفر للمصلي

ذكر في بعض الأخبار أن العبد المؤمن أو الأمة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد ﷺ فتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش ، فلا يبقى ملك في السموات إلا صلَّى على محمد ﷺ ، ويستغفرون لذلك العبد أو الأمة ما دام العبد أو الأمة يصلي على النبي ﷺ . وأنشدوا :

صلُّوا بنا يا معشرَ الإسلامِ على النبي الواضح الأحكامِ
نطقَ الكتابَ بفضله وجلالهِ وبفضله ننجوا من الإجرامِ

مقام الشبلي

حكي عن بعضهم أنه قال : كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالساً إذ أقبل الشبلي[2] فقام أبو بكر إليه فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت يا سيدي تفعل هذا بالشبلي وأهل بغداد يقولون عنه إنه مجنون ؟ ! فقال قد فعلت به كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل به ، وذلك أني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد أقبل

(١) أي لا يخبو نورها .
(٢) الشبلي : رجل صوفي زاهد .

الشبلي فقام النبي ﷺ فعانقه وقبله بين عينيه ، فقلت له يا رسول الله تفعل هذا بالشبلي ؟ ! فقال ﷺ نعم لأنه يقرأ في آخر كل صلاة ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم ﴾ الآية . ثم يتبعها بالصلاة علي . وأنشدوا :

صلاةُ ربٍّ كريم ماجدٍ صمدِ ... على النبي الذي قد نال تفضيلاَ
صلَّى عليه إلهُ العرشِ خالقنَا ... جاء الكتابُ بذا وحياً وتنزيلاَ
فهو الدليلُ لأهلِ الخيرِ كلِّهم ... لمن أراد (إلى) الفردوسِ تحويلاَ
ومن أرادَ فراراً عن تمردهِ ... ومن أراد (له) الرحمنُ توصيلاَ
هذا بيانُ لأهلِ الفضلِ كلهم ... يعجِّلون لدارِ الخلدِ تعجيلاَ

عباد الله ارغبوا في هذا الملكِ الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، بإكثار الصلاة على محمد الأصيل ، النبي السيد النبيل ، الذي جاء بالوحي والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل ، وجاءه الأمين جبريل ، بالتكريم والتفضيل ، وأسري به الجليل ، في الليل البهيم الطويل . كشف له عن أعلا الملكوت ، وأراه أسنى الجبروت ، ونظر إلى قدرة الحي الذي لا يموت . فلقد رأى في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبري ، وانتهى إلى سدرة المنتهى[(١)] . وأنشدوا :

صلُّوا على خيرِ الأنام محمدِ ... فهو الدليل إلى السبيل المرشدِ
صلَّى عليه الربُّ ما دام الدجى ... ومضى النهارُ وفي الظلامِ الأسودِ

إبلاغ الصلاة إلى الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ، فليس أحدٌ من أمتي يصلي علي إلا قال ذلك الملك : يا محمد فلان بن فلان يصلي عليك صلى الله عليك ، وضمن لي الرب عز وجل أن من صلى علي صلاةً صلى

---

(١) السدر : شجر التبق ، وسدرة المنتهي : شجرة عظيمة تحت العرش .

الله عليه بها عشراً ، وإن زاد زاده الله » فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الحميم ، والفوز والخلد في جنات النعيم ، فأكثروا من الصلاة على النبي الكريم ، والرسول الرؤوف الرحيم *

صلاة الملائكة

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلَّى عليَّ صلت عليه الملائكة ، ومن صلَّت عليه الملائكة صلى عليه ربُّه ؛ فليقل العبد أو ليكثر » واعلموا أن الفاجر الشقي الذي يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبي ﷺ وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه . نعوذ بالله من لسان جامد ، عن الصلاة على النبي ﷺ رسول الملك الماجد ، العزيز الفرد الصمد الواحد . وأنشدوا :

صلوا على النور البهي محمد ... إنَّ الصلاةَ عليه تنجي من لظَى
فهو الدليلُ إذا اهتديتَ بنورِهِ ... وهو الرسولُ فذاك مصباحُ الهدَى

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الله تعالى وهب ذنوبكم عند الإستغفار[1] فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلاَّ الله رجح ميزانه ، ومن صلَّى عليَّ كنت شفيعه يومَ القيامة » عباد الله ارغبوا في الشفاعة ، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة ، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السنة والجماعة . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله خالقه ... ومحمداً قد جاء بالقرآنِ
فليكثر التسليمَ بعد صلاتِهِ ... للطيِّب المبعوثِ بالتبيانِ
الهاشميُّ الأبطحي محمدٌ ... خيرُ الأنامِ وزين كلِّ مكانِ

---

(١) قال تعالى : ـ ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ .

من كتب الصلاة في كتاب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام إسمي في ذلك الكتاب » فيا معشر المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات أطيعوا رب الأرضين والسموات ، بالصلاة على سيِّدِ السادات . وأنشدوا :

جُدْ بالصلاةِ على خير الوري كرماً ذاك النبيُّ الذي قد جاء بالنورِ
فهو الإمامُ لأهلِ الحقِّ كلهم وهو الدليلُ على الولدانِ والحورِ

الصلاة تبلغه عن العباد

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « تباهوا بالصلاة عليَّ فإنها تبلغني » فبلغوا صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم ، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته ، وأن يجعلكم من أمته ، وأن يجعله شفيعكم من النار ، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار ، إلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى وكَّل بي ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلي علي إلا قال الملكان مجيبين آمين ، فيقول الله تعالى جواباً للملكين آمين ، ولا أذكر عند أحد فلا يصلي علي إلا قال الملكان لا غفر الله لك ، فيقول الله تعالى وملائكته جواباً لقول الملكين آمين »[1] فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبي الفاضل الزكي ولا يصلي عليه ، ﷺ وملائكته وبلغ سلامنا إليه . وأنشدوا :

---

(١) تتبع الفرق الاسلامية منذ العصر الأول إلى الآن أن كلا منها يدعى أنه هو وحده المتمسك بالسنة وأن عليه انعقاد الجماعة ومن يخالفه مخالف للجماعة . وتلك والله دعوى أضلت كثيراً من الناس ونص الحديث الشريف (ما أنا عليه وأصحابي) وقيل إن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ولكن من نعمة الله على الأمة الاسلامية أنها تتفق جميعها في الأصول وتختلف في بعض الفروع وليس بين الطوائف والنحل الإسلامية مثل ما في المذاهب المسيحية .

صلُّوا بنـا فـي الـليـلِ والـنهـارِ ... عـلى النبي الـصـادق الـمـختـارِ
أسرى به الـرحمنُ في جنح الـدجى ... قـد جـاء فـي الـقـرآن والآثـارِ
الهـاشميُّ المصـطفى خيـرُ الـوري ... الـطائـعُ الأوَّابُ لـلـجـبـارِ
صلوا على المبعـوثِ يـا أهـلَ النهى ... مـن جـاء بـالتـنـزيـلِ والأخبـارِ

حسنات الحرم

روي عن النبي ﷺ أنـه قال : « من صلَّى عليَّ من أمَّتيِ كتبت لـه عشرُ حسنـاتٍ من حسناتِ الحـرم » قيل يـا رسول الله ومـا حسنات الحـرم ؟ قال : « الحسنة بسبعمائة حسنة » يا أخي هذا والله قولٌ يسير وثوابٌ كثير *

الصلاة صلة تعارف

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ليردن عليَّ أقوامٌ يوم القيامة عند حوضي مـا أعـرفهم إلاَّ بكثـرة الصَّـلاة علي » عبـاد الله أنتم تـرون نبيكم وحبيبكم وصفيكم ، فـأكثروا من الصـلاة عليه فعسى يعـرفكم بكثـرة الصَّـلاةِ عليـه لأن الصلاةَ عليه نـورٌ لصاحبـه يوم القيـامة ، فعلى قـدر الصلاة على الهـاشمي[١] القرشي التهامي الأمي الأبطحي يكون النـور المضيء الذي يعـرف به المؤمن التقي ، ومن لا يكثـر الصـلاة على هـذا النبي فهـو مبعـد مـطرود شقي . يـا إخـواني في الله صلوا على شجـرة غـرسهـا الملك الجليـل ، وجعـل أصلهـا الخليل ، وجعل خلالها التفضيـل وزينها بـالتنزيـل ، وجعل رقيقهـا جبريـل ، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل . أصـولها عـربية ، وأغصـانها مضـرية ، وأوراقها قرشية ، وثمرتها تهامية ، غرسها الملك الديـان ، وأخضع لهـا جميع الإنسَ والجان ، فصلوا عليه يا معشر الإخوان وأنشدوا :

الله فضَّـلَ خيـرَ الخلقِ بـالكـرمِ ... وأفضلَ الناسِ من عربٍ ومن عجمِ

---

(١) الهاشمي : نسبة إلى بني هاشم .

هـو النبيُّ الـذي فـاقت فضـائِلُهُ وخصَّـهُ اللَّهُ بـالتنـزيـل والحكمِ
اختـصـه بكتـاب بـيِّنٍ عَـلَمٍ هَـدْيٍ العبادَ به من غمة الـظُّلَمِ
الله فـضَّـله الله أكـرمـه الله أرسـله مـن جـمـلة الأمـمِ
صلُّوا (عليـه) عبـادَ الله كلكمـوا إنَّ الصـلاةَ لـه تُنْجِي مِنَ النقمِ

عباد الله طيِّبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد ﷺ *

طيب مجلس صُلِّي فيه عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا عن غير صلاة عليَّ إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار » فإذا كان المجلس الذي لا يصلي فيه على النبي ﷺ تفرَّق أهلُه عن أنتن من جيفة حمار ، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار . وذلك أن النبي ﷺ كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين ، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك ، فكذلك مجلس يذكر فيه النبي ﷺ نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش ويجد كل من خلق الله ريحها في الأرض غير الإنس والجن فإنهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل منهم بلذته عن معيشته ، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات ، ويرفع لهم درجات ، سواء كان في المجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الأجر مثل هذا العدد ، وما عند الله تعالى أكثر . فيا أحباب رسول الله ﷺ صلوا على حبيب غذي بماء الوصال وكسي ثوب الجمال والكمال ، وزيِّن بكتاب الكريم المتعال *

حكاية نسَّاخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : كان لي جارٌ نسَّاخ فمات فرأيته في المنام في حالة حسنة فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي على ما كان

مني ، فقلت له بم كان ذلك ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم النبي ﷺ صليت عليه ﷺ فغفر لي بذلك وأعطاني ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر فأكثروا من الصلاة عليه ﷺ تسليماً كثيراً . وأنشدوا :

نور النبي علا على الأنوارِ ... فهو الدليلُ لسبل دار قرارِ
صلُّوا عليه لعلكم تنجوا به ... يومَ الحسابِ وكشفة الأسرارِ
صلُّوا على القمرِ المنيرِ إذا بدا ... فهو الحبيبُ لربناَ الجبَّارِ
صلُّوا على نورٍ تكوَّن بالهدى ... فهو الشفيعُ لصاحبِ الأوزارِ

عباد الله ارغبوا فيما رغَّبكم فيه الملك القهار ، من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار ، ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار ، فإن الله ينجيكم بها من عذاب النار ، ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار . الصلاة على النبي فضيلةٌ جزيلةٌ ، والصلاة على أصحابه سنةٌ وفضيلة والصلاةُ على الملائكة قربةٌ ووسيلةٌ ، صلُّوا رحمكم الله على النبي الرفيع ، والنور البديع ، والحبيب الشفيع . أكرم من ولد ، وأعز من فقد . وأنشدوا :

صلاةُ ربٍّ ماجدٍ وهَّابِ ... على النبيٍّ الصادقِ الأوَّابِ(١)
صلُّوا على المختارِ أنوار الهدى ... صلُّوا عليه معشرَ الأحبابِ
صلُّوا على النور البهيِّ محمد ... صلُّوا عليه جماعةَ الأصحابِ

عدد الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً ، ومن صلى عليَّ عشراً صلَّى الله عليه مائة مرة ، ومن صلَّى علي مائةَ صلى الله عليه بها ألفاً ، ومن صلَّى علي ألفاً ، حرَّمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقولِ الثابتِ في القبر عند المسألة ، وجاءت صلاته عليَّ نوراً

---

(١) الأواب : الكثير الإنابة والرجوع إلى الله .

يضيء له الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وبنى الله له بكل صلاةٍ صلاَّها عليَّ قصراً في الجنة قل ذلك أو أكثر » وأنشدوا :

صلُّوا على المختار من آل هاشم   وخير نبي خصه بالمكارمِ
ومن بيَّن الرحمنُ في الذكرِ[1] فضلَه   وأوضحَ نورَ العدلِ بعد التظالمِ
وأرسله الجبارُ للناسِ كافةً   مبين محضِ الحلِّ بعد المحارمِ
فذاك لدينِ اللهِ حصنٌ وملجأٌ   وذاك على الأعداء ليثٌ بصارِمِ

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال ، وفكُّوا رقابكم من السلاسل والأغلال وارغبوا في نعيم دار الخلد والجلال ، بصلاتكم على محمد رسول الكبير المتعال *

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى عليَّ ألف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة » فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان ، بإدمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن ، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان . نعوذ بالله من لسانٍ يابسٍ من الصلاة على محمد ، وإذا أراد الله بعبد خيراً بلَّ لسانه بذكره ، وبالصلاة على محمد حبيبه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه . صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة ، الآمر بالمعروف والإستقامة ، الشفيع لأهل الذنوب في عرصاتِ القيامة . اللهم صل على محمد الزاهد ، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاةً دائمةً منتهى الآباد ، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاةً تنجينا بها من جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

صلوا على هذا النبي الأوضحِ   الهاشمي الأبطحي الأفصح
إنَّ الصلاةَ على الشفيع محمدٍ   تبدي الفلاحَ مع النجاح الأنجحِ
فتكثروا من ذكره أهل النُّهى   لا تبتغوا بدلاً بذكرِ الأرجحِ

(١) الذكر : القرآن .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة عليَّ فإن الله يستحي أن يرد عبده في حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين علي ، صلاةً قبل السؤال وصلاةً بعد السؤال » وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد ﷺ *

اللهم صل على محمد صلاةً تزلف بها مثواه ، وتشرف بها عقباه ، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه *

صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة في قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكُم ﴾(١) كأنه يقول من خيركم نفساً ، وأطهركم قلباً ، وأصدقكم قولاً وأزكاكم فعلاً ، وأثبتكم أصلاً ، وأوفاكم عهداً ، وأمكنكم مجداً . من أكرمكم طبعاً ، وأحسنكم صنعاً ، وأطيبكم فرعاً ، وأكثركم طاعةً وسمعاً . من أعلاكم مقاماً ، وأحلاكم كلاماً ، وأوفاكم زماماً ، وأزكاكم سلاماً . من أجلَّكم قدراً ، وأعظمكم فخراً ، وأكثركم شكراً ، وأرفعكم ذكراً ، وأعلاكم أمراً ، وأجملكم صبراً ، وأحسنكم خبراً ، وأقربكم بشراً ، من أبعدكم مكاناً ، وأعظمكم شأناً ، وأرجحكم ميزاناً ، وأولكم إيماناً ، وأوضحكم بياناً ، وأفضلكم لساناً ، وأظهركم سلطاناً ، وأبينكم برهاناً . من أرسخكم قدماً ، وأبينكم علماً وأوصلكم رحماً ، وأبركم قسماً ، وأبعدكم كرماً ، وأرعاكم ذمماً . من أسطعكم نوراً ، وأنوركم سروراً وأجملكم حبوراً وأفضلكم حيًّا ومقبوراً *

صيغة للصلاة

اللهم صل على من إنتخبته من أشرف قبيلة(٢) ، وجعلته إليك أكبر

---

(١) ليلحظ القارىء كلمة (من أنفسكم) وما فيها من الإيحاء والعظمة ، وحب رسول الله ﷺ لأمته وحب أمته له .

(٢) وهي قبيلة قريش .

وسيلة ، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة ، وأعليته إلى المرتبة الجليلة ، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة . اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجاباً ، وتجعلها لنا إلى كرامتك مثاباً ، وتفتح لنا بها إلى الجنة العالية باباً . اللهم صل على محمد عدد قطر الأمطار ، وعدد رمال الأودية والقفار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد زبد البحار ، وعدد مياه الأنهار ، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار ، وعدد أهل الجنة وأهل النار ، وعدد الأبرار والفجار ، وعدد ما يختلج في الليل والنهار ، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجاباً من عذاب دار البوار ، وسبباً لإباحة دار القرار . اللهم صل على محمد النبي المختار ، وسيد الأبرار ، وزين المرسلين الأخيار . وأكرم من أظلم عليه الليلُ وأشرق عليه النهارُ ، أبي القاسم النبي الصادق المختار . اللهم صل عليه عدد من صلّى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل عليه كما تحب أن يصلي عليه ، وصل عليه كما ينبغي أن يصلي عليه . اللهم صل على النبي الصادق الأوّاب ، وعلى ذريته وعلى جميع القرابة والأصحابْ ، وتوفنا اللهم على سنته ، واجعلنا من أهل ولايته ، وانفعنا بهدايته وعنايته ، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الأخيار ، آمين آمين يا أرحم الراحمين .

١٨ - مجلس ثاني في قوله تعالى ﴿إنَّ الله وملائكتَهُ يُصلُّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا﴾(١)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم خليلاً ، وموسى كليماً ، ومحمد ﷺ ولياً وحبيباً ونبياً وصفياً ، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام ، وصلت ملائكته عليه وهم الأصفياء الكرام ، فصلوا بنا معشر الأنام ، على محمد عليه السلام ، رسول ذي الجلال والإكرام ، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام . واعلموا أنه ما من عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام إلاَّ نوَّر الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وشرح صدره ، ويسر أمره ، فأكثروا من الصلاة لعل الله يجعلكم من أهل ملته ، ويستعملكم بسنته ، ويجعله رفيقنا جميعاً في جنته ، فهو المتفضل علينا برحمته *

في الصلاة عشرُ كرامات

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على سيدنا محمد ﷺ عشر كرامات ؟ إحداهن صلاة الملك الجبار ، والثانية شفاعة النبي المختار ، والثالثة الإقتداء بالملائكة الأبرار ، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، والخامسة محو الخطايا والأوزار ، والسادسة قضاء الحوائج والأوطار ،

(١) الأحزاب ٥٦ .

والسابعة تنوير الظواهر والأسرار ، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار ، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار ، والعاشرة سلام الملك الغفار *

أما ولم يقسم الله بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ ، وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾[1] تقدير الآية ؟ أنتم خير أمة أخرجت للناس *

أحاديث في فضل الصلاة

وقال رسول الله ﷺ : « وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله » فأخبر الله تعالى أنه قال ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾[2] يعني محمداً ﷺ ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار ، ووافق أمر الجبار ، وأما محو الخطايا والأوزار ؟

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من صلى علي في يوم جمعة مائة مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة »[3] .

وقال ﷺ : « من صلَّى عليَّ مرةً واحدةً أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنباً ثلاثة أيام » . وأما قضاء الحوائج والأوطار ؟

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « الدعاء بين الصلاتين لا يرد » .

وروي أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الدعاء أفضل ؟ قال : « الصلاة علي » قال : أجعل ثلث عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال ﷺ : « إذاً هديت » قال : أجعل ثلثي عبادتي الصلاة عليك ؟ فقال ﷺ : « إذاً كفيت » قال : أجعل جميع عبادتي الصلاةُ عليك ؟ قال « من جعل جميع عبادته الصلاة عليَّ

---

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) البقرة ٨٣ .

(٣) حديث متفق عليه ولكنه موضع نظر .

قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة » وهذا كله مع أداءِ الفرائض . وأما تنوير الظواهر والأسرار ؟

الصلاةُ تُنوِّر القلب

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال « من أكثر الصلاة عليَّ نوَّر الله قلبَه » وذلك أن الذنوب تسوِّد القلوب لأن العبد إذا عمل ذنباً صار نكتةً سوداء في قلبه ، فإذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله ، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد ﷺ غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال ، فإذا غفرت ذنوبه زالَ السوادُ عن قلبه وبدا فيه النور ، لأن الإسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبي ﷺ ، وذلك أنه لو قال عبد ، لا أرى الصلاة على النبي ﷺ واجبة لكان كافراً ورادا على الله ، وخرج عن دين الإسلام وزال نور الهدى عن قلبه قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدرَه للإسلام فهو على نورٍ من ربه ﴾[1] فهذا بيان واضح من الله . وأنشدوا :

نورُ القلوبِ يزيدُ عند صلاتنا ... للهاشميِّ فنورهُ لا ينجلِي
فضياؤنا من ضوءِ نورِ محمدٍ ... صلُّوا على ذاك النبيِّ الأفضلِ

حكاية في كثرة الصلاة على النبي

روي عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام فصحبني رجل في الطريق كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يجيء ولا يذهب ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا يتطهر ولا ينام ، ولا يتصرف في شيء إلا أكثر من الصلاة على محمد ﷺ ، فسألته عن ذلك فقال : أحدثك بعجب عجيب ، خرجت مرة إلى مكة معي والدي فنزلنا منزلاً في موضع من منازل

---

(١) الزمر ٢٢ .

الطريق فنمت فإذا أنا بهاتف يهتف بي وهو يقول : يا فلان قم فقد أمات الله والدك وقد سوَّد وجهه ، فانتبهت فزعاً مرعوباً مما سمعت فإذا هو راقدٌ وقد غطي وجهه ، فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت ووجهه أسود ، فاشتد حزني لذلك وتحيرت في أمره فغلب عليَّ النوم فإذا أنا بأربعة سودان عند رأسه ، وأربعة عند رجليه بأيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه ، فبينما أنا أنظر فيما يكون من أمر والدي مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذي كنا فيه ، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال : تنحوا عنه ، فتنحى السودان عنه من ساعتهم وغابوا عني فلم أرهم ، ثم أقبل علي والدي فمسح بيده على وجهه فإذا هو أشد بياضاً من الثلج ، والنور قد علا وجهه، ثم أقبل علي فقال لي : بيض الله وجه أبيك وزال عنه السواد ، فقلت له من أنت فجزاك الله عنه خيراً ، قال : أنا محمد رسول الله ، فقلت له يا رسول الله ﷺ ما كان السبب في مجيئك إليه ؟ فقال ﷺ : أما والدك فكان مسرفاً على نفسه غير أنه كان يكثر من الصلاة علي ، فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياثٌ لمن أكثر الصلاة علي ، فقمت من نومي فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو قد إبيض فأخذت في أمره وشرعت في دفنه فما تركت الصلاة على النبي ﷺ بعد ذلك . فإذا كانت الصلاة على النبي ﷺ تورث تنوير الوجه بعد الممات ، فأولى أن تورث تنوير القلوب في الحياة !! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه ﷺ نوراً ، وقد سماه في كتابه سراجاً منيراً ، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب ، قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾[1] ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[2] فمالكم عباد الله غافلون عن هذه الفضيلة ، والنعمة الدائمةِ الجزيلة ؟ وأنشدوا :

---

(١) الزمر ٢٢ .
(٢) النور ٤٠ .

صلُّوا على نورٍ تزايد فخرُهُ يعلو على الأنوارِ والألبابِ
محمدُ زينُ الخلق شرقاً ومغرباً وخيرُ شفيعٍ ناطقٍ بصوابِ
وخيرُ حبيبٍ للإله نبينا وخيرُ رسولٍ عاملٍ بكتابِ
أتى الخلق والأصنامُ تعبد جهرةً وبوَّأهم إبليس شرَّ مآبِ
فأنقذ بالنورِ البهي عبادَهُ وبوَّأهم بالدين حُسنَ مآبِ[1]
فصلُّوا على خيرِ الخلائقِ كلِّهم لتستوجبوا[2] يا قومُ خيرَ ثوابِ

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد ﷺ لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً يسَّر لسانه للصلاة على محمد ﷺ ، وإذا أراد بعبده شراً حبس لسانه عن الصلاة على محمد ﷺ فيكون ذلك سبباً لسوادِ وجهه ، كما أن الصلاة لتنوير القلب . وأما قضاء الحوائج والأوطار *

الصلاة تحل العقد

فما روي أن رسول الله ﷺ قال : « من عُسِّرت عليه حاجةٌ فليكثر من الصلاةِ عليَّ فإنها تحل العقد ، وتكشف الهم والحزن ، وتكثر الأرزاق » . وأنشدوا :

كم بالصلاةِ عليه فاز من رجلٍ وكم رأيتُ بها في الشدةِ الفرجَا

وأما النجاةُ من عذابِ دارِ البوارِ[3] .

الصراط والصلاة

فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الصلاةُ عليَّ نورٌ على الصراط » ومن كان على الصراط من أهل نور الإيمان ، وكثرة الصلاة على رسول الله

(١) حسن مآب : حسن متاب ومرجع وخاتمة .
(٢) تستوجبوا : تستحقوا .
(٣) دار البوار : دار الهلاك والخسران كناية عن جهنم .

ﷺ رسول الملك الرحمن ، فلا يكون من أهل الهوان في سموم النيران ، بل يكون من أهل الأمان في نعيم الجنان ، وأما دخول دار الراحة والقرار *

فما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من ترك الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » فالله الله عباد الله يا إخواني تثبتوا واجتهدوا في الصلاة على خير العباد ، وفخر البلاد وزين الحشرِ والمعادِ ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذي ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد . ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل ، والملك الدائم الجليل ، بالصلاة على النبي الأصيل ، الذي نعته في التوراة والإنجيل ، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرؤوف الرحيم ، الذي جاء بالقرآن الواضح الحكيم ، المهيمن القديم ، من عند الملك العزيز الكريم ، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم ، وينجينا من العذاب الأليم ، في سواء الجحيم ، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كلِّ شيطانٍ رجيم ، وعدو فاسق فاجر لئيم *

جهنم والصلاة على النبي

ذكر في بعض الأخبار أنه إذا كان في يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتي بجهنم ، فإذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرة إلى أهل المعاصي اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض ، وغلا بعضها على بعض ، وأخني بعضها على بعض ، زفرت زفرة فلا يبقى غلٌ ولا قيدٌ ولا سلسلةٌ ولا حيةٌ ولا عقربٌ إلا ألقت الكل ، على ظهرها ، وأكبت[1] الزبانية على وجوههم ، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها ، فعند ذلك لا يبقى ملكٌ مقربٌ ، ولا نبيٌّ مرسلٌ ؛ ولا وليٌّ ولا صفيٌّ إلا جثا على ركبتيه ، وفر الناس كلهم هاربين ، ونبينا ﷺ قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة ألف عام ، وهو ﷺ يُلوِّح إليها بكمه ويقول :

(١) في الأصل ، وأقبلت الزبانية ، وهو تحريف خطير .

كفى عن أمتي كفى عن أمتي ، فعند ذلك يتعلق العبد المذنب به ﷺ وهو يقول : يا نبي الله أنقذني من عذاب الله ، فيقول له ﷺ . ألم أبلغك رسالة ربي فلم عصيت ؟ فيقول يا رسول الله غلبت على شقوتي ، فيقول ﷺ لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاةَ عليَّ فيشفع له عند الله تعالى ، فإذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد ﷺ خمدت وكفت . فإذا كانت جهنم أخمدها الجبار ، من نور وجه النبي المختار ، فكيف لا تطفىء الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والأوزار ؟! وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران ، فكيف لا توجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران ؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي ﷺ أخمد سموم الجحيم ، فكيف لا تورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر إلى وجه الحكيم العليم ؟! وأنشدوا :

يـا من تمرد في الأيام منهمكاً ... صلوا على المصطفى يا أكرمَ الأممِ
صلُّوا عليه لعل الله يرحمكم ... يومَ الحسابِ ويوم الكربِ والزحمِ[1]
إنَّ الصلاة على المختار قارئةٌ ... لقلب صاحبها جزءاً من الحكمِ
فهو الشهيدُ لأهل الجمع كلِّهم ... وهو الدليلُ إلى الفردوسِ والنعم

الصلاة بشارة بالجنة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من صلى عليَّ ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة» وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد صلى الله عليه وسلم أو سمع بذكره فلا يصلي عليه. وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل ما يقول، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة. فإذا كان العبد عاجزا لنفسه فهو لغيره أعجز. وأما سلام الرحيم القهار، فهو إن كل من كان مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة. سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى ﴿سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم﴾[2] وقوله تعالى

(١) الزحم : الزحام

(٢) يٓس ٥٨ .

﴿وتحيتهم فيها سلامٌ﴾[1] وقوله ﴿ ويلقون فيها تحيةً وسلاماً﴾[2]، و﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾[3] *

ما للمصلي عند الله

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال الله تعالى لرسوله محمد ﷺ من صلَّى عليك صليتُ عليه ، ومن سلَّم عليك سلمتُ عليه ، قال فيسجد لله شكراً . فالعبد يجزي بالسلام على النبي المختار ، سلام الملك الجبار . وأنشدوا :

يا راكباً نحو المدينة قاصداً ... بلِّغ صَلاتي للنبي محمدِ
وقل السلامُ عليك يا علمَ الهدي ... فهو الدليلُ إلى الشفيع الأجودِ
إنَّ الذي ورثَ النبوة والهدى ... فهو الدليلُ لكل عبد مرشدِ
صلَّى عليه الله ما هبت صَبَا ... وترنمت ورقا بصوتِ تغردِ

نكت في فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن في الصلاة على نبي الهدى محمد ﷺ إشارات جميلة ونكتاً كثيرة ، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبي الرشيد ، السيد السديد ، مجرى شهادة التوحيد ، قال تعالى ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ﴾[4] . وهكذا قال رب القريب والبعيد ، في الصلاة على النبي ﷺ الصادق الرشيد ﴿ إن الله وملائكته يصلُّون على النبي ﴾[5] إشارة حسنة ونكتة مليحة *

---

(١) يونس ١٠ .
(٢) الفرقان ٧٥ .
(٣) الأحزاب ٤٤ .
(٤) آل عمران ١٨ .
(٥) الأحزاب ٥٥ .

قال الله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾[1] ولم يقل أذكركم عشر مرات ، وقال تعالى وجل وعلا . ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[2] وقد قال ﷺ : « من صلى علي مرةً صلى الله عليه عشراً » فكأن الله سبحانه وتعالى يقول ؟ عبدي إذا أثنيت علي مرة أثنيت عليك مرة ، وإذا أثنيت على حبيبي مرة أثنيت عليك عشراً لأنه أكرمُ الخلق عليَّ وأجلهم عندي[3] *

ثانية : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يصلُّون على النبي ﴾[4] وقال في المؤمنين ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكتُهُ ليخرجكم من الظلماتِ إلى النور ﴾[5] بصلاتكم على النبي المحبوب . وأنشدوا :

فأكثروا التسليم بعد صلاتكم ... للسيِّد المختارِ ذاك الأمجدُ
ومن يك ذا بخل شديد بذكره ... فذاك عن الحق المنير مبعدُ

كاشفة الكرب

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة علي فإنها تحل العقد ، وتكشف الكرب » في دار الإمتحان ، فأولى أن تنجي في الآخرة من النيران في الدار الباقية *

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من صلَّى علي مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام » فأكثروا من الصلاة عليه يا أهل ملَّته . صلى الله عليه وسلم صلاةً مقرونة بالكمال والحسن والجمال ، والخير والإفضال *

---

(١) البقرة ١٥٢ .
(٢) الحشر ٧ .
(٣) أجلهم عندي : أعظمهم عليَّ وآثرهم عندي .
(٤) الأحزاب ٥٥ .
(٥) الأحزاب ٤٣ .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أكثركم عليَّ صلاةً أكثركم أزواجاً في الجنة » فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين . وخاتم النبيين ، وارعوا في المقام الأمين ، والتمتع بالحور العين ، والنظر إلى وجه مولانا رب العالمين *

من أكثر الصلاة عليه

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثركم عليَّ صلاةً أقربكم مني مجلساً » وفي هذا الحديث إشارةٌ حسنة ، وهي أن من قرب في الآخرة من النبي نظر إلى وجه العزيز الجبار ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار ، وقرب من النبي المختار ، زحزح جسمه عن النار ، وأسكن دار الراحة والقرار ، في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، لا يذوقون فيها طعم الحمام[1] ، ولا يجدون ضر الأسقام ، ولا تلحقهم فتور الآلام ، قد أمنوا من الزوال والإنتقال ورضي عنهم الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال . وأنشدوا :

صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمدِ
ولا طلعت شمس النهار على أمرىء ... تقي نقي كالنبيْ محمدِ
ولا لاحت الجوزاء شرقاً ومغرباً ... بأطيب من طيب النبي محمدِ

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة علي فإنها تطفىء غضب الجبَّار » فأولى أن تطفىء عن المصلي عليه ﷺ في الدنيا كيد الشيطان الفرار . عباد الله الزموا هذه الفضائل ، وارغبوا في هذه المنازل ، وتقربوا إلي الله بهذه الوسائل ، بالصلاة على النبي المختار من أشرف القبائل ، الذي أوضح الله به الدلائل ، وجعله إليه أكبر الوسائل ، وأنشدوا :

---

(١) طعم الحمام : طعم الموت .

حبُّ النبي على الأنام فريضةٌ لا تنس ذكر الهاشمي الأكرمِ
إنَّ الصلاة على النبي وسيلةٌ فيها النجاةُ لكلِّ عبدٍ مسلمِ
صلُّوا على القمرِ المنيرِ فإنه نورٌ تبدى في الغَمَامِ المظلمِ
رحم العبادَ به عزيزٌ قادرٌ فالشكرُ لله العليِّ المنعمِ

الصلاة والدعاء

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي علي عقيب سؤاله ، فترجع الحاجة علي سحابة ، فإذا صلى علي قضيت حاجته ، واستجيبت دعوته ، وتفتحت له أبواب السماء » فإذا كانت الصلاة عليه ﷺ تقضي في الدنيا الحاجات ، فالأولى أن تنجي صاحبها في الآخرة من العذاب والعقوبات ، وتدخله الجنات العاليات .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كلُّ دعاءٍ محجوب دون السماء ، فإذا جاءت الصلاة عليَّ صعد الدعاء » يا أحبائي والله إذا صعد الدعاء ، ارتفع البلاء ، ورضي إله الأرض والسماء .

كيف تدعو الله

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تجعلوني كقدح الراكب ، فإنَّ الراكبَ إذا أراد أن ينطلق علَّق معاليقه ، وملأ قدحه ، فإن كانت له حاجة في أن يتوضأ أو يشرب شرب وإلا أهراقه ، فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره » وإنما معنى الحديث أن يكون الإنسان أبداً لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ ، فإذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاءه ، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب . فيجب على من هو من أهل ملة محمد ﷺ أن لا يغفل عن الصلاة على النبي ﷺ .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة علي فإنها تهن[1] كيد الشيطان » فأولى أن تدفع عن المصلي عليه آفات الزمان ، وتحول بينه وبين عذاب النيران ، وتوجب له دارَ الخلدِ والأمان ، وجنة النعيم والرضوان ، وأنشدوا :

إمدح نبي الهدى يا أيها الرجلُ ... واذكر فضائله والدمع منهملُ
وصلِّ دهراً على المختارِ مجتهداً ... تحتَ الظلامِ وداجِي الليلِ منسبلُ
عساك تحظى بدارٍ لا نفاذ لها ... نعيمُها دائمٌ والظلُّ والأكلُ

فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاة على النبي الرفيع ، والحبيب الشفيق ، يغفر لكم مولاكم ما عملتم من الآثام ، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام . توسلوا بالصلاة على النبي المختار ، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار[2] ، وينجيكم مولاكم من سموم النار ، ويدخلكم برحمته ﴿ جنات ﴾ تجري من تحتها الأنهار . توسلوا بالصلاة على النبي الصادق الأواب ، ينجيكم مولاكم من أليم العذاب ويدخلكم الجنة وحسن المآب . توسلوا بالصلاة على النبي الرشيد ، ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد ، ويدخلكم برحمته النعيم الذي لا يبيد . توسلوا بالصلاة على النبي البر الرؤوف الرحيم يدخلكم مولاكم جنات النعيم ، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم *

روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : الصلاة على النبي ﷺ ، أمحق للذنوب من الماء البارد للنار . والصلاة على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب ، فاسمعوا وعوا يا أولي العقول والألباب . وأنشدوا :

تواترت الخيراتُ شرقاً ومغرباً ... بذكر رسول الله في السرِّ والجهرِ

(١) في الأصل وردت (تهين كيد الشيطان) من وهن يهن أي يضعف كيده .
(٢) دار البوار : جهنم .

فـذكــرك للمختــارِ فخــرٌ ورفعــةٌ وذكـرك للمختـارِ من أفضـل الـذكـرِ

ذكـر في بعض الأخبار أنـه إذا كان يـوم القيامـة وضعت حسنـاتُ بعض المؤمنين وسيئـاتهم في الميزان ، فتـرجـح سيئـاتُهُم على حسنـاتهم ، فيشفق المؤمنـون لـذلـك ، فتنـزل صحـائفُ بيض من عنـد الله تبـارك وتعـالى على حسنـاتهم ، فترجـح حسناتهم على سيئـاتهم ، فيقول الـربُّ جل جـلاله هـذه صلاتكم على النبي محمد ـ ﷺ ـ ثقلت بهـا موازينكم ، وجعلتهـا لكم ذخيرة وقربة . فهـذا يا إخـواني فضل الله العـظيم ، بالصـلاة على الرسـول الرؤ وف الرحيم *

ثبوت الشفاعة

ومن رحمـة النبي ﷺ بأمتـه ما روي عنـه ﷺ أنـه كـان في بعض الأيـام جـالساً فقـرأ هذه الآيـة ﴿ إن تعذبهم فـإنهم عبادك وإن تغفـر لهم فإنـك أنت العزيز الحكيم ﴾ فبكى رسول الله ﷺ ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد مم بكاؤك ؟ فقال ﷺ « فكـرت في أمتي » فقال جبـريل : يـا محمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك في أمتـك . يا أحبـابي نبيكم عند مـولاكم مكين ، ومولاكم ذو القـوة المتين ، وإنك يـا أخي عبـد مهين ، فهـل رأيتم مهيناً يعذب بين مكين ومتين ؟! مولاكم عظيم ونبيكم كريم ، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم ؟! فصلُّوا عليـه كما أمـركم مولاكم في القرآن الحكيم . يا أمة محمد ﷺ مولاكم لطيف ، ونبيكم سيـد شريف ، وأنت يا مؤمن عبد ضعيف ، فهل رأيتم ضعيفاً يضيـع بين لطيف وشـريف ؟! وأنشدوا :

يــا إلهي عـسى تـكــون مجيــري بصــلاتي عـلى البـشيــر الـنـذيــرِ
إنــني خــائــفٌ كئيـبٌ حــزيـنٌ أن أصـلى بـحـر نــار الـسـعـيــرِ
أيـهــا الـنــاسُ بـادروا ثـم جـدُّوا بـصــلاةٍ عـلى الـســراج الـمـنـيــرِ

ذاك خيرُ الأنامِ جاء بصدقٍ ... وكتابٍ من السميع البصيرِ
فيه أمرٌ وفيه نهيٌ وفيه ... ما يؤدي إلى النعيم الكبيرِ
لا تملوا من الصلاةِ عليهِ ... سوف تنجوا من حرِّ نار الزفيرِ
ثم تحظوا بها بدارِ نعيمٍ ... ليس تبلى من عند ربٍ قديرِ(1)

المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لا يدع الصلاة على النبي ﷺ حيناً ولا وقتاً ، ولا يذكرها في الشدائد ويدعها في الرخاء ، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة ، إنما يجب عليك أن تصلي عليه في صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك ، فتعود عليك بركتها ، وتقبل عليك خيراتها ، وتقضي بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله ﷺ ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبداً ولو كان لك ألف لسان ، تصلي بها كلها عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سبباً لخلاصك من النار ، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار *

مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ، فقال آدم يا رب من هذا الذي كتبت إسمه مع إسمك ؟ فقال الله تعالى يا آدم هو نبيي وصفيي وهو حبيبي ، ولولاه ما خلقتك ولا خلقت جنة ولا ناراً . فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم إليها فقال يا رب زوجني منها ، فقال الله تعالى وما مهرها يا آدم ؟ فقال يا رب ما أعلم ، قال الله تبارك وتعالى يا آدم صل على محمد عشر مرات ، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله ، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها

(1) في الأصل وردت الثلاثة أبيات الأخيرة نثراً وأصلحها عثمان خليل شعراً .

الصلاة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار ، فكيف لا تكون صلاتنا عليه مهراً للحور العين في دار القرار ، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار ، لأنه قال ﷺ : « أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجاً في الجنة » *

إشارات وبشارات

إشارة حسنة ؟ وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار ، لأن الله تعالى إذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم *

أخرى ؟ قال الله تعالى : ﴿ مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ﴾(١) وقوله ﴿ وكأن لم تغن بالأمس ﴾(٢) فإذا جاءت الساعةُ بعذابها وأهوالها ذهب نبات الأرض وتلاشى في جنب العذاب حتى تبقى الأرض كأن لم يكن فيها نباتٌ قط ، وإذا كان هذا فعل العذاب فرحمة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين في جنبها كأن لم تكن قط . هذا في رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف في عشر مرات ؟! لأن النبي ﷺ قال : « من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات » فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات ، بكثرة صلاتهم على سيد السادات ، وخير البريات *

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي ﷺ إلا كان ذلك المجلس عليهم وبالاً وحسرة يومَ القيامة فتزينوا يا أمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم ﷺ *

مكفرات الذنوب

روي عن النبي ﷺ أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه في مرقاة من

---

(١) الكهف ٤٥ .

(٢) يونس ٢٤ .

المنبر فقال آمين ، وقال آمين في الدرج الثاني ، وقال آمين في الدرج الثالث ، ثم قال ﷺ : « جاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحد والديه أو كلاهما ومات ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين ، ثم قال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قلت آمين ، ثم قال يا محمد من ذكرت عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين » *

روي عن النبي ﷺ المختار « من صلَّى عليَّ لم يلجَ النار » *(١)

اللهم صلي على محمد ما اتصلت عينٌ بنظر ، وتزخرفت أرضٌ بمطر ، وحجَّ حاجٌ واعتمر ، ولبى ونحر ، وحلق وقصر ، وطاف بالبيت وقبَّل الحجر *

اللهم صلي عليه وعلى آله صلاةً لا نفاذَ لها ولا انقطاعَ ، صلى الله عليه عدد من يصلي عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة ، وصلي عليه عدد الذاكرين ، وغفلة الغافلين ، وحشرنا وجميع المسلمين ، في زمرته يوم الدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

---

(١) وبذلك نكون قد انتهينا من شرح هذا الكتاب النفيس القيم للإمام ابن الجوزي ، وقد بذلنا فيه جهداً كبيراً في تصويب ما ورد فيه من أخطاء وأضفنا في هوامشه ما احتاج من تعليقات وتعقيبات عسى أن يعم نفعه ونسأل الله أن يجعله في صحائف أعمالنا وصحائف المؤلف يوم يقوم الناس لرب العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المراجع

هـذه هي أهم المـراجـع التي عـوَّلنـا عليهـا في شـرح وتصحيـح هــذا الكتاب :

القرآن الكريم
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .
السيرة النبوية لابن هشام .
القيامة رؤ ية العين ، تأليف محمد محمود الصواف .
الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري .
المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري .
جامع البيان لابن جرير الطبري .
دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني .
سكرات الموت تأليف السيد الجميلي
سنن أبي داود
سنن الترمذي
سنن النسائي

سنن الدارمي
سنن ابن ماجة
سنن البيهقي
صحيح البخاري
صحيح مسلم
لسان العرب لابن منظور
مسند أحمد بن حنبل .
مشاهد القيامة في القرآن تأليف سيد قطب .
معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي تحقيق علي محمد البجاوي .
مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي .
موطأ الإمام مالك .
مواقف يوم القيامة للسيد الجميلي .
وفيات الأعيان لإبن خلكان .
يقظة أولى الإعتبار بما ورد في ذكر النار وأهل النار للشيخ صديق حسن خان .

فهرس الكتاب
بستان الواعظين ورياض السامعين